مدخل إلى قصور توات الكبرى
خلال القرن التاسع عشر الميلادي
دراسة تاريخية، آنثروبولوجية

د. عبد الكريم طهيري
باحث في التاريخ الحديث والمعاصر
(جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف)

مدخل إلى قصور توات الكبرى
خلال القرن التاسع عشر ميلادي
دراسة تاريخية، آنثربولوجية

الشهاب الأكاديـمية

©منشوراتالشهاب، 2025.
الهاتف: 67 15 99 0555 / الفاكس: 04 72 84 023
www.chihab.com / fb : Chihab éditions
ISBN : 978-9961-63-317-5
الإيداع القانوني: أكتوبر 2025

الإهداء

إلى أمي الكبرى توات
وقصورها الممتدة من التاء إلى التاء
من تينقورارين شمالاً
وتيمي وسطاً
وتيديكلت شرقاً
وتسابيت غرباً
وحتى تنزروفت جنوباً

قائمة مختصرات البحث

باللغة العربية	باللغة الأجنبية/الفرنسية
تر: ترجمة	Tr: Traduction
تح: تحقيق	Imp: Imprimerie
إش: إشراف	N: Numéro
ع/ط: عن طريق	T: Tome
ط: طبعة	V: Volume
ج: جزء	P: Page
مج: مجلد	Pp: Pages Continues
ع: عدد	Ibid: Ibidem (La Même Chose ou Lui-Même)
ت: توفي	Op.Cit: Opus Citatum (La Référence Précédente)
هـ: هجري	ANOM: Archives Nationales d'Outre Mers
م: ميلادي	G.B.M. Flamand: Georges Barthélemy Médéric Flamand
ص: صفحة	A.G.P Martin: Alfred Georges Paul Martin
ص ص: صفحات متتالية	GGA: Gouvernement General de L'Algérie
ب ت: بدون تاريخ	
(مارتن أ.ج.ب): ألفريد جورج بول	

مقدمة

تعتبر منطقة توات جزءاً تاريخياً وجغرافياً هاماً من الجنوب الغربي للجزائر، وهي أرخبيل من القصور الطينية وواحات النخيل في صحراء الجزائر، فالمار على الصحراء الكبرى لابد له من التوقف عند عجائب تلك القصور والحواضر، حيث لا يكاد يصدق ما تراه عيناه في هذه المنطقة، والتي تبدو كأنها جزر خضراء عذراء في بحرٍ قاحل من الرمال والحمادات والسبخات، وقد تفاجأ الكشافين والرحالة من حضارة ونظارة القطر التواتي ومناطقه، إلى درجة أنهم كتبوا عليها بإعجاب، ونقلوا عنها بإسهاب.

أما وقد أثارت شجون واهتمام الغرباء بها، فإني وكغيري من أبنائها البررة أولى بهواها وأدرى بشعابها، وهيامي بها ليس من بابٍ علمي فقط، بل لأن بها مسقط رأسي، ففيها ترعرعت ونشأت إلى أن بلغت أشدي، بل وفيها قصراً كان لأجدادي الفضل في بعثه وتنظيمه، وفيها فقارةً كان لأجدادي ولأبي رحمه الله دور كبير في تشييدها وإحيائها ونيل حصة الأسد من عيونها وبساتينها، وفيها مدفن أعز الناس عندي لا أزال إلى يومنا هذا أتردد على قبورهم، أزورهم وأبكي على آثارهم قصصا في الجمعات والأعياد والمناسبات، وفيها أقف على الأطلال التي تمرغت بين جنبات طينها وأكلت حصتي من ترابها، تلك التربة الطاهرة التي افترشتها سريراً واحتميت بها سقفاً وتعبدت فوقها سجّاداً.

فكان واجباً عليّ وشرفاً لي أن أرد لها بعض الجميل، لقد كنتُ ولا زلتُ مولعاً بها في كتاباتي واهتماماتي، ومهما قربت أو بعدتُ، غرامها فوق ظنوني ولبي، ولأن عمر الإنسان قصير ولو بلغ ثمانين حولاً أو أكثر، فإني عاهدت نفسي أن أسابق العمر وفجأة الرحيل، دون أن أترك أثراً كما تركته توات في كياني وأشجاني، فجاءت فكرة التأليف على قصور المنطقة من هذا المقام، ورغم صعوبة المأمورية التي أرى فيها دلدلة عظيمة، فإن المحاولة بنقائصها وعيوبها أفضل عندي من عدمها، وفضل الجهد فيها قد يغطي ويغني عن كل سؤلٍ أو قولٍ.

إن منطقة توات التي تقع في أقصى الجنوب الغربي للجزائر، والتي اختلفت المصادر في أصل تسميتها بين من يربطها بالمعنى الأمازيغي "توات انبو"، أي: واحة المياه، وبين من يربطها بالمعنى العربي لكلمة "إتاوات" أو أنها كانت "تواتي للنفي، وتواتي للعبادة..."، وبغض النظر عن الاختلاف الطبونيمي للكلمة فإنها حاضرة جزائرية تاريخية وعلمية عريقة، كانت تتشكل من حوالي 340 قصراً من القصور الطينية أو أكثر، تتوزع على ثلاث جهات رئيسية وهي (تيديكلت، توات الوسطى، قورارة)، وفي هذه القصور أكثر من 39 زاوية من زوايا القرآن والعلم والضيوف، كانت ولا تزال لها علاقة وطيدة بالطرق الصوفية خاصةً القادرية والطيبية والشيخية والسنوسية والتيجانية، حتى اشتهرت المنطقة ببلاد العلم والزوايا، من خلالها اتسمت بعلاقات جوار ثقافية كبيرة تأثيراً وتأثراً، لا سيما مع حواضر التل الجزائري وافريقيا جنوب الصحراء.

ولأن علاقات منطقة توات مع جوارها كانت ضاربة في التاريخ، حيث عُرفت كملتقى للحجيج والقوافل التجارية، ومركز إشعاع علمي وثقافي خاصةً في القرنين 18 و19م، فقد لعبت أدواراً ذات أهمية قصوى في الصحراء الجزائرية ودول الجوار شمالاً وجنوباً، حيث كانت جنة من جزر خضراء في حزامٍ من نار كما وصفها أحد الرحالة الأجانب، جنةً بما كانت تتميز به من عطاءٍ اقتصادي وتجاري على وجه الخصوص، وبما كانت توفره من بيئة مزدهرة لتجارة القوافل الصحراوية، ناهيك عن إشعاعها الحضاري واسهاماتها العلمية والثقافية التي بلغت بها الآفاق.

ولأنها كذلك كانت ملجأ للثوار والكرار والفرار، وانتجاع الرعاة والجوعى والتجار، فقد استقطبت الكثير من القبائل والشخصيات والقيادات بما في ذلك رجال المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، حيث عرفت لجوء شريف تلمسان محمد بن عبد الله 1858-1861، وبوشوشة 1863-1874، وسي قدور بن حمزة 1869-1883، والشيخ بوعمامة 1883-1894، وغيرهم، مما لفت انتباه الفرنسيين إلى كون منطقة توات بؤرة تؤرقهم وشوكة تعيقهم؛ وكانت الزوايا وقيادات قصور توات هي النواة الأساسية في هذا الزخم الثقافي والاجتماعي والثوري الذي بفضلها احتضنت ودعمت تلك الأدوار والإسهامات.

حتى أن (جول كامبون) الحاكم العام الفرنسي في أوت 1891 بعدما وضعت فرنسا أبراجها وحصونها على مشارف توات، صرح قائلاً: "وأخيراً من الضروري أن تتخذ فرنسا قراراً بشأنٍ نهائي يضمن هدوء الجزائر والهيمنة على واحات الجنوب"، ثم قال بصريح العبارة: "إن توات وقورارة وتيديكلت كانت ملجأ للمتمردين، ومصدراً للاضطرابات ضدنا، حيث هناك في دلدول بوعمامة الذي يسعى لتشجيع الغارات والتمرد علينا..."، وعلى هذا الأساس زار مدينة المنيعة سنة 1892م. بل حتى أن (Robert De Caix) قالها أواخر سنة 1899 بصريح العبارة في مقاله

المعنون (Le Touat): "... هؤلاء البرابرة المستعصين يسكنون بلداً يجب أن تهيمن عليه إمبراطوريتنا، لأنه منطقة تتداخل بين مناطقنا، ولأنهم أيضاً شجعوا وجمعوا كل أعدائنا في أقصى الجنوب الجزائري، وهذا يكفي ليكون الاحتلال ضرورياً، حيث يجب أن تكون توات ووادي الساورة في أيدينا".

ومنه فمن خلال هذه التوطئة، جئنا بموضوعنا هذا لنسلط به الضوء على الأدوار التي لعبتها قصور منطقة توات الكبرى، بجهاتها الثلاث (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، تلك الأدوار التي سنعرِّف بها من خلال تركيزنا على أوضاع المنطقة خلال القرن 19م، الموافق للقرن 13هـ والعقد الأول من القرن 14هـ تلك الأوضاع والظروف التي مست الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. والتساؤلات التي نراها تتلاءم مع هذا السياق هي كالآتي: فيما تتمثل قصور وجهات منطقة توات الكبرى؟ وما أهم المظاهر والأوضاع السائدة في المنطقة خلال القرن 19م؟؟

وبتوظيفنا للمنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، اعتمدنا على خطة بحث ترتكز على العناصر الآتية:

- مقدمة.
- التعريف بمنطقة توات الكبرى.
- المجتمع والظروف المعيشية.
- توات: حاضرة مشعة ثقافياً.
- الإقتصاد في المجتمع التواتي.
- الأوضاع السياسية والأمنية.
- خاتمة.

توات في: 18 محرم 1447هـ/ الموافق لـ 14 جويلية 2025م

التعريف بمنطقة توات

نتطرق في هذا الفصل إلى التعريف بمنطقة توات الكبرى وجهاتها، وقصورها، ونحاول قدر المستطاع أن ندخل إلى قصورها الطينية المترامية الأطراف، نلتقط فيها صوراً وصفاً وتعريفاً، فهذه القصور التي تتجاوز 300 قصراً زارها الرحالة العرب والأجانب، أو سمعوا عنها، فكتبوا عليها، وأرّخوا لها، واستمتعوا وأُعجبوا بها. إنها جزر خضراء في حزامٍ من نار كما وصفها أحد المعجبين الفرنسيين، وإنها مستبحرة العمران وفيها عجيبة من عجائب الصحراء، كما وصفها ابن خلدون وقد أثارت فيه "الفقارة" أيم إعجاب، وللتعريف بها في بطاقة فنية اقترحنا المحاور التالية:

- تحديد الموقع الجغرافي والفلكي.
- إبراز الأهمية الاستراتيجية والتاريخية للمنطقة.
- أصل تسمية توات والراجح فيها.
- القصور التواتية: أسمائها، تعدادها، عمارتها.

أولاً : الموقع والأهمية الاستراتيجية

تتمتع منطقة توات بموقع ذو أهمية استراتيجية بالغة، وليس مستغرباً أن نحكم عليه من أول سطر وفقرة في هذه الدراسة بتلك القيمة والوزن، بل لأن اسم المنطقة أشهر من نارٍ على علم قديماً وحديثاً، لعل تلك الشهرة لم تكن من باب الصدفة والمجاملة، بل نظراً لما تميزت به توات جغرافياً بين الدول والمناطق المجاورة، وما كُتب عنها تاريخياً وعلمياً، محلياً وإقليمياً وأجنبياً، وهذا ما سنستشفه بالمختصر المفيد في مدخل تمهيدي يُعرفنا بتوات ويُذكرنا بأهميتها، فما هي توات؟؟ وما موقعها من الأهمية جغرافياً وتاريخياً؟

أ- التحديد الجغرافي لمنطقة توات

في البداية ينبغي الإشارة إلى أننا تناولنا موضوعنا بمصطلح "منطقة توات" وليس "إقليم توات"[1]، على أساس أن التقسيمات الجغرافية في الجزائر ترتكز على تسمية الأقاليم لكل ذات حدود وخصائص مناخية وتضاريسية وإدارية، ومن خلالها نجد ثلاث أقاليم مناخية كبرى في الجزائر، في حين داخل كل إقليم نجد تقسيمات متنوعة من حيث المناطق والتسميات الجغرافية والإدارية، كالجهات والنواحي والولايات وما عطف عليها من المصطلحات المتداولة في الجزائر المعاصرة، وقد تضيق تسمية منطقة أو تتسع، وقد تنقسم بحد ذاتها إلى أقاليم وجهات فرعية، ورغم أن المعنَيين متشابهين لكن في نظري مفهوم المنطقة أدق بحكم أنها قد تكون وحدة إدارية، وفعلاً توات كانت إدارياً قائمة بذاتها أو تابعة لغيرها، ولهذا فلا غرابة أننا سنضع منطقة توات كوعاء جغرافي وتاريخي يضم أيضاً ثلاث جهات إقليمية محلية.

فتسمية توات كما فيها من تضارب في معناها، نجد تضارباً في تحديد مجالها الجغرافي، إلى درجة أن هناك من يفصل عنها تيديكلت وتينقورارين وهناك من يسمي توات العليا وتوات السفلى وتوات الوسطى وتوات الحنّة، وكلها دلائل على الاختلاف في تحديد المناطق بين جهة وأخرى؛ لكن حسب المنظور الغالب من حيث المصادر التاريخية فإننا نجد التسمية "توات" وإن كانت تُطلق على المنطقة الوسطى على وجه الخصوص، إلا أنها تُطلق تعميماً وشموليةً حتى على الجهتين الأخريتين (تيديكلت وقورارة)، وكدليل على كلامي فإني سأورد هذه

[1] . **المنطقة والإقليم:** المنطقة هي إقليم أو مساحة معينة تتميز عن غيرها بخصائص أو صفات خاصة بها؛ ولها ظروفها المناخية وقد تكون وحدة إدارية أو جزءاً منها. في حين فالإقليم هو منطقة من سطح الأرض تتميز بظاهرة أو خصائص معينة تبرز وحدتها وشخصيتها. يُنظر: آمنة أبو حجر، **المعجم الجغرافي**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2009، ص ص 54، 797.

الملاحظات التي أُدعم بها الرأي القائل أن توات الكبرى هي (توات الوسطى، وتيديكلت، وقورارة):

- فابن خلدون نفسه مثلاً لم يكن يُميز بين توات كمنطقة ووسطها والجهات التابعة لها، ورغم أنه في كثيرٍ من كتاباته كان يفصل بين تينقورارين وتوات لكنه كان يُخلط حتى بين مناطق توات الوسطى نفسها مثل قوله "ثم توات ثم جودة ثم تمنطيط..."[1]، حيث فصل هنا بين بودة وتمنطيط وجعل توات مختلفة عنهما، ونفس الشيء العياشي إذ قال: "وخلّفنا قرى توات وراءنا وعدلنا ذات اليسار إلى بلاد أوكرت..."[2]، وعلى عكسه ابن مليح الذي أدرج أوقروت ضمن مناطق توات حيث قال: "وأوكروت آخر بلاد توات من تلك الناحية..."[3]، ناهيك عن الحسن الوزان ومارمول كربخال اللذان أدرجا قصور تسابيت ضمن جهة قورارة...

– كما نجد كثيراً من المصادر التاريخية كانت تذكر بعض الشخصيات خارج المنطقة بعبارة "التواتي"، وهي أحياناً من جهة قورارة أو تيديكلت أو توات الوسطى، فالعياشي مثلاً تكلم عن الشيخ سيدي عبد العزيز بن حسن بن عيسى الوقروتي مقرئ الطائف خلال القرن 11هـ/17م، وهو الذي قال عنه أن شهرته كانت بالتواتي[4]، والمعروف أن أوقروت تتبع لجهة قورارة، ومثال آخر نجد الرحالة الحاج عبد القادر بن أبي بكر هيبة الله التواتي (كان حياً في 1849) وهو من أولف المحسوبة على جهة تيديكلت.

– وحتى الشيخ بوعمامة المعروف عنه أنه كان لاجئاً في دلدول أواخر القرن 19م حينما غادر المنطقة نجده يقول في رسالة إلى الفرنسيين بتاريخ 1894/04/04 "لولا كتابكم الذي أتاني من طنجة لا رحلت من توات..."، ويقول في رسالة أخرى إلى الوالي العام في رسالة بتاريخ 1896/01/17 "فليكون في كريم علمك أننا كنا هاربين لبلاد توات..."[5]، وبالتالي لو لم تكن دلدول

---

[1] . ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت 2000، ص 78.

[2] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، أبوظبي الإمارات 2006، ص 80.

[3] . أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم 1630-1633**، تح: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس 1968، ص 30

[4] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج2، ط1، أبوظبي الإمارات 2006، ص ص 172، 173.

[5] . عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881-1908**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص ص 81، 93.

ضمن توات ما كان يسميها الشيخ بوعمامة بذلك الوصف -وهو من أولاد سيد الشيخ - وما كان لهذه القبيلة أن تخطيء في التسمية وهي المعروفة بعلاقاتها مع المنطقة منذ زمان، خاصةً المعروف أن قصور دلدول تنتمي لجهة قورارة بطبيعة الحال.

- ومحلياً يقول محمد بن عبد الكريم البكري (ت 1374هـ/ 1955م): "توات...، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوماً جوفاً، وغرباً عشرون يوماً لأول السودان، ومن أغدامس عشرون يوماً، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقاً، ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع اسراعاً لبلد الأبيض سيد الشيخ..."، ويضيف أن توات "أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط، فهذه القصور قاعدة توات..."، ويقول أيضاً وبعبارة أوضح "وقوة توات وكثرتها في قرارة تيميمون، وقاعدة قرارة تيميمون..."[1]، وكذا الهلالي صاحب تقييد (بذرة الأخبار في تاريخ توات) يحددها من وادي صالح (تبلكوزة) إلى عين صالح[2]، ونفس الشيء فقد حدد الشيخ مولاي أحمد الطاهري (ت 1399 هـ/ 1979م) موقع توات من تبلكوزة شمالاً إلى زاوية الرقاني جنوباً وعين صالح وأقبلي شرقاً[3].

- وحتى الشاعر الشيخ البكري بن عبد الرحمن الذي عايش الغزو الفرنسي لقصور تيديكلت وتوفي سنة 1921، قال عن معارك عين صالح وإينغر في قصيدة: "ربِّ إن فرنسا الكفر جاروا... في توات وجازفوا بفسادٍ"[4]، هذا ناهيك على أن معظم الكتابات الفرنسية والعربية المعاصرة، خاصةً منذ القرن 19م، تحدد توات على أساس مناطقها الثلاث (توات الوسطى وتيديكلت وقورارة).

وبالتالي فتسمية توات حسب استنتاجنا كانت تطلق في بادئ الأمر على واحات تيمي وما جاورها، ثم بدأت تتسع لتشمل كل الجهات والقصور الممتدة من تينركوك شمالاً إلى رقان جنوباً وعين صالح شرقاً وبودة غرباً، وكان أهل المنطقة يفرقون بين جهاتها الثلاث تحديداً لا تمييزاً، في حين أن الأجنبي عنها كان ولا يزال يصف كل أقطارها بإسمٍ واحد وهو "توات"؛ وما كان لنا أن

---

[1] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار- الجزائر، ص 1.

[2] . بعثمان عبد الرحمن، **القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م**، إشراف محمد بن معمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 01، موسم 2016/2015، ص 56.

[3] . شهاب الدين أحمد الطاهري، **نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات**، تح: خير الدين سعيدي، جامعة قالمة 2013، ص ص 85-87.

[4] . عبد الله بابا، إش: مبارك جعفري، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أدرار، الجزائر موسم 2019/2018، ص ص 45، 46.

نخوض في هذه الجزئية تبريراً أو تشكيكاً في عملنا، وإنما كردٍ بسيط على بعض الكتابات التي ضيّقت واسعاً بقصدٍ أو غير قصد.

وعلى هذا الأساس نضع تحديد توات جغرافياً وفلكياً وإدارياً وتسميةً، فهذه المنطقة صارت لصيقة بولاية أدرار بعد الاستقلال، هذه الولاية التي أخذت تسميتها من مدينة أدرار مع مطلع القرن 20م (14هـ)، وتحديداً مع أولى طلائع الغزو الفرنسي للمنطقة سنة 1900م[1]؛ ولكنها تاريخياً تضم جهات أخرى صارت حالياً كولايات إدارية منفصلة، فمنطقة توات التاريخية والتي سنتناولها في دراستنا هذه تتشكل من (توات الوسطى من تسابيت إلى رقان، وتيديكلت وتشمل كل قصور عين صالح إلى قصور أولف وتيمقطن، وقورارة وتشمل كل القصور الممتدة ما بعد تسابيت شمالاً إلى تبلكوزة)[2].

فمنطقة توات بجهاتها ونواحيها الثلاث (توات الوسطى، وتيديكلت، وقورارة) مجموعة من القصور الواحاتية في أقصى الجنوب الغربي للجزائر، يحدها شمالاً العرق الغربي الكبير ووادي مقيدن، وجنوباً صحراء تنزروفت وهضبة مويدير، وغرباً وادي الساورة ووادي المسعود المتفرع عنه، وشرقاً وادي المية بمحاذاة العرق الشرقي الكبير[3].

وقد أشار الشيخ شهاب الدين أحمد الطاهري الإدريسي[4] في كتابه (نسيم النفحات) إلى حدود توات، حيث ذكر أنها تمتد من قصور عين صالح جهة الجنوب الشرقي ومن الصحراء القريبة من المنيعة والصحراء بين المنيعة وتيميمون جهة الشمال الشرقي، وإلى تبلكوزة شمالاً

---

[1] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ** ط2، منشورات الحبر، الجزائر 2011، ص 41.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، ج1، دار هومه، الجزائر 2005، ص 9.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص ص 2، 3.

[4] . هو شهاب الدين أحمد الطاهر بن عبد المعطي السباعي الإدريسي الحسني، ولد في عائلة علم وزاوية وشرفاء بنواحي مراكش سنة 1325هـ/1907م، كان محباً للترحال فعاش متنقلاً بين شنقيط سنة 1923 وتمبكتو سنة 1937 حتى وصوله إلى توات في 1937 واستقراره بها بعد 1944 حيث أسس فيها زاوية للعلم والتدريس، من أهم مصنفاته: فتوحات الإله المالك على نظم أبي القاسم السالك، العقد الجوهري على النظم المسمى بالعبقري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات...وغيرها، توفي سنة 1979 في حادث سيارة، ينظر: خير الدين سعيدي، إش: شايب قدادرة، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، جامعة قالمة، الجزائر موسم 2013/2012، ص ص 8-32.

وتمتد غرباً من الزاوية ولقصابي وقصور تسابيت وبودة إلى غاية تيمادنين من جهة الجنوب الغربي، وإلى زاوية[1] الشيخ مولاي عبد الله الرقاني[2] جنوباً ثم قصور أقبلي في الجنوب الشرقي[3].

وأما الشيخ محمد بن عبد الكريم البكري التمنطيطي[4] فقد حدد توات جغرافياً على أساس المسافة الزمنية بينها وبين بعض الحواضر في تخوم بلاد المغرب والصحراء، فقال في مخطوطه (درة الأقلام): "أما بعد توات هي صحراء في أعلاء المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوماً جوفاً، وغرباً عشرون يوماً لأول السودان، ومن أغدامس عشرون يوماً، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقاً، ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع اسراعاً لبلد الابيض سيد الشيخ..."[5].

وما يمكن استنتاجه من موقع توات أنها ممتدة ومحصورة طبيعياً بين عدة أودية صحراوية، وتتوزع مناطقها الثلاث على حواف هضبة تادمايت[6] الضخمة على شكل حلقة هلال من

---

[1] . **الزاوية:** هذا المصطلح الذي ينتشر بكثرة في ربوع توات، كان يطلق على بناء ذو طابع ديني، ظهرت نشأته الأولى خلال القرن 8 هـ وكانت تطلق التسمية على مكان للعبادة يشتمل على مرافق لطلبة العلم، ولإيواء الواردين وعابري السبيل، كما كان يشار بمصطلح الزاوية لتلك الصدقات الجارية المحبسة بنص موثق ومحدد، وكانت تنقسم إلى زوايا الضيافة، وزوايا العلم، وزوايا الضيافة والعلم. ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري، **من تاريخ توات أبحاث في التراث**، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر 2011، ص 237-238

[2] . هو مولاي عبد الله بن مولاي عبد الملك بن مولاي عبد الله الرقاني، ولد في قصر تاوريرت سنة 1093هـ/1682م، عاش فترة في زاوية كنتة ثم زاوية الشيخ المغيلي، ثم انتقل إلى رقان أين أسس زاويته الخاصة، ذكرت له كرامات وذاع صيته، توفي سنة 1148هـ/1735م، ينظر: مبارك جعفري وآخرون، جعفري مبارك ومقلاتي عبد الله، **معجم أعلام توات**، منشورات الرياحين، الجزائر 2013، ص 221.

[3] . شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات...، المصدر السابق، ص ص 85-87.

[4] . هو الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري نسباً والتمنطيطي مولداً ونشأةً، ولد حوالي 1301هـ درس في قصر كوسام، تولى القضاء سنة 1932م، اشتغل أيضاً في التأريخ، فمن أهم كتاباته: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، وجوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، وغيرهما، توفي سنة 1952م. ينظر: حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي لإقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 111، 112.

[5] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار الجزائر، ص 1. ينظر الملحق رقم 11.

[6] . **تادمايت:** هضبة صخرية تتكون من تضاريس كريتاسية فسيحة مع منحدرات وأودية، وتمتد بين دائرتي عرض 27° و30° شمالاً، وترتفع حوالي 600 متر، ويغطيها من الشمال إلى الجنوب لون أحمر قديم، وهي منطقة خالية من السكان باستثناء نهايات حوافها التي تشكلت على جنباتها واحات تيديكلت وتوات وقورارة، لكنها حمادة صخرية جيرية صالحة للبناء وشق الطرق، ترتفع 836م عن سطح البحر. ينظر: إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996، ص 20، وينظر أيضاً: الهادي قطش وآخرون، **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر 2010، ص 25.

الواحات، حيث تقع منطقة تيديكلت شرق الهضبة وتوات الوسطى جنوبها وقورارة غربها وشمالها، وقد يتسع امتدادها باتساع الصحراء المحاذية لقصورها، وعلى هذا الأساس قد تفصل تسمية الواحات والقصور بينها وبين المناطق الجزائرية المختلفة عنها، حتى ولو وجدنا اختلافات في المساحة والمظاهر الطبيعية الفاصلة.

وقد لا نجد مساحة مضبوطة لمنطقة توات، لكن ما دامت كل جهة من الجهات الثلاث لهذه المنطقة أصبحت ولاية إدارية في الجزائر المستقلة، يمكن احتساب مساحة ولاياتها وإعطاء مساحة تقريبية لمنطقة توات؛ فمساحة ولاية أدرار وهي التي تمثل حالياً منطقة توات الوسطى تقدر بـ 230186 كلم²، ومساحة ولاية تيميمون التي كانت تعرف بمنطقة قورارة حوالي (65203 كلم²)[1]، وأما عن ولاية عين صالح وهي الجزء الأكبر من منطقة تيديكلت فمساحتها حوالي (134000كلم²)[2]، وبالتالي فمجموع مساحة كل منطقة توات الكبرى حوالي 429389 كلم².

ب- الموقع الفلكي لمنطقة توات

يمكن تحديد الموقع الفلكي لمنطقة توات بنفس المنوال جغرافياً، من خلال تحديد الإحداثيات الفلكية للولايات الإدارية (أدرار، تيميمون، عين صالح) والتي كما ذكرنا تمثل المناطق التاريخية (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن منطقة توات الكبرى تقع فلكياً بين دائرتي عرض 25° و31° شمالاً، وخطي طول 5° شرقاً و5° غرباً، وللإشارة فخط غرينيتش ومدار السرطان يمران ويتقاطعان في منطقة توات[3]؛ في حين نجد بعض المراجع السابقة قبل عصر غوغل وقبل التقسيم الإداري للولايات الثلاث تحدد موقع منطقة توات فلكياً بين دائرتي عرض 26° و30° شمالاً وخطي طول 1° شرقاً و4° غرباً[4]، وبنفس الإحداثيات والتحديد في كتاب الدكتور حوتية محمد (توات والأزواد)[5].

وكاستنتاج وتوضيح فإنه تبقى إشكالية ضبط الموقع الفلكي غير دقيقة، خاصةً أن الموقع الجغرافي لأي منطقة صحراوية لا يمكن الجزم بتحديده في حالة غياب التجمعات السكانية

---

[1] . صفحة مديرية التجارة بولاية أدرار، التعريف بالولاية، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:30 www.dcwadrar.dz/ar

[2] . صفحة وكالة الأنباء الجزائرية، ولايتا عين قزام وعين صالح: رهان على كسب متطلبات التنمية لتلبية تطلعات الساكنة، مقالة بتاريخ 2021/03/03، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:45، www.aps.dz/ar

[3] . غوغل إرث، الموقع الفلكي لولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)، التصفح: 2023/05/12، التوقيت: 20:30، https://earth.google.com/web

[4] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 1.

[5] . محمد حوتية، **توات والأزواد خلال القرنين (18 و19م)**، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص 28.

الفاصلة في هكذا حالات، وما دامت منطقة توات يمكن حصرها بين مجموعة من الأودية السالفة الذكر وبعض المظاهر الطبيعية كالسلاسل الرملية (العرق الغربي الكبير، والعرق الشرقي الكبير، وعرق شاش)، فإننا ارتكزنا في تحديدنا على هذه الخصائص، بالإضافة إلى ميزة التقسيمات الإدارية للولايات الجزائرية والتي بطبيعة الحال لها قواعدها ومعاييرها.

ت- الأهمية الاستراتيجية لموقع منطقة توات

من خلال النظرة على الموقع الجغرافي لمنطقة توات يمكن استنتاج أنها وبأقطارها الثلاث شكلت هلالاً خصيباً في صحراء الجزائر[1]، بل وفي الصحراء الكبرى لإفريقيا تميزت بواحاتها وحواضرها العامرة، لعل ذلك الموقع والارتباط الإقليمي الذي تمتعت به مرده لتموضعها الجغرافي الفريد من نوعه، حتى أنها أضحت مركزاً حيوياً في الصحراء الكبرى وبمثابة همزة وصل بين جهاتها الأربع، بين شمال إفريقيا كضفة جنوبية للبحر الأبيض المتوسط وإفريقيا جنوب الصحراء وشرق وغرب الصحراء الكبرى أيضاً.

وقد أشار مثلاً الرحالة الفرنسي (بول سولايي)[2] إلى هذه الأهمية، في تقرير إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874م حيث قال: "لو نقيس المسافة بين توات الكبرى والمراكز التجارية بالمناطق الرئيسة الأربع نجدها متساوية إلى حد يثير الإستغراب، حيث المسافة بينها وبين الجزائر إلى الشمال تساوي المسافة بينها وبين تمبكتو[3] إلى الجنوب، والمسافة بينها وبين طرابلس إلى الشرق تساوي المسافة بينها وبين موقادور إلى الغرب"، ونقلاً عن نفس الرحالة ذكر الكولونيل "ميرشر" في تقريره بعنوان (مهمة غدامس) أهمية موقع منطقة توات حيث قال: "لو ألقينا نظرة على خارطة إفريقيا نلاحظ أن الطريق الطبيعية للجزائر نحو بلاد السودان، تمر عبر أرخبيل واحات توات..."[4].

---

[1] . ينظر للملحق رقم 02.

[2] . رحالة فرنسي ولد في مدينة نيم سنة 1842 م، كان محباً للمغامرة والترحال إلى الأماكن المجهولة منذ طفولته، انضم للجيش الفرنسي سنة 1870 م ضمن المشاة، توفي في أودان سنة 1888 م، ينظر: عبد القادر مرجاني، **السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م**، إش: محمد مجاود، أطروحة دكتوراه – جامعة سيدي بلعباس، الجزائر موسم 2020/2019، ص 42.

[3] . **تمبكتو:** مدينة من حواضر منطقة الأزواد، تذكر الروايات أنها نسبةً لامرأة سكنت ذلك المكان، تأسست على يد الطوارق حوالي سنة 948هـ/1087م، تتواجد جنوب الصحراء الكبرى على خط نهر النيجر، وهي في يومنا هذا تابعة لدولة مالي شمالاً، ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد...، ج1، المرجع السابق، ص 40.

[4] . جعفري مبارك وعبو الطاهر، **منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 15 إلى 19م**، الملتقى الدولي السابع حول التجارة والتجار عبر التاريخ، المنستير تونس 2014، ص ص، 6، 7.

ونظراً للموقع الجغرافي الهام لمنطقة توات بالصحراء الكبرى، فقد برزت أهميتها الجيواستراتيجية كمنطقة عبور وسط الصحراء الإفريقية، لعبت من خلالها دوراً كبيراً في تجارة القوافل الصحراوية عبر الأزمنة والقرون الحديثة، تمثل في ربط شمال إفريقيا بالسودان الغربي، وازدادت أهمية المنطقة كمركز عبور تجاري صحراوي خاصةً بعد القرن 15م، بعد سقوط مملكة غانا التي كانت تشكل طريقاً مزدهراً عبر مراكش، حيث تحول المسار إلى توات التي أضحت شيئاً فشيئاً همزة وصل مزدهرة مع حواضر تمبكتو جنوباً والجزائر شمالاً وفاس غرباً وغدامس شرقاً[1].

وبلغت منطقة توات من الأهمية والصيت أنها كانت أيضاً معبراً هاماً للحجيج نحو البقاع المقدسة، فقد تميزت بالأمن وحسن الضيافة والنشاط الدؤوب للأسواق حيث يحتاج الحجاج لتبادل الذهب والمسكوكات، والتزود بالمؤونة والراحة لاستكمال مسيرهم نحو الحجاز، فكانت قوافل الحجيج تمر عبر توات من شنقيط وفاس وسجلماسة وتافيلالت، ويكون بها الملتقى مع الحجاج القادمين من السودان الغربي[2]، ثم تنطلق تلك الوفود من توات الوسطى إلى عين صالح نحو غدامس وبرقة والإسكندرية، ثم البقاع المقدسة، أو عبر مسار آخر من تسابيت وأوقروت، ثم المنيعة وميزاب وورقلة، ومنها نحو غدامس، وكانت هذه الرحلة تستغرق سنة كاملة[3].

وتذكر كثيراً من المصادر التاريخية أهمية منطقة توات قبل وصول الفرنسيين والأوروبيين إليها أواخر القرن 19م، فقد استخدم الفينيقيون والرومان طريق توات في علاقاتهم التجارية جنوباً، ولعل ذلك كان من أسباب استقرار اليهود بها مبكراً، وبعد الفتح الإسلامي ازدادت أهميتها حتى صارت طريقاً رئيسية تربط بين دويلات شمال إفريقيا والسودان الغربي، ولقوافل الحجيج القادمة من جنوب المغرب وبلاد التكرور[4] ووسط الصحراء[1]. وقد أشار ابن خلدون

---

[1] . جنيدي عبد الحميد، "إقليم توات وأهميته في التجارة الصحراوية"، ***المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية***، جامعة تيارت، الجزائر، ع5، 2018، ص 41.

[2] . **السودان الغربي:** أطلقت التسمية أواخر القرن 18م على دول إفريقيا الغربية، سواء البلدان جنوب الصحراء أو المطلة على المحيط الأطلسي، وحتى على الغابات الاستوائية الكثيفة في الجنوب، وشمال الصحراء، ومن تلك البلدان: مالي والسنغال وبوركينافاسو والنيجر وغانا وغينيا وكوت ديفوار ونيجيريا وليبيريا وغيرهم، ينظر: شترة خير الدين، **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، محاضرة، جامعة أحمد درايعية- أدرار، الجزائر 2010، ص 269.

[3] . طهيري عبد الكريم، "توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19م"، ***مجلة رفوف***، جامعة أدرار الجزائر، مج 11، ع2، جويلية 2023، ص ص 499-522.

[4] . **بلاد التكرور:** إقليم ممتد إلى أدغاغ شرقاً وإلى بحر بني زناقية غرباً وإلى بيط جنوباً وإلى آدرار (موريتانيا) شمالاً، أي: تلك المناطق الواقعة في يومنا هذا في جنوب موريتانيا ومالي ومناطق شمال السنغال. ينظر: الطالب

(ت 808هـ/ 1406م) إلى أهمية منطقة توات حيث وصفها بأنها بلد مستبحر في العمران، وأنها ممر القوافل من وإلى بلاد المغرب والسودان[2] (ثغر مالي).

ث- الأهمية التاريخية[3]

ومن خلال الكثير مما ورد في المصادر التاريخية الهامة وتطرقها لمنطقة توات، إن دلت على شيء إنما دلت على صدى ومكانة توات الحضارية، والتي كانت بموجبها قطب وإشعاع ثقافي وتاريخي وتجاري، فقد ساهمت توات في نشر الإسلام وتلقين تعاليمه السمحة وكان الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في طليعة هذا النشاط الدعوي الذي قاده انطلاقاً من المنطقة نحو شعوب السودان الغربي، حيث زار واستقر في شمال نيجيريا وسنغاي وبلاد الهوسا ومملكة كانو فكان مصلحاً دينياً واجتماعياً وسياسياً، وساهم في نشر المذهب المالكي أيضاً، ومن خلاله صارت توات حاضرة ومقصداً يحج إليها طلبة وعلماء إفريقيا جنوب الصحراء طيلة القرن 15م وما بعده، وكانت أيضاً قبيلة كنتة والفلان التواتيتين من أهم القبائل التي نشطت في مجال الدعوة والتجارة بإفريقيا.

كما كان للتواتيين تأثير واسهامات كبيرة بهجراتهم إلى بلاد السودان الغربي، حيث استقروا هناك أفراداً وجماعات، علماء وتجاراً، وبحكم نشاط تلك الهجرات ازداد دور التواتيين مكانة ورفعة وساهموا في ربط علاقات وطيدة مع شعوب وحواضر إفريقيا، فعلى سبيل المثال نقلت الجماعة الكنتية الطريقة القادرية خلال القرن 17م إلى شمال مالي حيث الأزواد وتمبكتو ثم بقية السودان الغربي، كما فعل التيجانيون نفس الشيء انطلاقاً من ڤورارة إلى حواضر السنغال وغيرها، وقد استندت عدة دول إفريقيا على الطريقة التيجانية حتى القرن 19م مثل دويلة الحاج اعمر ودولة الشيخو أحمدو...، هذا الدور التواتي سيكون له تأثير حتى في مجابهة التوسع الاستعماري لاحقاً.

محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ص 26.

[1] . جعفري مبارك وعبو الطاهر، **منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية...**، المرجع السابق، ص 3.

[2] . ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، ج7، دار الفكر، بيروت 2001، ص 77.

[3] . هذا العنصر مجتزأ من المرجع التالي: طهيري عبد الكريم، "توات في مشروع التوسع..."، المرجع نفسه، ص ص 503، 504.

وطيلة القرن 19م حينما ظهر الإستعمار الفرنسي من الجزائر بوابة إفريقيا، ظهرت توات ملجأ للثوار ولزعماء المقاومات الشعبية، فنظراً لجغرافيتها البعيدة عن الشمال، وطبوغرافيتها الوعرة ومناخها القاسي، فقد شكلت ملاذاً لكل ثائر ولاجيء ومتمرد، حيث كان لوقوع منطقة توات في قلب الصحراء الكبرى ميزة، جعلتها بعيدة عن أزمات منطقة شمال إفريقيا، ولم يتغير هذا الدور التاريخي إبان الحقبة الاستعمارية للجزائر، في استمرار المنطقة ملجأ للمقاومين الذين اتخذوا منها نقطة ارتكاز للراحة، وموقعاً استراتيجياً للإمداد بالعتاد والمؤن، ومهرباً آمناً للاحتماء بعد الهزيمة أو الانكسار، ومركزاً لتجميع الفلول والاستعداد مجدداً للمقاومة.

فقد نشطت فيها مثلاً الجمعية السنوسية (واحتضنت منهم مثلاً الشريف محمد بن عبد الله السنوسي من تلمسان ما بين 1853-1859م) واستقبلت قبيلة أولاد سيدي الشيخ في 1869م (ومنهم مثلاً سي قدور بن حمزة)، وبوشوشة ما بين 1870-1872م وأتباعه من الشعانبة، وأهم شخصية كان استقرار الشيخ بوعمامة فيها ما بين 1883-1894م، فكانت بذلك توات شوكة مزعجة للسلاطين والملوك والإمبراطوريات الاستعمارية.

رأيٌ واستنتاج

وكخلاصة يمكن تفسير تلك الأهمية التي تمتعت بها منطقة توات إلى مجموعة من العوامل، منها موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء الكبرى، وكثرة واحاتها وقصورها عبر امتداد جغرافي طويل، توفر من خلالها مسارات متصلة ومتوفرة على المؤونة والمياه والأمان وسط بيئة صحراوية قاسية، ناهيك عن كثرة السكان وتنوع الأجناس والقبائل فيها مما يسهل عملية التواصل وتنشيط التجارة والاستهلاك وعوامل الجذب البشرية، وبالإضافة لكونها منطقة بشرية عامرة كمسالك حضرية، فقد تواجدت بها شبكة مواصلات طبيعية مثل مجاري الأودية وينابيع وآبار المياه المحاذية لها، وعلى جنباتها تتوفر الأعشاب والحشائش والكلأ للإبل والخيول[1].

[1] . جعفري مبارك وعبو الطاهر، **منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية ...**، المرجع السابق، ص 8.

ثانياً : التسمية والقصور في المنطقة

وفي إطار التعريف بمنطقة توات، حريٌّ بنا أن نبحث في إسمها وتقسيماتها ما يعطي عنها نبذة لغوية واصطلاحية، فقد تعددت الأوصاف والتفسيرات لكلمة "توات" ولم تستقر على رأي واحد، وكثرت قصورها وغطت على مساحة جغرافية كبيرة، لكنها أيضاً تميزت بمسميات وتقسيمات، لابد الإشارة لها وتوزيعها كما كانت ولا زالت بحكم أن هذه القصور والتسميات ستلعب دور كبير في تدوين هذه الدراسة، وسترفع الحرج والتكلف عن غموضها وتكرارها الذي سنحتاج إليه؛ فما أصل ومعنى تسمية توات وقصورها؟ وكيف يمكن التمييز بين قصورها وجهاتها والعلاقة بينهما؟

1- أصل التسمية

هناك اختلاف كبير في أصل ومعنى كلمة توات، ويبرز هذا الاختلاف بين الكتابات المحلية والأجنبية، فعن الكتابات المحلية التي تناولت التعريف بمنطقة توات، يشير محمد بن عبد الكريم البكري التمنطيطي (ت 1374هـ/ 1955م) في كتابه المخطوط (درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الاسلام)، أن توات سميت بهذا الاسم لأن القائد الموحدي علي بن الطيب وعامله المسعود بن ناصر كانا يقبضان الاتاوات على أهل توات خلال القرن 6هـ فعُرفوا بأهل الأتوات[1]، وقيل أنها من أتوات الخضر والفواكه التي كانت تُدفع لملوك الموحدين[2].

في حين يفسر معناها الشيخ محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي[3] (ت 1345هـ/ 1926م) صاحب كتاب (نقل الرواة)، بأن الفاتح عقبة بن نافع مر عليها سنة 62هـ فسأل عن حالها وضعفها وهل تواتي لنفي العصاة إليها؟ فأجابوه بأنها تواتي، فانطلقت التسمية على لسان العامة[4]، ويقول عنها مولاي أحمد الطاهري الإدريسي (ت 1399هـ/ 1979م) أنها كانت تواتي

[1] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 8.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، ج1، دار هومه، الجزائر 2005، ص 9.

[3] . هو الشيخ محمد بن عمر بن أحمد الحبيب بن محمد بن المبروك بن الحاج أحمد (بوسبع حجات)، ولد سنة 1287هـ بزاوية سيدي حيدة في بيت علم وجاه، تبحر في علوم الدين واهتم بالتاريخ، من مؤلفاته كتاب: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، توفي سنة 1345هـ ينظر: محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي، تح: مولاي عبد الله سماعيلي، **نقل الرواة عمن أبدع قصور توات**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص 42.

[4] . محمد بن عمر البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة المخطوطات بن حسان بزاوية تنيلان، أدرار الجزائر، ص ص 4، 5.

للعبادة، فكل من أتى إليها من الأولياء انقطع فيها للعبادة ولذلك تُعرف بكثرة أولياء الله الصالحين[1].

وفي الكتابات العربية غير المحلية، يقول عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر السعدي في كتابه (تاريخ السودان) أن كلمة توات في لغة أهل سنغاي تعني مرض يصيب الأرجل، وبرر ذلك بأن سلطان مالي (كنكن موسى)[2] في رحلته إلى الحج مر على توات في القرن الثامن هجري بجيشه، فأصيب هناك بعضهم بذلك المرض وتخلفوا من وراء الموكب، فاستوطنوها وأطلقوا عليها تلك التسمية[3]، وتذكرها فهرست الرصاع (ت 894هـ/ 1489م) أنها لأحد البطون المنحدرة من قبائل الملثمين من صنهاجة الصحراء الجنوبية للمغرب[4]، ويشير محمد بن امبارك في مخطوطه (تاريخ توات) أن كلمة توات أصلها أعجمية أطلقتها قبائل من لمتونة عندما التجأت إلى الأقاليم منتصف القرن 12م على المكان بعدما وجدوه يواتيهم[5].

أما عن الكتابات الأجنبية فقد ذكر (Martin A.G.P) أن مخطوطة كُتبت سنة 1687م بقصر باحو تيمي تذكر أن التسمية تعود لأهل المنطقة لما رفضوا دفع الأتوات، وعاد عامل السلطان بدون طائل، ظل الناس يصولون ويجولون على ذلك الحال، حتى حذفوا الألف واللام من الأتوات وصاروا يقولون "نحن أهل توات"[6]، ثم يقول في كتاب آخر أن أصلها بربري يرتبط بكلمة "Oua" كمفردة وجمعها "Touat"، مثل ما يقال بالبربرية المحلية "Touat'n ebbou" ومعناها "واحة المياه"[7].

وعلى منوال (مارتن أ.ج.ب) نجد (Elisée Reclus) يؤيده في القول، حيث ذكر أن توات كلمة بربرية تعني الواحة، وتطلق على واحات النخيل في الصحراء بين بلاد الطوارق والجنوب

---

[1] . شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط مرقون، ص 5.

[2] . **كنكن موسى:** وفي لفظة أخرى كنك موسى، وهو من ملوك مالي العظماء، كان سلطاناً صالحاً وتقياً، قيل أنه قتل أمه بالخطأ فنصحه العلماء بالسفر إلى البقاع المقدسة ليستغفر ويكفر عن ذنبه، وفي الطريق خرج بجيش كبير وكان يقسم العطايا والهدايا على الناس، مر على توات في تلك الزيارة التي كانت خلال القرن 8هـ/14م. ينظر: محمود كعت التنبكتي، **تاريخ الفتاش**، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت 2014، ص ص 120-126.

[3] . عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، طبعة هوداس، المدرسة الباريزية، باريس 1981، ص 7.

[4] . أبو عبد الله أحمد الأنصاري، **فهرست الرصاع**، تح: محمد العنابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس 1967، ص 127.

[5] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 2.

[6]. A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Augustin Challamel, Paris 1908, p.42.

[7]. A.G.P Martin, **Quatres Siécles d'histoire marocaine: au Sahara de 1504 à 1902, au maroc de 1894 à 1912**, lebrarie felix alcan, Paris 1923, p.1.

الشرقي ومنطقة الرمال الغربية[1]، ونقلاً عن أحمد العماري يرى (G. Mandeville) في كتابه (L'Algérie Méridionale et Le Touat) أن إسم توات أطلقه العرب والطوارق[2] على تلك الواحات أسفل وادي الساورة ووادي المسعود[3].

رأيٌ واستنتاج

وكخلاصة لما ورد، فإن التعريف بكلمة توات لم يستقر عليه أي معنى، ولم يرجح فيه أي تعريف على الآخر، لكن ما أمكننا استنتاجه أن ترجيح معنى "توات" يكون بين إثنين: إما التعريف العربي المشتق من كلمة "**أتوات**" وهذا الرأي أدعمه، وقوة هذه الرواية تستند على كتابات ومخطوطات وروايات محلية تكاد تتفق عليها، خاصةً أن هذا المصطلح (توات) ظهر حقاً ما بعد القرن 6هـ حيث رواية فرض الأتوات على أهل المنطقة، ولم نجد في المصادر قبل هذا التاريخ أي ذكر للتسمية رغم الإشارة للمنطقة في كذا كتابات، أو التعريف البربري المشتق من كلمة "**Oua**" وقوة هذه الرواية تستند على أن أول من سكن المنطقة هم من البربر الزناتة، لكن في رأيي ما يعاب على هذه الرواية وينتقص منها، أننا لم نجد أي إشارة لتسمية توات في الكتابات والمصادر التي قبل عهد الموحدين.

وتجدر الإشارة أن المصادر الأقدم تكلمت عن توات وصفاً وإشارةً وحتى ذِكراً لبعض قصورها، لكنها لم تذكرها باسم "توات" بشكلٍ واضح، مثل ما ورد عن بطليموس وهوميروس وهيرودوت واليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والإدريسي وغيرهم، ولو كانت الكلمة بربرية وشائعة لذُكرت في تلك المصادر، وفي وجهة نظري أن أول من أشار إليها بهذه التسمية "توات" هو ابن بطوطة ومن بعده ابن خلدون والرصاع والحسن الوزان وغيرهم، وابن بطوطة (ت

---

[1]. Élisée Reclus, "Nouvelle géographie universelle", tome11, 2[e] partie, librairie Hachette et cie, Paris 1886, pp. 845-846.

[2] . **الطوارق:** شعب من البدو الرحل ذو أصول أمازيغية، يتخذ من الصحراء الكبرى الممتدة بين ليبيا والجزائر والنيجر ومالي وبوركينا فاسو موطناً لهم، والطوارق شعب مسلم مع خليط في بعض الأماكن لبعض المعتقدات الأخرى، وتختلف المصادر في أصولهم وسبب تسميتهم، فهناك من يربطهم بقبيلة حمير باليمن، والبعض يراهم بربراً على غرار قبائل صنهاجة، ويربطهم البعض بطارق بن زياد أو بالتوارك أي وادي تاركة في ليبيا أو حسب رأي آخر بلغة تماشق التي تعني الرجال الأحرار، ويناهز تعدادهم حالياً حوالي 3.5 مليون نسمة. ينظر: صفحة موسوعة قناة الجزيرة، الطوارق شعوب أمازيغية تسكن الصحراء الكبرى بأفريقيا، 2023/08/13، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 20:00 مساءً،

https://www.aljazeera.net/encyclopedia

[3] . أحمد العماري، **توات في مشروع التوسع الفرنسي**، منشورات كلية الآداب - فاس، المغرب 1988، ص 11.

779هـ/ 1377م) جاء في القرن الذي يلي عهد الموحدين وقصة الإتاوات، وهذا ما استندت عليه في التمييز بين تلك التعاريف السابقة، على أساس أن التسمية تأخذ معناها من فترة ظهورها، وليس بربطها بأوائل المستوطنين في المنطقة، ناهيك على أن تلك المصادر لم تنبش في أصل ومعنى التسمية، بل نجد مثلاً الرصاع يربطها بصنهاجة دون الإشارة لمعناها وهو يقصد سكانها الأصليين؛ وهذا حسب رأيي.

2- قصور المنطقة

يعود تعمير منطقة توات إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد أثبتت بعض الشواهد والآثار استعمال الرومان والفينيقيين طريق توات في علاقاتهم، كما استوطنها اليهود منذ حوالي 50 سنة قبل الميلاد[1]، واعتماداً على شواهد وفرضيات أخرى فمنطقة توات عمّرها الإنسان منذ حوالي 130 قرناً، وفي قراءة أخرى ترجع عمارة المنطقة إلى ما قبل الفتح الإسلامي، حيث كانت تعرف بالصحراء القبلية ثم ازداد تعميرها في القرن 4هـ بعد جفاف وادي قير[2] (والقاف هنا يُقرأ Gi)، وتتشكل توات من عدة قصور[3] سكنية قريبة من بعضها البعض، طابعها العمراني حجارة وطين، غالباً ما تكون مستطيلات أو مربعات على النمط الإسلامي، وبها قلاع ومراكز مراقبة لغرض حمايتها والدفاع عنها، وتتخللها واحات ذات بساتين نخيل وعيون ماء تسمى محلياً (الفقّارات)[4].

---

[1] . جعفري مبارك، **النظام القصوري الواحاتي ودوره في تطور منطقة توات بين القرن 9 و13هـ/ 15 و19م**، المهرجان الوطني الثاني حول اسدراتن، ورقلة 2018/04/19، ص 2.

[2] . توفيق بوزناشة وآخرون، **دليل الجمهورية ولايات وبلديات**، ج1، مطبعة ناكسوس تي في، الجزائر 2013، ص 44.

[3] . **القصر**: فضاء جغرافي مشترك تسكنه عدة عشائر وقبائل، تجمع بينها علاقات قرابة ومصالح اقتصادية واجتماعية وأمنية، ويشتمل على قصبة واحدة أو أكثر، وعلى مرافق أخر كالسوق والرحبة، تحيط به الواحة والمقبرة والضريح، ينظر: عبد الله بابا، **الحياة الإجتماعية والإقتصادية بتوات...**، المرجع السابق، ص 27.

[4] . **الفقارات:** مفردتها فقارة، وهي تقنية ري كانت معروفة في صحراء إفريقيا وآسيا، يعتقد أنها انتقلت من بلاد فارس إلى بلاد المغرب خلال القرن 11م. وتقوم على حفر ساقية جوفية تنساب عبرها المياه من الجوف إلى سطح الأرض، تبدأ من البئر الأول ويسمى رأس الفقارة، ثم تتبعها سلسلة من الآبار في خط مستقيم حتى تصل إلى القصور، وبين كل بئر وآخر مسافة بين 10 و20م، وعمق البئر الأولى حوالي 20م ثم يتناقص من بئر لآخر حتى يصل بعد البئر الأخير إلى سطح الأرض بشكل تلقائي فتتوزع عبر ما يسمى بالقصرية والسواقي، ينظر: محمد أعفيف، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط (ب ت)، ص ص 31، 32.

2-1- طبيعة العمارة والتجمعات القصورية[1]

بخصوص الطابع العمراني لقصور وقصبات توات، سنجد أن المواد الأساسية في البناء والتشييد هي الطين والحجارة والجير والرمل والمواد المشتقة من النخيل (جذوعها، وجريدها، وكرنافها، وأليافها، وعصي عراجينها...). وعن خصائص العمارة والهندسة القصورية فإنها تميزت بعوامل عدة أثرت فيها، حيث شُيدت على أسس وعناصر لها ارتباطات إيكولوجية واجتماعية حسب الثقافة القصورية التي ساهم فيها الإنسان التواتي، وهذه العناصر المؤثرة نلخصها كالتالي:

1.2.1. البيئة

فعلى هذا الأساس توجد معظم القصور في هندستها لها خصوصية ترتبط بالواحة، حيث نجد إما البساتين تكون محيطة بالقصر، أو في أسفل ونهاية القصر، وفي كلتا الحالتين يستفيد القصر من عنصر الماء والاخضرار اللذين يساهما في تلطيف الجو وصد الرياح ووقف زحف الرمال، كما أن الشكل الضيق والمتلاصق للمنازل في القصر يوفر الظل ويكسر أشعة وحرارة الشمس، وبرودة الطقس في الشتاء، وكذلك قلة الفتحات والنوافذ الخارجية للبيوت ساعدت على حمايتها من الرياح والأشعة الحارقة، في حين وجود أفنية ونوافذ داخل المنازل أعطاها ميزة الحصول على الضوء والشمس دون ضررٍ، ناهيك عن مواد البناء الطبيعية وحجم وسُمك الجدران التي تصل فيها إلى 50 سم، مما يحمي البيت من كل العوامل الخارجية.

وحتى مادة الطين التي تكون أساسية في البناء، من خلال الطوب وصقل الجدران بها، كانت من الاختيارات الموفقة لدى البنّاء والعمران التواتي، فهي مادة تحتفظ بالحرارة شتاءً وتنشرها ليلاً دافئةً، وتمتص الحرارة صيفاً وتنعكس باردةً في الظل، وهي مادة متاحة وغير مكلفة للجميع، وبغض النظر عن مقاومتها لظروف الصحراء القاسية، فكذلك لها صورة جمالية موحدة مع خضرة البساتين وصفرة الكثبان الرملية وزرقة السماء، مما زاد من إعجاب الزائرين لها وبفضلها صارت مقصداً جاذباً للسياحة في يومنا هذا، ولعل شهرة مدينة تيميمون باسم الواحة الحمراء قد أخذتها من تلك اللوحة الجمالية للقصور الطينية.

والجميل أن كل مواد العمارة القصورية كانت صديقة للبيئة وتُنتَج من الطبيعة، فالطوب الأحمر الذي كان يُصنع محلياً من الطين والرمل والحجارة والماء، كان يخمّر ويُعجن ويُصب بقوالب

---

[1] . هذا المبحث مجتزأ من المرجع: طهيري عبد الكريم، "القصور الطينية في توات: مساهمة في المقاومة الشعبية ومحاكاة للبيئة الصحراوية"، ***مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية***، المجلد11، العدد01، الجزائر 2025/06/30، ص ص 132-153.

حديدية أو خشبية، وتكون العملية في البستان أو ساحة تحفر فيها حفرة ضخمة تسمى "العجنة"، حتى أننا كنا نسمع منذ نعومة أظافرنا تراثاً محلياً مصاحباً لهذا العمل، فالذي قد لا يأخذ العملية بمأخذ الجد يلام بمثل شعبي متداول يقول "راك داخل للعجنة بلا سروال"، وكان الماء يُجلب من الفقّارة، ويتم ترك الطوب في الشمس حتى ييبس، وكان الطوب بمختلف الأحجام على حسب الحاجة، وكان بعض الطوب يُصنع باليد فقط دون استخدام القوالب، ثم في بناء البيوت تكون الأساسات من الحجارة، وتُستخدم بكثرة مشتقات النخيل وبعض نباتات البور كالسْبَط.

وأهم ما يلاحظه الباحث في قراءة خريطة توزيع أرخبيل القصور التواتية، أنها كلها تتواجد بمحاذاة هضبة تادمايت والأودية الصحراوية، وهنا تكمن عبقرية الانسان التواتي في استيطانه للمنطقة، فقد اكتشف الباحثون أن قصور توات كانت تأخذ منابع مياهها عبر نظام الفقّارات من الخزان الجوفي الضخم الذي يتواجد حول هضبة تادمايت، حيث نجد قصور تيديكلت التي تقع شرق الهضبة تمتد آبار فقاراتها من الغرب إلى الشرق، والعكس بالنسبة لجهة قورارة التي تقع غرب الهضبة حيث تمتد فقاراتها من الشرق نحو الغرب وكذلك قصور توات الوسطى إلى أن تميل جنوباً وشرقاً، وهكذا دواليك تماشياً والحواف المنخفضة لهضبة تادمايت.

والعجيب أن قصور توات كلها تقع منخفضةً عن هضبة تادمايت[1]، وأن التواجد البشري في هذه الهضبة منعدماً تماماً، مما يعني أن تعمير المنطقة كان على أساس محاكاة مسار الماء الذي وجدوا أن تدفقه التلقائي يكون من الهضبة إلى حوافها؛ ناهيك على أن استفادة هذه القصور كذلك من مصبات الأودية المحاذية لها كوادي الساورة والمسعود وأمقيدن كانت متاحة، فتواجد القصور في أحواض هذه المصبات وفّر لها تربة سهلية فيضية تصلح لتكوين واحات زراعية خصبة، وفي نفس الوقت إمكانية وجود مراعٍ وسبخات في البور لها قيمتها الاقتصادية والتجارية كمسالك ونقاط عبور؛ وللإشارة فهناك دلائل على وجود قديم لنهر أو وادٍ ضخم من خلال بقايا أصداف وقواقع وعظام أسماك بل وحتى سلاسل قوارب بحرية، لا زلنا نعثر عليها في منطقتنا (جهة دلدول) من حينٍ لآخر.

2.1.2. المجتمع والدين

من خلال هذين العاملين نلاحظ أن الانسان التواتي بنى قصوره على أساس نمطية مجتمعه وعلاقاتهم فيما بينهم، حيث نجد أحياناً لكل قبيلة قصبة ولكل فئة من تركيبة المجتمع حي، حتى أننا نجد تسميات القصبات والأحياء على ذلك الأساس، مثل قصبة باجودة وقصبة أولاد

[1] . ينظر للملحق رقم 02.

حادقة وقصبة أولاد باجلول في جهة عين صالح، والأحياء مثل زقاق الشرفا وزقاق الطلبة وزقاق الجنة وكلها في قصر واحد من قصور دلدول؛ ونجد كذلك ضمن هذه الخصوصية تواجد المرافق المشتركة في المكان الوسط والمناسب للجميع، مثل المسجد والرحبة والسوق الذين غالباً ما يوجدون في قلب القصر، والمقبرة والبساتين والفقارة الذين غالباً ما يحيطون بالقصر، كما أن بساطة البناء والتخطيط وتوحيد ذلك النمط، كان سِمة من سِمات تذليل الفوارق الاجتماعية وصورة عن عدم التمييز والتمايز بين طبقات وفئات المجتمع التواتي.

أما روحياً ودينياً فقد أعطى المصمم القصوري للجانب الديني قيمة واهتماماً في طابعه العمراني، حيث نجد أن المسجد أحسن وأجمل وأنظف من كل شيء في القصر، ونجد من المرافق الهامة تشييد المدرسة القرآنية أو الزاوية، ناهيك على أنه قدس علمائه وشخصياته الصالحة بأضرحة وقباب لها خصوصية عمرانية مختلفة، سواءً من حيث البناء والشكل أو اللون والمكان، ومن هذه النماذج نجد أضرحة لها قبة واحدة، وأخرى لها قبتين، وكلاهما يتم تجييره في كل مناسبة من تلك الزيارات والعادات، وحتى المساجد كان يتم تجييرها داخلياً وفيها أعمدة طينية ضخمة، والجير في غالب الأحيان كان طلاءً عزيزاً ومميزاً كأنه استثناءً وحكراً على المقدسات من العمارة الطينية في تلك القصور.

ناهيك على أن قصور توات والتي يرى بعض مؤرخيها المحليين أنها أخذت تسميتها من كونها كانت تواتي للعبادة، أو تواتي للنفي واللجوء؛ فقد كانت فعلاً منطقة تستقطب المهاجرين واللاجئين والباحثين عن العزلة والأمان، حتى أنها صارت لصيقة بأولياء الله الصالحين، وهذا الوصف والحال لم يأتي من فراغ وإنما لكونها كانت تقدس العلماء والزوايا، ولا تكاد تجد في كل قصورها اسماً أو زيارةً وعادات إلا وتقوم على ذلك الأساس، ولهذا فقد كان لهؤلاء نصيبهم في العمارة التواتية القصورية، ومن مظاهر أنصبتهم تلك الزوايا والأضرحة والبساتين والفقارات الموقوفة لهم بل وحتى تسميات كثيراً من القصور، ثم ما فتأت حتى المقاومة الشعبية الجزائرية وجدت مكاناً لها في هذه القصور، مثل: لجوء الشريف محمد بن عبد الله وبوشوشة وأولاد سيدي الشيخ على رأسهم سي قدور بن حمزة والشيخ بوعمامة.

3.1.2. الدفاع

كما كانت قصور توات قد بُنيت على أساس الجاهزية للدفاع والحماية من المخاطر البشرية الخارجية، حيث نجد في خصوصية هندستها أنها ارتكزت على المخطط التالي: القصبة في الوسط، القصر بمنازله ومسجده وساحاته يحيط بالقصبة، والبساتين والمقبرة تحيطان بالقصر، وأحياناً

نجد في بعض القصور خندقاً من الماء يحيط بالقصبة أو القصر (نسميه في اللهجة المحلية "أزيمان")، أو حتى يكون الخندق فارغاً لكنه غالباً ما يكون عميقاً إلى درجةٍ يعيق فيها ويعرقل تقدم أي عدوان؛ هذا ناهيك على أن القصر أو القصبة تكون محاطة بسور خارجي مرتفع وضخم السماكة، وغالباً ما يكون فوق تلة أو صخرة ضخمة أو جبل كما هو شأن قصور قورارة.

وفي سياق هذه الهندسة القصورية الدفاعية يذكر الرحالة السويسري (أوجين دوماس) في زيارته للصحراء الجزائرية في الفترة الممتدة بين 1843-1851، أنه في معاينته لقصور المحارزة وقورارة رأى أن المنازل فيها تتصل بالبساتين، وبعضها كان يتشكل من طابقين، وأنها كانت محاطة بسور وخندق عمقه 12 قدماً وعرضه 8 أقدام تقريباً؛ وأن تيميمون مثلاً كانت تتوسطها قلعةً بها باب واحد وأربعة غرف في أبراجها وأركانها، وكلٌ منها كان مخصصاً لحيٍ من أحيائها، حيث تُخزن فيها أموالهم وأشياؤهم الثمينة تحت حراسة مشددة تحسباً لحالات الحرب والهجوم من البرابر؛ لكن نقطة الضعف التي كانت في النموذج القوراري وكذا كل قصور توات، هي أنها لم تكن لتقاوم الحصار الطويل بحكم أن مائها يأتي من خارج السور، وهو بذلك يقصد ماء الفقارة، ومع ذلك فبعض القصور كانت تحتاط وتحفر بعض الآبار داخل القصبة.

كما أن القصبة بالنسبة للقصر كانت هي القلب النابض والملجأ الأخير الذي يحتمي به السكان المحليين، ولذلك فبنائها كان للحاجة الضرورية التي تحتم عليهم فيها، ومن أدوارها حتى ولو كانت خالية ومهجورة أنهم قد يطمرونها ويخبئون فيها مخزونهم من الغذاء، والشكل الخارجي للقصبات كان إما مربعاً أو مستطيلاً بأبراجه وزواياه الأربع، وهي بدورها ترتبط بالسور الخارجي الذي قد يتكون من طابقين أو ثلاثة، لأنه كلما كان مرتفعاً وعالٍ كلما كان أكثر حماية ودفاعاً، وما يُلاحظ فيه وجود بعض الثغرات أو الكوّات التي كانت تتخلله (مثل قصر المنصور في دلدول)، مما يعني أنها كانت مصممة لفوهات البنادق أو أسهم الرماة.

ومع كل هذه المخططات الهندسية الدفاعية لقصور توات، فقد استنتجنا في محصلة ملاحظاتنا، أن تلك المجتمعات القصورية تميزت بأربع مستويات من التنظيم السياسي والدفاعي المتدرج: مستوى القصبة، ومستوى القصر، ومستوى اتحاد القصور، ومستوى الصف، وكلها مستويات دفاعية تغطي على بعضها البعض؛ وكمثال على ذلك نجد قصبة أولاد بوغنجور وقصبة با عبد الله في قصر أولاد أوشن، وقصر أولاد أوشن مع القصور المجاورة مثل أولاد أونقال وأولاد أحمد وأوقديم وأولاد ابراهيم وبني تامرت تشكل مقاطعة واتحاد في جهة تيمي، وهذه المجموعة القصورية ذات الانتماء لصف يحمد تلتقي في الدفاع بالتحالف مع قصور أخرى في

نفس الصف من جهة تيديكلت وقورارة، ذلك لأن المنطقة كانت منقسمة سياسياً إلى صفين رئيسيين: حلف يحمد وحلف سفيان.

رأيٌ واستنتاج

وبالتالي ومما يمكن استنتاجه من خلال هذه المبحث: أن قصور توات على بساطة عمرانها وبيئتها، كانت لها عمارة خاصة تتميز بها عن غيرها من الحواضر الصحراوية، ذلك التميز عرفناه في مواد البناء وطريقة وهندسة البناء والنمط العمراني، ناهيك عن عوامل وأسس اختيار ذلك النمط وعلاقته بالبيئة والمجتمع والظروف والأوضاع، ضف على ذلك جمالية تلك العمارة وأدوارها التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وكلها كانت تشكل مجموعة خصائص وظفها المجتمع التواتي في محاكاته للطبيعة، وفي معاداته للأخطار الخارجية التي كانت تهدده بين الفينة والأخرى.

والأمثلة عن تلك المهام المنوطة بقصور توات موجودة، وخاصةً أنها كانت تصب في مصلحة حماية وأمن المنطقة، حتى أن الفرنسيين شهدوا وكتبوا على تلك القصور وكيف قاومت ودافعت ضد قذائفهم ومدافعهم، وكيف كان الناس فيها يعيدون بنائها رغم احتدام وطيس المعارك، وكيف أن الفرنسيين حتى بعد انتصاراتهم تعمدوا تحطيم وتدمير تلك الحصون والقصبات الطينية، وكأنهم كانوا يخشون استخدامها مرةً أخرى. وبالمختصر المفيد فإن قصورنا الطينية مدعاة للفخر والبحث، وعلى هذا الأساس تحتاج منا لإعادة الاعتبار لها والاهتمام بها ترميماً ودراسةً وإعادةً للبناء على منوالها، وهكذا نحافظ عليها كتراث وكعمران وكعمارة صديقة للبيئة.

2-2- أسماء وتعداد قصور توات

تذكر أهم المصادر التاريخية أن المنطقة كانت مستبحرة في العمران تغص بالسكان، وتضم حوالي 300 قصر من توات إلى تينقورارين[1]*، وبلغ تعدادها في القرن 11هـ/ 16م حوالي 200 قصر[2]، وخلال القرن 18م تم إحصاء حوالي 260 قصر[3]، وخلال القرن 19م يذكر (تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات في الأيالة السعيدة) أن عدد القصور بلغ 256 قصراً[4]؛ بل ويذكر صاحب (كتاب دائرة المعارف) أنه "وفي توات من القرى ما يقول الأهالي أن عدده كعدد أيام السنة..."[5]؛ أما عن

[1] . ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر...**، ج7، المصدر السابق، ص ص 76، 77

*. والقاف في اللفظ مع بقية الحروف يُقرأ Go.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص 9.

[3] . جعفري مبارك، **النظام القصوري الواحاتي...**، المرجع السابق، ص 3.

[4] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص 31.

[5] . بطرس البستاني، **كتاب دائرة المعارف**، مج6، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران (ب ت)، ص ص 200-262.

الدراسة والوثائق التي جمعها (لامارتينيار ولاكروا) بين سنتي 1894-1897 فقد ذكرا فيها أسماءً ومعلومات عن 337 من القصور والقصبات في المنطقة، منها 121 في قورارة و156 في توات الوسطى و60 في جهة تيديكلت[1].

ومنه، ورغم بعض التضارب الطفيف في الأرقام إلا أنه ما يمكن استنتاجه، أن المنطقة عرفت تعميراً متذبذباً من فترة إلى أخرى، وعلى هذا الأساس فقد كانت هناك قصوراً مأهولة وأخرى أطلالاً مهجورة؛ وفي يومنا هذا نستطيع إحصاء قصور المنطقة على أساس جهاتها الثلاث (توات الوسطى، وقورارة، وتيديكلت)، هذه القصور لا تزال مأهولة وعامرة بالسكان وتحمل نفس التسميات القديمة، وهي نفسها القصور التي سنحتاجها في دراستنا هذه، ولهذا ينبغي ذِكرها وتوزيعها جغرافياً، وهي كالتالي:

- **قصور توات الوسطى**

توات الوسطى أو توات الأصلية أو تسوات، كلها تسميات واحدة بناءً على أن قورارة: توات عليا وتيديكلت أو توات الحنة وما دونها: توات سفلى؛ ويبدأ امتدادها من اسبع شمالاً وبودة غرباً إلى رقان جنوباً وتمنطيط شرقاً، وهذا التحديد كان على أساس انعطاف قوافل الحجيج والتجار المارين على المنطقة باتجاه تينقورارين، يقول صاحب (درة الأقلام) في وصف توات الوسطى "أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط، فهذه القصور قاعدة توات..."[2]، وللإشارة فقد اعتمدنا في ذكر قصور المنطقة على التقسيم الإداري الحالي، وهو لا يختلف كثيراً عن التقسيمات التاريخية لجهات ومناطق توات، وهذه هي قصورها من الشمال إلى الجنوب:

قصور تسابيت[3]

ذكرها الحسن الوزان (ت 957هـ/ 1550م) بقوله "تْسَبِتْ إقليم مأهول في صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتين وخمسين ميلاً شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس..."[4]، وزارها العياشي

---

[1]. La Croix et de La Martiniére, "Documents Pour Servir a L'étude du Nord Ouest African", T.4, Éditeur: *Gouvernement Général de l'Algérie*, service des affaires indigènes, Alger 1897, pp.304-506.

[2] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 1

[3] . للإشارة فقصور تسابيت تشير إليها بعض المصادر على أنها كانت تابعة تاريخياً لجهة قورارة، وهي حالياً تابعة لولاية أدرار ومحسوبة ضمن توات الوسطى.

[4] . الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص 133.

(ت 1090هـ/ 1679م) في رحلته إلى الحجاز، فقال عنها "ودخلنا إلى أول عمالة توات، وهي قرى تسابيت، وزرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح المتبرك به حياً وميتاً، سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس..."[1]، وقصور هذه المنطقة هي: عريان الراس، برينكان، حماد، عمور، لعياد، وجلان، لمعيز، الهبلة، اسبع، القرارة (والقاف هنا يُقرأ G)[2]، بن طلحة، لقصابي، غابة مولاي علي[3]؛ والمجموع 13 قصراً.

قصور بودة

ذكرها ابن بطوطة (ت 779هـ/ 1377م) في رحلته إذ قال "ثم وصلنا إلى بودا وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ..."[4]، وذكرها ابن خلدون بإسم "جودة" في قوله "ثم توات ثم جودة ثم تامنطيت..."[5]، وقصورها هي: بني وازل، اغرم علي، زاوية سيدي حيدة، المنصور، بن دراعو، أولاد انجل، أولاد اعيش، بني اللو، لغمارة، لعماريين، القصيبة، ودران[6]، بخلة، زاوية الشيخ، أفار[7]؛ والمجموع 15 قصراً بعضها صار مهجوراً ولم يعد يُذكر.

قصور تيمي

وهذه القصور التي تحيط بمدينة أدرار عاصمة الولاية والمنطقة حالياً، هي قلب ومركز منطقة توات بعدما كانت تمنطيط هي المركز والعاصمة، وأدرار مدينة أسسها القائد الفرنسي "لابيرين" سنة 1902 بمحاذاة قصور تيمي، وهذه القصور هي: تينيلان، واينة، ميمون، ملوكة، بوزان، كوسام، بربع، أوقديم، أولاد اونقال، مراقن (والقاف في هذه التسميات الثلاث يُقرأ Ga)، أدغاغ، أولاد أوشن، أولاد علي، أولاد أحمد، أولاد إبراهيم، أولاد بوحفص، المنصورية، مهدية، بني تامر، أولاد عيسى، أولاد عروسة، زاوية سيد البكري، باعبد الله، وأدرار المدينة[8]؛ ومجموع قصورها 23 قصراً، علماً أن بعض القصور الأخرى اندثرت وهُجرت مثل قصر أقبور.

---

[1] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية 1661-1663**، مج1، ط1، المصدر السابق، ص 79.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص 15.

[3] . توفيق بوزناشة وآخرون، **دليل الجمهورية...**، المرجع السابق، ص 62.

[4] . ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: محمد العريان، مر: مصطفى القصاص، ج2، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت 1987، ص 713.

[5] . ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج6، المصدر السابق، ص 78.

[6] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص 11.

[7] . توفيق بوزناشة وآخرون، **دليل الجمهورية...**، ج1، المرجع السابق، ص 58.

[8] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص 11.

قصور تمنطيط

وهذه الحاضرة كانت عاصمة مزدهرة لمنطقة توات قبل الاحتلال الفرنسي، ذكرها ابن خلدون في عدة مواضع منها قوله "ويسمى وطن توات، وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران..."[1]، وقصورها كالتالي: بوفادي، توكي، بنكور، نومناس، أولاد الحاج مامون، آنكير، بالحاج[2]، زاوية سيدي البكري، تمليحة، سيدي وعلي[3]؛ وبالتالي فمجموع قصور منطقة تمنطيط هو 10 قصور.

قصور فنوغيل وتامست

وقد ذكر سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المزمري (كان حياً في 1747م) بعض قصورها، حيث قال "فجئنا بلدة أعباني في نحر الظهيرة، فمكثنا ما شاء الله، وأخرجوا لنا تمراً وجلسنا قليلا، وارتحلنا منها فجئنا بلدة تاسفاوت بعد العصر..."[4]، وقصور هذه الجهة هي: اعباني، تاسفاوت، العلوشية، ودغة، بن همي، عزي، المنصور، مكرة، قصبة أولاد مولاي لحسن، أولاد برشيد، قصبة أولاد مولاي بوفارس، أبا عمر، زاوية سيدي عبد القادر، سيدي يوسف، بويحيا، الجديد، أولاد عنتر، تمالت، لحمر، إكيس، غرميانو، تيطاف، إغيل، تماسخت[5]؛ وقصورهما 24 قصراً.

قصور زاوية كنتة وانزجمير

فأما زاوية كنتة فتضم القصور التالية: زاوية كنتة، تيوريرين، مكيد، الشباني، أدرور، زاقلو العرب، زاقلو المرابطين، بوزقزاد (والقاف في هذه التسميات الثلاث يُقرأ G)، تبركانت، أولاد الحاج، مناصير، تاخفيفت، تازولت، آدمر، بوعلي، أظوى، أغرمملال، زاوية الشيخ المغيلي[6]. وجهة انزجمير تُنطق أيضاً انجزمير قصورها كالتالي: انجزمير، تيلولين الشرفا، تيلولين المرابطين، زاوية بلال، تيطاوين الشرفا، تيطاوين لخراص، الخلفي، أوغزير، تيدماين، المحفوظ، بوانجي، قصبة المرابطين، قصبة القايد، القصر الفوقاني[7]، والخلفي، وتيدماين[1]. وبالتالي فمجموع قصور هذه المنطقة التي تُعرف بتوات الحنَة

---

[1] . ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر...**، ج7، المصدر السابق، ص ص 76، 77.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص 12.

[3] . توفيق بوزناشة وآخرون، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 64.

[4] . ضيف الله بن محمد بن أب التواتي، **رحلتي لزيارة قبر الوالد**، تح: جعفري أحمد أبا الصافي، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2015، ص 163.

[5] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص ص 12، 13.

[6] . توفيق بوزناشة وآخرون، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 76.

[7] . توفيق بوزناشة، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 49.

لارتباطها بهذا المنتوج هو 32 قصراً، ويبدو أن هذا الوصف كان مشهوراً عن هذه الجهة، فقد أشار الأغواطي مثلاً إليه في قوله "وتقع جنوب أولف قرية طيت، وفي غربها تقع قرية أخرى تسمى توات الحناء، وتنتج هذا البلاد الحناء والتمر بكميات وفيرة..."[2].

قصور رقان وسالي

وقد ذكرها أيضاً ابن خلدون فقال "وفي الشمال عن ركان قصور تسابيت، وفي الشمال عنها إلى الشرق قصور تيكورارين..."[3]، وقصور رقان وسالي على التوالي هي: انتهنت، تعرابت، تينولاف، آيت المسعود، توريرت، أنزقلوف، النفيس، زرافيل اغيل، تيمادنين، والقصر الجديد. وعن سالي: برماة، المنصور، زاوية لحشف، تينور، بريش، أولاد باحو، المستور، أتزيرية، قصبة الجنة، قصبة القايد، قصبة النجار، قصبة أولاد مولاي علي، لمحارزة، القصر الجديد، العلوشية، قصبة سيدي الشريف، قصبة أولاد مولاي عبد الواحد، أولاد مولاي العربي[4]؛ والمجموع 28 قصراً. (والقاف في في رقان وأنزقلوف يُقرأ G).

وبالتالي مجموع قصور منطقة توات الوسطى حسب ما سلف ذكره هو: 145 قصراً

- **قصور قورارة (تينقورارين)**

تُعرف تاريخياً باسم تينقورارين أو تيقورارين أو تيكرارين وتُنطق القاف G، وتينقورارين كلمة زناتية معناها "المعسكرات" وهي تلك المخيمات التي أنشأها بربر المنطقة في سكنهم واستيطانهم الأول؛ وأما كلمة "قورارة" فهي تعريب بسيط لسابقاتها، لكنها أصبحت أكثر تداولاً خاصةً في العهد الفرنسي الاستعماري، وسنأخذ بها كصيغة موحدة وشاملة طيلة هذا البحث وتُقرأ باللغة الأجنبية على النحو التالي (Gourara)، وتقع هذه المنطقة شمال توات الوسطى وتبدأ قصورها من قصور تسابيت جنوباً إلى غاية العرق الغربي الكبير شمالاً، ووادي الساورة غرباً، وهضبة تادمايت وحدود منطقة المنيعة شرقاً.

وتمتد الـقورارة فلكياً بين دائرتي عرض 28° و 31° شمالاً، وخطي طول 0° و 2° شرقاً، وبذلك فخط غرينيتش يمر بمحاذاتها في أقصى نقطة منها غرباً[5]، وتتربع على مساحة قدرها 64640

---

[1] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 143.

[2] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 94.

[3] . ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر...**، ج6، المصدر السابق، ص 88.

[4] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص ص 14، 15.

[5] . غوغل إرث، الموقع الفلكي لمنطقة قورارة، اطلع بتاريخ 2024/04/09، التوقيت: 00:50 ليلاً، www.google.com/intl/ar/earth

كلم² في أقصى الجنوب الغربي للجزائر بعيداً عن الجزائر العاصمة بحوالي 1300 كلم، تحدها شرقاً هضبة تادمايت التي يبدأ واد أمـڤيدن عند أقدامها، وترسم حدودها غرباً أولى سلاسل الساورة، أما شمالاً وجنوباً فلا يبدو ثمة أي حد طبيعي سوى غياب كل موطن قار[1].

وقد ذكرتها كثير من المصادر التاريخية مثل: ابن خلدون الذي قال عنها "وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الأوسط"[2]، ويقول أيضاً "قصور تيكارين وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق، واستبحرت في العمران وغصت بالساكن..."[3]، وذكرها الحسن الوزان بإسهاب فيقول "تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلاً عن شرق تسبت، حيث يوجد ما يقرب من خمسين قصراً وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل. وسكان هذه المنطقة أغنياء..."[4]، كما تكلم عنها مارمول كربخال فقال "تقع هذه المنطقة بصحراء نوميديا، وتبعد عن تسبين بنحو أربعين فرسخاً، يسكن أهلها بخمسين قصراً متفرعة وبأكثر من مائة مدشر وسط النخيل الفسيح. أهل تيكورارين أغنياء..."[5]، وقال عنها الفشتالي "قطر تيكورارين وهو أعظم اشتهاراً وأعرف نقيباً وأشد شوكةً وأخشن جانباً..."[6]؛ وهذه هي قصور جهاتها وتجمعاتها السكانية:

قصور دلدول والمطارفة

كانت القوافل القادمة من وادي الساورة أو عبر وادي المسعود لاستكمال مسيرها نحو البقاع المقدسة تنعطف جهة الشمال الشرقي لمنطقة تسابيت، حيث أول قصر يقابلك هو قصر كبرتن الذي صار اليوم إدارياً تابعاً لدائرة تسابيت، وقد كانت سابقاً ضمن منطقة قورارة التي تبدأ من قصور المطارفة: المطارفة، الساهلة (الدغامشة التي ذكرها العياشي)، أولاد علي، أولاد راشد، أولاد محمود، أوفران، رغم أن بعض هذه القصور كانت تنتمي محلياً لجماعة دلدول في إطار نظام القيادة القصورية.

---

[1] . أحمد جولي وآخرون، **دليل مهرجان أهليل نشيد قورارة الأزلي**، دار الثقافة الجزائر 2012، ص 23.

[2] . عبد الرحمن ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر...**، ج6، المصدر السابق، ص 131.

[3] . عبد الرحمن ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر...**، ج7، المصدر السابق، ص 77.

[4] . الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، المصدر السابق، ص 133.

[5] . مارمول كربخال، **إفريقيا**، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984، ص 163.

[6] . أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط 1972، ص 73.

وأما عن دلدول فيمكن تمييز جهتين تاريخيتين، قصور دلدول وهي: أولاد عبو، الساهلة، الحدبان، المنصور، أقبور، أورير؛ وقد مر على هذه القصور سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المزمري في رحلته سنة 1747م، إذ يقول عنها "فلما جئت دلدول إذ حضور عبد المولى وعدمه سواء...، فجئنا قصر الشيخ عبد المولى أولاد عبو، وهو أي دلدول مشتمل على نحو أربعة قصور..."[1]، وقصور زوى دلدول ذات اللهجة الزناتية وأغلبية قبائلها بربرية وهي: إقسطن، البركة، توكي، أولاد عبد الصمد، بلغازي، وهي المنطقة التي ينتمي إليها الحاج الطيب العبادي صاحب القصيدة المشهورة (يا سيدي بوتدارة) والتي يقول في بعض أبياتها:

نقول أهلي دلدول، يا مدى فيه من الفحول،

غــيّـات الموحـول، فرسان تجي غــوارة[2].

ومجموع قصور دلدول والمطارفة معاً هو 18 قصراً.

قصور أوقروت والخنافسة[3]

وهذه المنطقة أيضاً وإن أصبحت حالياً بلدية واحدة فهي تاريخياً كانت قسمين: أوقروت (القاف G) وهي منطقة بربرية زناتية والخنافسة ذات القبائل العربية، وقد زارها العياشي في رحلته إلى البقاع المقدسة وذكر عنها أنها آخر البلاد التي كانت تحت طاعة شريف سجلماسة، وقال عنها "وخلفنا قرى توات وراءنا وعدلنا ذات اليسار إلى بلاد أوكرت، ونزلنا بقرى الدغامشة قرب زاوية سيدي عبد الله ابن طمطم..."[4]؛ وتكلم عنها ابن مليح فقال "وأوكروت آخر بلاد توات من تلك الناحية، أقمنا به يوماً للتهيء لدخول الصحراء المعروفة بأزكر..."[5]؛ وقصور أوقروت هي: بوقمة (والقاف هنا يُقرأ Ga)، الشارف، عالية، الزاوية، أقبور، اعبود، وقصور الخنافسة هي: بن عايد، قصر الحاج، تينقلين، تالة، زاوية سيدي عبد الله[6]، تيبرغمين. وإذا استثنينا قصر "العالية" الذي اندثر ولم يعد موجوداً فإن عدد قصور هذه المنطقة هو: 10 قصور.

---

[1] . ضيف الله بن محمد بن أب التواتي، **رحلتي لزيارة قبر الوالد**، ج1، المصدر السابق، ص ص 463، 464.

[2] . الحاج الطيب العبادي، يا سيدي بوتدارة، قصيدة شعر دارجة يؤرخها صاحبها في 906 هـ/ 1500م، نسخة مكتوبة عند عائلة بوتدارة، البيت الشعري رقم 27.

[3] . **الخنافسة:** من القبائل العربية، يتواجدون في قصور كبرتن وأوقروت وتينركوك وآغيات والحاج قلمان منذ القرن 12م. ينظر: محمد حوتية، **توات والأزواد**، ج1، المرجع السابق، ص 71.

[4] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، مج1، المصدر السابق، ص 80.

[5] . أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، **أنس الساري...**، المصدر السابق، ص ص 30، 31.

[6] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 141.

قصور دائرة شروين

كانت تعروف باسم "سروين" حسب ما تطرقت له كتابات تاريخية منذ القرن 16م، وظهورها بالتسمية الحالية كان خلال العهد الاستعماري[1]، وتبعد عن تيميمون عبر مسافة قدرتها السلطات الاستعمارية بحوالي 60 كلم غرباً[2]، وقصورها حالياً هي: شروين، أجدير الشرقي، أجدير الغربي، قصر تبو، أسفاو، بني يسلم، تاقلزي (القاف G)، تينكرام، قصر باكو، تاوريرت، أوماح، تين زيري[3].

وأما عن طلمين التي تعني "النوق"، تم تأسيسها خلال القرن 6هـ من طرف الشيخ يوسف أحد أعيان مملكة "أوسيف" في المنطقة، في رحلته إلى البقاع المقدسة وجد مجموعة من النوق يرتوون حول بئر فسماها عليهم[4]، وهذه هي قصورها: تاغوزي، نعمة، الساقية، باحمو، بوكزين، قلو، تيمارين، قطوف، تاعرابين، يحيا ودريس، تاكيالت، تاقنوت، تمسقلوت (القاف G في كلتا الكلمتين)، سيد المختار، تناصر، زعيتر، اللجام، راشد، تاوراخت، فناون، طلمين. وأما أولاد عيسى أو ما كان يعرف سابقاً بآت عيسى فقصورها: حيحا، قنتور (القاف G)، وانودي، لحمر، ياكو، سمجان، الكرط، تاونزا، تسفاوت[5]. وهي أقرب إلى تيميمون من غيرها حيث لا تتعدى المسافة بينهما 39 كلم[6]؛ ومنه فمجموع قصور كل من شروين وطلمين وأولاد عيسى بلغ: 42 قصراً.

قصور تيميمون

وهي عاصمة ومركز قوارة قديماً وحديثاً، ذكرها الفشتالي في سياق حديثه عن تينقورارين التي وصفها بأنها "كانت أحَدّ شوكةً وأصلب عوداً، واعتملوا تينميمون منها قاعدة قصورها وأم قراها..."[7]؛ وزارها ابن أُبّ المزمري عدة مرات فوالده الشيخ سيدي محمد بن أُبّ كان عالماً جليلاً فيها، توفي ودفن فيها حوالي سنة 1747م، وتكلم عنها الأغواطي في رحلته بإعجاب حتى يُخيل إليك أنه كان يبالغ في وصف عظمتها وازدهارها، حيث قال "إن تيميمون بلدة كبيرة،

---

[1] . بوزناشة توفيق وآخرون، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 82.

[2]. Guillaume de Champeaux, **a Travers Les Oasis Sahariennes**, R.Chapelot et Cie, Paris 1903, pp.101-104.

[3] . الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "رئاسة الحكومة"، ***الجريدة الرسمية***، ع26، مرسوم تنفيذي رقم 21-128، الجزائر 2021، ص 13.

[4] . بوزناشة توفيق وآخرون، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 81.

[5] . الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ***الجريدة الرسمية***، المصدر السابق، ص 13.

[6]. Guillaume de Champeaux , **a Travers Les Oasis Sahariennes**, Op.Cit, pp.101-104.

[7] . أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، المصدر السابق، ص 76.

ولكن ليس لها أسوار تحميها لأن منازلها جميعاً متراصة، ولها سوق عظيم..."، ثم يضيف في نفس السياق "ولها سوق يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة..."[1].

كما ذُكرت تيميمون من طرف الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر التنيلاني[2] في رحلته للجزائر 1816م فقال: "فلما قدر الله سفري لمحروسة ثغر الجزائر، وكان سفري لها في أوائل شهر شعبان المنير، أحد شهور إحدى وثلاثين ومائتين وألف، خرجت من بلدتنا زاوية تنيلان ثالث الشهر المذكور، وفي ثامنه دخلت بلدة تيميمون، قاعدة قرى قُرارة، وأقمت فيها تسعة أيام"[3]. وأما صاحب مخطوط (درة الأقلام) فقال عنها: "وقوة توات وكثرتها في قُرارة تيميمون، وقاعدة قُرارة تيميمون..."[4].

ونظراً لأن المنطقة عرفت أهوالاً وأحوالاً خاصةً على يد جيش أحمد المنصور الذهبي[5] خلال القرن 16م، فقد اختفت قصوراً وقبائلاً وتغيرت ملامح الحياة فيها، فمنها من لا تزال عالقة في الأذهان ومنها من اندثرت حتى تسمياتها، وعلى هذا الأساس قد نجد تضارباً واختلافاً في قصور المنطقة، مما استدعى منا إلى معاينة شخصية ومساعدة من بعض شيوخ زوايا المنطقة، وهذه هي القصور التي وقفنا عليها: الواجدة، تورسيت، تمانة، أولاد الطاهر، أغيات، ليشتا، بني ملوك، زاوية سيدي الحاج بلقاسم، المنجور، المشور، تاحتايت، تازقاغت (القاف Ga)، أولاد إبراهيم، بويحيى، أولاد نوح، اغام املال، أولاد المهدي، اغام الشريف، أولاد الحاج، سموطة، يفزا الكاف،

---

[1] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 93.

[2] . هو الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف (هذا الأخير مؤسس قصر تنيلان)، ولد سنة 1181هـ/1767م بتنيلان، كان عالماً في أصول الفقه والتفسير ومن أعلام الرحلة والشعر في توات، من أهم مؤلفاته: الرحلة إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/1816م، توفي في قرية سيوة بمصر عام 1233هـ/1817م. ينظر: عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/ 1816م**، تح: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015، ص ص 272-311

[3] . عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر عام 1231 هـ/ 1816م**، المصدر السابق، ص 448.

[4] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 1.

[5] . **أحمد المنصور الذهبي:** وُلد عام 1549م في مدينة فاس، نشأ في بيت جاه وسلطان، كان بارعًا في الفقه والشعر والأدب والرياضيات والمنطق، واكتسب خبرةً سياسية وعسكرية كبيرة، وصل إلى الحكم سنة 1576 وانتصر في معركة وادي المخازن ضد البرتغاليين سنة 1578م، وضم إلى مملكته قصور الصحراء ومالي وشنقيط وبرنو، توفي بالطاعون سنة 1603م. ينظر: تمام طعمة، أحمد المنصور الذهبي سابع سلاطين المغرب، 2023/08/09، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 21:50 مساء، www.mawdoo3.com

مراد، مغمورة، فرعون، تلوين، بابا يدا، ابن عيسى، دلمال، بدريان، تلالت، زقور، ماسين، طروايا[1]؛ فمجموع قصور تيميمون: 33 قصراً.

قصور أولاد سعيد

هذه البلدة عاش فيها الشيخ المغيلي فترة طويلة ودفنت فيها زوجته أخت سيدي عبد الرحمن الثعالبي وأحد أبناءه، وحارب فيها اليهود كما كان شأنه في منطقة تمنطيط[2]، وتبعد عن مدينة تيميمون بحوالي 30 كلم شمالاً، عُرفت بالشط الظهراني قبل أن يتغير اسمها لما سكنها شخص يسمى سعيداً، وقصورها المعروفة اليوم هي: أودهمان، باضاها، تامحمودت، بدارة، كالي، أغلاد، جزولا، لازورا، أولاد عبد اللي، انهزوف، صلاح الدين، سفحان، الأحمر، قنتورة (القاف G)، أولاد هارون، أولاد موسى، القصر الشرقي، أورير، اغام[3]. وعدد هذه القصور 19 قصراً.

قصور تينركوك وما جاورها

هذه المنطقة التي هي حالياً دائرة من بلديتين (تينركوك، وقصر قدور)، هي آخر جهات توات شمالاً ومنها نصل إلى العرق الغربي الكبير وما بعده نحو الابيض سيدي الشيخ ومنطقة الساورة، تبعد نحو الشمال عن تيميمون المدينة بـ 70 كلم، وقصورها هي: فاتيس، زاوية الدباغ، تبلكوزة، تازليزا، تاعنطاس، بن زيتة، عين حمو، ودغاغ[4]. وأما القصور الأخرى فهي: قصر قدور (الذي بناه وسكنه سي قدور بن حمزة في لجوءه)[5]، أنجلو، بني عيسى، تيمزلان، بوكركور، سيدي منصور، تقانت (القاف G)، تيلغمين[6]. ومجموع قصور هذه الجهة هو: 16 قصراً.

ومنه فمجموع قصور منطقة قورارة حسب ما سلف إحصاؤه هو: 138 قصراً

- **قصور جهة تيديكلت**

تقع منطقة تيديكلت شرق هضبة تادمايت وهي الحد الفاصل بين منطقة توات وبلاد الطوارق، ولذلك فقد كانت جزءاً من ولاية تمنراست قبل أن تصبح إدارياً ولاية قائمة بذاتها سنة

---

[1] . صوفي عبد الملك، شيخ زاوية بدريان ومستشار تربوي متقاعد، **حوار حول تاريخ منطقة قورارة**، تيميمون في 2021/03/22، الساعة 17:00 مساءً، مقابلة شخصية.

[2] . رشيد بليل، **قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية**، تر: عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ، الجزائر 2008، ص 56

[3] . الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ***الجريدة الرسمية***، المصدر السابق، ص 13.

[4] . توفيق بوزناشة، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 73.

[5] . نفسه، ص 84.

[6] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص 17.

2021 وتسمى ولاية عين صالح، وهناك مجموعة من القصور الأخرى التابعة لها تاريخياً أدرجت ضمن ولاية أدرار ولا تزال. وتيديكلت هي البلاد الواقعة بين منحدر تادمايت جنوباً، ووادي جاريت شمالاً، ويسودها العرق الرملي على امتداد 250 كلم طولاً، و50 كلم عرضاً[1].

وأما تسمية تيديكلت البربرية فتأخذ معناها "كف اليد" تشبيهاً لموقعها المنخفض على حواف هضبة تادمايت، وأما قصورها فتتوزع على أهم حواضرها: عين صالح، إينغر، أولف[2]، وقد ذكرها ابن مليح في رحلته حيث قال "وسلكنا طريق تديكلت أسفل بلاد توات وهذا الطريق أقرب من الأولى وأسهل منها، فبلغنا بعد ثلاثة أيام مدشراً صغيراً يقال له –ان صالح– أهلها من سامدن أحدقت به عيون ونخيل كثيرة، أهلها سادات صلحاء أفاضل..."[3]، كما ذُكرت في قصيدة سيدي بوتدارة، وحُددت بعض مناطقها في أبياتها التالية:

بوحجـة هزيـناه، في تيديكلت إن شاء الله،
سيـدي هـيبة طعناه، شريف من الصبّـارة.
من تيط إلى الكشاش، روحنا لبلاد المعاش،
وتركنا كل شـــواش، رجـــال الله عمــارة.
رجـــال الله تغـــير، وتجمـــع في إنــغــر،
عين صالح ما فجر، وين جمع في الـفقارة[4].

قصور عين صالح

وعين صالح هي عاصمة تيديكلت وأصبحت ولاية قائمة بذاتها حالياً، وقد اختلفت المصادر التاريخية في هذه التسمية بين من يذكرها "ان صالح" ككلمة من أصل بربري، ومن يذكرها "عين صالح" ككلمة من أصل عربي[5]، وقد قرأنا لابن مليح يذكرها "ان صالح"، في حين ذكرها الأغواطي "عين صالح" فقال عنها "وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب، ثم تأتي بلاد السودان

---

[1] . الحمدي أحمد، **تاريخ تدكلت فصول ومعالجات**، دار الدواية للنشر والتوزيع، أدرار الجزائر 2025، ص 22.

[2] . إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومه، الجزائر 2012، ص 453.

[3] . أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، **أنس الساري...**، المصدر السابق، ص 133.

[4] . الحاج الطيب العبادي، يا سيدي بوتدارة، المصدر السابق، الأبيات 90-92.

[5] . يذكر البروفيسور الحمدي أحمد أن الذين ذكروها بتسمية "إنصالح"، مثل: ما ورد عن التنيلاني عن شيخه عبد الرحمن الجنتوري، وفي فتاوى القاضي عبد الحق البكري؛ أما عن الذين ذكروها "عين صالح" مثل: ما ورد عن عن الشيخ عبد الرحمن التنيلاني، وكذا شأن صاحب نقل الرواة محمد بن المبروك البوداوي، والشيخ مولاي أحمد الطاهري، وصاحب كتاب درة الأقلام محمد عبد الكريم البكري. ينظر: الحمدي أحمد، **تاريخ تدكلت...**، المرجع السابق، ص ص 20-22.

في أقصى الجنوب حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب"[1]، وقصورها هي: عين صالح، البركة، الساهلة التحتانية، الساهلة الفوقانية، الدغامشة، حاسي الحجار، جواليل، إيقسطن، الزاوية، قصر العربقصر المرابطين، تاجموت، الفقيقيرة، هنو[2]؛ والمجموع هو: 14 قصراً.

قصور إينغر وفقارة الزوى

يعود تاريخ نشأة إينغر إلى القرن 17م من طرف قبيلة أولاد خليفة، كما عرفت وجود عدة قبائل غير مستقرة من الطوارق قبل ذلك، وهي تسمية بربرية تعني الشعبة (مصب الرافد في الواد)، وهي حالياً بلدية تبعد عن مدينة عين صالح 58 كلم غرباً[3]، وقصورها كالتالي: إينغر، الزاوية، مليانة، السبخة، القصر الجديد، أقبور، لحدب، تورفين، الشويطر[4]؛ وأما قصور بلدية الزوى فهي: فقارة الزوى، فقارة العرب، سيلافن[5]، حينون، وتبعد هذه البلدية عن عاصمة الولاية بـ 45 كلم شرقاً؛ ومنه فمجموع قصور البلديتين: 13 قصراً.

قصور دائرة أولف

وهذه المنطقة تابعة حالياً لولاية أدرار رغم كونها تاريخياً ضمن جهة تيديكلت، وتتوزع قصور هذه الدائرة على بلديات (أولف، تيمقطن، تيط، أقبلي)، وقد ذكر الأغواطي أولف وتيط في مستهل رحلته حيث قال "تعتبر أولف البلدة الرئيسية في واحة توات، ولها نفوذ على جميع المنطقة..."، وقال أيضاً "وبلدة أولف محاطة بأسوار مبنية من الطين، وفيها الماء الوافر والتمر، وللسكان عدد كبير من العبيد. وتقع جنوب أولف قرية طيت..."[6].

وقصور هذه الدائرة كالتالي: قصبة حبادات، زاوية حينون، تقراف، الجديد، الركينة، قصبة بلال، قصبة مايخاف، عمنات، تيط، قصبة الشرفاء، أما قصور تيمقطن فهي: تمقطن (القاف G)، إينر، أولف الكبير، أخنوس، أولاد الحاج، أولاد مولاي رشيد، زاوية مولاي هيبة، قصر لحسين، قصر المهدي، قصبة السيد، قصبة الجنة، المنصور، بلاد المرتاجي، الميمون، المرقب، وأما قصور أقبلي: عرق شاش، ساهل، المنصور، زاوية أبي نعامة[7]. ومجموع قصور هذه الجهة ككل هو: 29 قصراً.

---

[1] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 94.

[2] . الجمهورية الجزائرية، **الجريدة الرسمية**، المرجع السابق، ص 15.

[3] . توفيق بوزناشة، **دليل الجمهورية**، ج1، المرجع السابق، ص 610.

[4] . الجمهورية الجزائرية، ***الجريدة الرسمية***، المرجع السابق، ص 15.

[5] . عبد القادر بويه، **صفحات من تاريخ الصحراء الجزائرية تيدكلت والهقار**، طبعة ثانية، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة الجزائر 2020، ص 19.

[6] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص ص 93، 94.

[7] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية...**، ج1، المرجع السابق، ص ص 17، 18.

ومنه فمجموع قصور منطقة تيديكلت حسب ما سلف إحصاؤه هو: 56 قصراً

رأيٌ واستنتاج

من خلال تتبعنا لقصور منطقة توات بجهاتها الرئيسية الثلاث (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت) وإحصاؤها، تبين لنا أن عددها يختلف من فترة إلى أخرى نظراً لعوامل تاريخية، حيث اختفت واندثرت بعض القصور، وتحولت بعض تسمياتها من منطقة إلى أخرى حتى أننا وجدنا تشابهاً وتكراراً لها، كما وجدنا اختلافاً في أقدمية القصور ومعاني تسمياتها، ونظراً لأهمية المنطقة جغرافياً وتاريخياً فقد تناولتها عدة مصادر في كتاباتها، رغم أن إشارات المصادر كانت لقصور ومناطق دون أخرى، كما تضاربت شروحاتها وتفسيراتها بين المعنيين البربري والعربي، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الفسيفساء الإثنية والثقافية التي كان يتشكل منها المجتمع التواتي.

ورغم بعض التضارب في عدد تلك القصور من فترة إلى أخرى، إلا أن ما استطعنا الوصول إليه كعدد إجمالي حالياً، هو: **339** قصراً، وهو رقم ليس بالبعيد عن الإحصائيات الواردة والمتضاربة في المصادر التاريخية، علماً أننا ركزنا على ذكر القصور التي لا تزال تنبض بالحياة، والقصور التاريخية التي سيأتي علينا ذكرها في سرد أحداث هذا البحث، كما لا نستبعد أن نكون قد ذكرنا بعض تسميات القصور على غير المنطوق به بين ذويها وأهلها، ذلك لأن ترجمتها وتعريبها من البربرية الزناتية قد يختلف، خاصةً أننا قد اعتمدنا في سرد بعضها على أساس وثائق وسجلات رسمية صادرة عن مؤسسات الدولة الجزائرية.

جدول: يوضح توزيع القصور على جهات توات[1]

الجهات	عدد القصور
توات الوسطى	145
قورارة	138
تيديكلت	56
المجموع الحالي	339 قصراً

إحصائيات من إنجاز الباحث إلى غاية سنة 2024

[1] . ينظر للملحق رقم 03.

المجتمع والظروف المعيشية

شكلت القبائل والأعراق التي استوطنت قصور توات فسيفساء جميلة تنوعاً وثراءً، فالمجتمع المحلي في هذه المنطقة كان نتاج تعايش تركيبة سكانية فريدة من نوعها، انسجم فيها العنصر البشري الأصلي بالوافد المستجد، وشكلوا طبقات، وتوزعوا على قصبات، وتحالفوا وتعاونوا وتقاسموا بينهم الحلو والمر، حتى استقطبوا الزوار والكرار والفرار، والقوافل والحجيج والتجار، وانعكس كل ذلك إيجاباً على ظروف وأوضاع معيشية تميزوا بها، وحتى بعض السلبيات والمظاهر الغريبة عن المجتمع التواتي زادت من عراقة ومتانة تلك الوشائج واللحمة. ولدراسة هذا المجتمع والتعرف عليه، قسمنا هذا الفصل إلى الآتي:

- تركيبة المجتمع التواتي (العنصر العربي، والبربري، واليهودي، والإفريقي).
- نظام القصر والجماعة في توات (بنائية القصر، جماعة القصر، مظاهر التعاون والانسجام، التراث والفلكلور، الظروف المعيشية، النظام القضائي).

توطئة

حينما نتكلم عن الأوضاع المحلية السائدة خلال القرن 19م اجتماعياً، فإننا سنركز بالضرورة على السكان ومظاهر الوجود البشري في المنطقة، ونخص بالذكر تركيبة المجتمع التواتي من حيث القبائل والأعراق واللغات والعلاقة بين تلك المكونات، وظروف المعيشة والتعايش في تلك البيئة التواتية، والنظام الاجتماعي الذي كان يسير ويدير تلك العناصر البشرية، وهي الدراسة الاجتماعية والانثربولوجية التي سنحاول أن نفهم بها طبيعة المجتمع القصوري في توات، مما يجعلنا نستقرأ بها علاقة أهل توات بالاحتلال الفرنسي والمقاومة الشعبية في الجزائر، ودور كل تلك العناصر في مخاض النضال الوطني والروابط المحلية والإقليمية، ففيما تمثلت أوضاع توات على هذا الأساس خلال القرن 19م بالذات؟

1. تركيبة المجتمع التواتي

كان المجتمع التواتي يتشكل من فسيفساء إثنية وعرقية ولغوية، اشترك فيها الوافدون الجدد بالسكان الأصليين في استيطان وتعمير المنطقة في فترات زمنية متعاقبة، وربما لا يختلف إثنان على أن البربر كانوا أول من اختطوا منطقة توات على حد قول ابن خلدون، ثم توافد عليهم اليهود والعرب والأفارقة وامتزجوا معهم؛ لكن عن الكتابات الأجنبية هناك من يرى أن هوميروس ذكر أن الأثيوبيين كانوا سباقين في الاستيطان باتجاه الغرب، ثم يروي هيرودوت رحلة "النسامون" من جهة فزان في اتجاه الغرب، حيث وجدوا قبيلة من الأقزام السود حول نهرٍ يجري من الغرب نحو الشرق، ويضيف آخرون أن "الجيتول" هم من كانوا يسكنون جنوب غرب ليبيا، وأنه قبل الوصول إلى المحيط الأطلسي كان يوجد نهر يسمى (قير Ger)، يذكر بطليموس أن على حوضه كانت تتواجد عدة قرى مثل: ملوكة، وتسابيت، وبودة، وتقانت، ودلدول...[1]

وبالعودة لفسيفساء المجتمع التواتي حيث كانت عناصره تتعايش في قصور واحدة، وأحياناً أخرى نجد هذا العنصر أو ذاك قد أنشأ لنفسه قصراً بتسمياته ومواصفاته، والأهم أن ما كان يميز الكيان التواتي هو ذلك التعايش والانسجام بين مكوناته وإن اختلفت، وعلى هذا الأساس نلقي نظرة على العناصر العرقية التي كان يتكون منها المجتمع التواتي خلال القرن 19م؛ وهنا ينبغي الإشارة إلى أن المجتمع التواتي كان يتمايز بتقسيمات فئوية على أسس متباينة، أهمها اللغة والأعراق والأنساب والمكانة الدينية والثروة، ورغم أن تلك الفئات امتزجت أحياناً بحيث

[1] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes…**, op.cit, pp.27-31.

لا تكاد تعرف الأصل فيها من المستجد، مثل التمايز على أساس اللغة، إلا أنها حافظت على تراتيبها وتدرجها الطبقي في أسسٍ أخرى، فمن حيث المكون اللغوي والعرقي نجد مجتمع توات كان ينقسم إلى:

1.1. العنصر العربي

كان توافد العرب على مناطق المغرب تزامناً وانتشار الإسلام في إفريقيا، وكان عرب المعقل وبنو هلال من أوائل من نزل من العرب إلى جوار زناتة بالصحراء الكبرى، ولما ملكت الزناتة بلاد المغرب مع قيام دولة الموحدين بدأت قبائل عرب المعقل تسكن قصور الصحراء مثل توات وتيكورارين[1]؛ وبعد سقوط دولة زناتة في القرن الرابع هجري، ازدادت الهجرات إلى بلاد المغرب خاصة خلال القرنين 5 و6هـ/ 11 و12م، وقد ذكر صاحب (درة الأقلام) أن قبائل عربية نزحت بأفواج كبيرة نحو الصحراء ونزلوا بأرض بودة من توات، واستقروا هناك بعدما بنوا عدة قصور في توات وقورارة[2]، وكان ذلك لما ضاقت بلاد المغرب بعرب المعقل والهلاليين والبرامكة والأشراف، توجهت منهم جماعات إلى الصحراء وزاحموا زناتة فيها.

ويؤكد ذلك مولاي أحمد بن هاشم (ت 1253هـ/1837م) في رحلته سنة 1213هـ/1798م حيث ذكر أنه وجد معلومات عند وصوله قصور سالي "تقول أن الزناتة قدِموا للصحراء قبل العرب، لكن العرب كثروا بفضل الهجرات المتتالية للصحراء" وذكر منهم قبيلة أولاد محمد والمحارزة والخنافسة وأولاد علي بن حريز[3]، وتجددت الهجرات أيضاً في عهد المنصور الذهبي بنهاية القرن 16م، حيث انزاحت عدة قبائل عربية نحو توات وقورارة.

ومنه فقد تشكل العنصر العربي في منطقة توات من الهلاليين الأشراف والبرامكة[4] والخنافسة والمحارزة وأولاد محمد وأولاد ايعيش وأولاد منصور وأولاد الحاج وأولاد زنان وآخرون، ومن

---

[1] . محمد الفاطمي، **البيوتات العلمية بقورارة إبان القرنين 11 و12هـ** ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية الجزائر 2022، ص ص 17، 18.

[2] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 8.

[3] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد بن هاشم من قصر أولاد عمور تيمي حتى قصر المستور 1213هـ، خزانة مولاي سليمان بن علي آدغا، أدرار الجزائر، ص 3.

[4] . **البرامكة:** أسرة من أصل فارسي أحفاد برمك، كانوا وزراء وأعوان مقربين في الدولة العباسية، انتهى بهم المطاف بما يعرف بنكبة البرامكة حيث قتّلهم وسجنهم هارون الرشيد وطاردهم سنة 187هـ/803م، وصل بعضهم إلى توات قادمين من الشام حوالي سنة 432هـ/1040م. ينظر: أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...**، المرجع السابق، ص 8، والعقيد بن دحو، أحداث حواضر أدرار...، المرجع السابق.

عرب المعقل كأولاد الحاج وأولاد عايد وغيرهم[1]؛ ويذكر (مارتن أ.ج.ب) أن "القدوعيين" (والقاف هنا ينطق G) كانوا من أقدم القبائل العربية الوافدة على توات، بل ويقول أن ناس توات يتفقون على أن قدومهم كان حتى قبل البرامكة[2]. ولم تتوقف الهجرات العربية إلى مناطق توات فقد توافدت إليها خلال القرن 19م مجموعات من الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ، قدوماً من ورقلة والمنيعة ومتليلي والأبيض سيدي الشيخ[3].

ويشير (A.G.P Martin) بالإحصائيات التي امتلكها سنة 1905 إلى أن مجموع العرب بتوات الوسطى بلغ حوالي 19654 نسمة[4]، وحسب معطيات (هنري. بيسيال H.bissuel) سنة 1891م، بلغ تعداد العرب والأشراف في المنطقة الممتدة من اسبع وتسابيت إلى تينركوك 19178 نسمة[5]، وفي توات الوسطى 35587 نسمة، وفي تيديكلت 12069 نسمة[6]، ومنه فمجموع العرب حسب هذه التقديرات بلغ 66834 نسمة؛ وعلى هذا الأساس بدأنا كلامنا عن التركيبة السكانية بالعنصر العربي، بحكم أن هذا العنصر كان يشكل أقوى فئة في توات وأكثرها تأثيراً ونفوذاً خاصةً خلال القرن 19م.

وللإشارة فالعنصر العربي كان يرتكز على تراتبية هرمية تتمايز إلى طبقات على حسب العرق والنسب، تشكلت من الفئات التالية (الأشراف، المرابطين، الأحرار)، وانعكس هذا الترتيب المجتمعي على العناصر الأخرى في توات، لكن وللأمانة لم يكن هذه الطبقات الاجتماعية مضرة بالنسيج الاجتماعي التواتي، لا من حيث التمييز ولا من حيث السلطة والممارسات القهرية بين عنصر وآخر، باستثناء فئة العبيد.

وكان ذلك النظام يبدأ من الأعلى بفئة **الأشراف** وهم من سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام، جزء كبير منهم جاء من تافيلالت مثل سيدي سليمان بن علي الذي دخل توات سنة 580هـ والشريف مولاي امبارك بن مولاي المامون الذي وصل إلى المنطقة مع 30 فارساً سنة 1121هـ/ 1709م[7]، وكانوا يتمتعون بالتعظيم والجاه إلى درجة أنهم في مطلع القرن 20م، كانوا لا يشكلون سوى 15% من السكان في توات الوسطى مثلاً، ومع ذلك كانوا يستحوذون على حوالي 36% من

---

[1] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص ص 7، 8.

[2] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, op.cit, p.64.

[3] . رشيد بليل، **قصور قورارا وأولياؤها...**، المرجع السابق، ص 412.

[4] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, op.cit, p.220.

[5] . H.bissuel, **Le Sahara Français**, typographie adolphe jourdan, Alger-1891, p.15.

[6] . Ibid, pp.31,40

[7] . الصديق حاج أحمد، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 55.

الثروة المحلية[1]، ولهم من التوقير والتقدير ما نالوا به حتى الألقاب المرموقة بين الناس، على غرار القول للرجل منهم "مولاي" وللمرأة منهم "لالة"*.

وأما فئة **المْرابطين** (بسكون الميم) تأتي في الدرجة الثانية من حيث الترتيب الطبقي للمجتمع التواتي، ورغم الاختلاف على أصولها وظهورها التي يربطها البعض بذرية بعض الصحابة الكبار، إلا أنها غالباً كانت لا تخرج من العرب أو العرب المتمزغين؛ وهي فئة كانت تتصف بالعلم والتدين والصلاح، فارتبطت بالزوايا والتصوف والرباط في سبيل الله، ورغم أنهم كانوا أقل عدداً من الأشراف، إلا أنهم تمتعوا أيضاً بالقيمة والتبجيل فتجد الناس تصفهم بـ "المرابط فلان، وسيدي فلان، والحرة بنت فلان..."[2]؛ وبالتالي فهذه الفئة وظيفية وليست من باب التركيبة العرقية أو اللغوية.

و**فئة الأحرار** وهم من عامة الناس ينحدرون أصلاً من آباء وأمهات أحرار، كانوا يشكلون أغلبية السكان، ويعملون في التجارة ويمتلكون الدكاكين والبساتين والعبيد[3]، وكانت تطلق هذه الفئة على ذوي الأصل العربي والبربري على حدٍ سواء، ولأنهم كانوا يمثلون ربع السكان ويستحوذون على ثلث الثروة فقد تحملوا عبء الجباية والأتاوات، على عكس الأشراف والمرابطين الذين أعفيوا منها، لكنهم في المقابل كان منصب القايد منهم في الغالب[4]، حيث ذكر مولاي أحمد بن هاشم أن الشرفاء في زاوية كنتة لم تكن لهم أية سلطة بارزة، بل كان العرب هم أصحاب الحل والربط[5]؛ وهذه الفئة كانت أكثر انفتاحاً على العناصر الأخرى المستجدة على

---

[1] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص ص 101، 102.

*. يرى المفسرون لقيمة هذه الفئة في المجتمع التواتي بما ورد في القرآن الكريم عن آل البيت، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾ **الشورى: الآية 23**، وعن زيد بن أرقم أنه قال (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر...، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)، **صحيح مسلم**.

[2] . نور الدين بن تيشة، **الأسرة في منطقة توات خلال القرنين 18 و19م**، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف2، الجزائر- موسم 2022/2021، ص 70.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 34.

[4] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص 105.

[5] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3.

المجتمع التواتي، مثل الحراطين والشعانبة[1] والغنائمة[2] والزوى[3] الذين كثر توافدهم على توات بالتزامن مع فترة الاحتلال الفرنسي[4].

2.1. لعنصر البربري

تتفق معظم المصادر على أن البربر هم أول من سكنوا المنطقة، فقبائل الزناتة[5] قدمت من ليبيا إلى المنطقة منذ الألفية الأولى للميلاد، وتوافدت في هجرة ثانية خلال القرنين 10 و11م حتى صارت تشكل غالبية السكان[6]، في حين يرى (جون بيسون Jean Bisson) أنه بعد سقوط الدولة العبيدية خلال القرن 10م استقرت قبائل زناتية جديدة في قورارة، بعضها أسست قصورهم الخاصة بهم مثل أودغاغ وبني ملوك وبني مهلال وأولاد راشد، وهي قصور لا تزال تحمل أسماء تلك القبائل التي أنشأتها إلى يومنا هذا[7]؛ وقد أكد مولاي أحمد بن هاشم التواتي

---

[1] . **الشعانبة :** قبيلة عربية ينتمون إلى ثامر بن تلال، نزلوا بإقليم متليلي سنة 751هـ/1350م، ومنهم البرازقة الذين توافد بعضهم على قورارة وتيديكلت عن طريق التجارة، يتركزون في زاوية الدباغ والمطارفة وتيميمون، وتسابيت وقصر بوعلي والنفيس، وأولف وعين صالح. ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ج1، ص ص 72، 73.

[2]. **الغنائمة :** نسبة لقبيلة من الرحل يسكنون قصور وادي الساورة: تمترت، واديغ، بوحديد، الواتة، بوخلوف، وامسة، ماسة، أنفير، أقدال، قرزيم، بن يخلف، الزاوية الكبيرة، زاوية كرزاز، تيمودي، أولاد رافع، تمغرن، المنصور، لقصابي. ينظر: محمد أعفيف، توات مساهمة...، المرجع السابق، ص 40.

[3]. **الزوى :** مفردتها زاوي، وهي نسبة لارتباط أولاد سيدي الشيخ بقصور قورارة وتيديكلت من خلال سيدي سليمان بن أبي سماحة الذي توفي في قصر تبو سنة 897هـ/1477م، وسيدي عبد القادر بن محمد الذي ارتبط بقصور أولاد سعيد وتبلكوزة وزاوية الدباغ، والحاج بوحفص الذي درس وتنقل بين أوقروت وعين صالح أين أنشأ زاويةً له، ثم واصل أبناءه وأحفاده مسيرته بالمنطقة بعد سنة 1133هـ/1720م، وخلال ثورات أولاد سيدي الشيخ تردد الزوى على قصور قورارة كثيراً . ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص ص 71، 72.

[4] . Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine**, Mémoire n° 3, Université d'Alger 1955, p.90.

[5] . **الزناتة :** زناته هو شانا أو جانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج بن ضري... إلى أن يصل النسب إلى: بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. ومنه فكلمة زناتة من جدهم الأكبر شانا أو جانا، والعرب استبدلت الحرف الأول بالزاي وأضافوا الهاء وحذفوا الألف حتى تحوّرت الكلمة إلى زناته. ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر...، المصدر السابق، ج7، ص ص 4، 10، 11.

[6] . رشيد بليل، **قصور قورارا...**، المرجع السابق، ص 411.

[7] . Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine…**, op.cit, p.88.

(ت 1253هـ/1837م) في رحلته سنة 1213هـ/1798م أنه وجد معلومات في سالي تقول أن الزناتة قدِموا إلى الصحراء قبل العرب[1].

وبعد توافد هجرات اليهود والفتح الإسلامي تداخلت عناصر السكان فيما بينها، ففي القرن 19م كانت تنقسم معظم قصور منطقة توات إلى قصور ناطقة بالبربرية الزناتية، وقصور أخرى ناطقة بلهجات العرب، أو أحياناً تجد هذين المكونين في نفس القصر، ولا يمكن الجزم أن أولئك البربر كانوا حقاً بربراً ولا الناطقين بالعربية أنهم حقاً كانوا عرباً، فمع مرور الزمن تعرّب بعض البربر وتبربر بعض العرب وامتزجوا فيما بينهم[2]؛ ونفس الشيء فمع نهاية القرن 12م صارت قورارة مأهولة بالزناتة واليهود لدرجة أن بعض الزناتة أصبحوا يهوداً أيضاً، ومن تلك الخلفية اليهودية البربرية القديمة جاء الزناتة الحاليون[3].

لكن وإن كان الاختلاط العرقي والتمازج بينها قد ساد تلك القبائل والقصور، إلا أن الأنساب كانت تميز وتحافظ على كثير من الحقائق وتؤرخ لها، فقد تميزت بعض الجهات من توات بخصوصيتها اللغوية والعرقية بشكل أوضح، حيث نجد قورارة مثلاً كان يغلب عليها العنصر البربري بقوة وحافظت على كينونتها اللغوية والعرقية إلى يومنا هذا، وقد أشار بعض المحققين والباحثين المعاصرين إلى ذلك التمايز بأن الزناتة كانوا يقطنون تيميمون منذ أقدم العصور، وأنهم استقروا فيها نزوحاً من إقليم الزاب ووادي أمقيدن[4]، وذكر رشيد بليل أن تينقورارين كلها بربرية من قبائل زناتية باستثناء بعض القصور التي سكنها العرب الرحل مثل الخنافسة[5]، وأورد صاحب (درة الأقلام) تأصيل العنصر الزناتي في كل المنطقة، في قوله "وقد اتفق المؤرخون على أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه..."[6].

ورغم أن العرب معروفين بعلم الأنساب وارتباطاتهم بالقبيلة على خلاف غيرهم، فقد نجد أنه رغم مرور الزمن وغياب التدوين التاريخي قديماً، إلا أن الذاكرة الشفوية احتفظت ببعض التسميات لقبائل زناتية بربرية بالمنطقة وخاصة في جهة قورارة، يذكر رشيد بليل بعضها مثل:

---

[1] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3.

[2] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص 16.

[3]. Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine…**, Op.Cit, p.88.

[4] . عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر...**، المصدر السابق، ص 484.

[5] . رشيد بليل، **قصور قورارا...**، المرجع السابق، ص 39.

[6] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 2.

المرابطين آت سيدي عثمان، آت المهدي، آت حمو الزين، آت إبراهيم، آت يحيى[1]، ثم يذكر بعض القبائل في القرن 19م مثل أولاد بابا يدّا، وأولاد سيدي اعمر الغريب، وآت القاضي، وآت بوزيزا، وآت تيجي، وآت الحاج، وغيرهم...[2]

وقدم بعض الرحالة والكُتّاب الفرنسيين إحصائيات عن القبائل الزناتية والعربية في المنطقة، مثل (A.G.P Martin) الذي أمدنا بإحصائيات سنة 1905 حول الأعراق والأجناس في توات الوسطى، حيث ذكر أن تعداد البربر (زناتة وطوارق) بلغ 5470 نسمة[3]؛ في حين كان (هنري بيسيال H.bissuel) أكثر دقة منه حيث ذكر في كتابه (الصحراء الفرنسية) سنة 1891م، أن تعداد الزناتة في المنطقة الممتدة من اسبع وتسابيت إلى تينركوك بلغ 23356 نسمة[4]، وفي توات الوسطى 8570 نسمة، وفي تيديكلت الزناتة 60 نسمة والطوارق 200 نسمة[5]، ومنه فمجموع البربر حسب هذه التقديرات بلغ 32186 نسمة.

وللإشارة ففي هذا العنصر كانت تتواجد كل فئات الهرم الاجتماعي لمنطقة توات من حيث الترتيب الطبقي (الأشراف، المرابطين، الأحرار، الحراطين، العبيد)، لكن العنصر الأساسي والأصليين من الزناتة كانوا ضمن فئة الأحرار، وبقية الفئات نجدهم مندمجين في الزناتيين وتبربروا مع مرور الزمن فقط؛ وكما تعايشت القبائل العربية والزناتية في المنطقة مع بعضها في قصور واحدة، فقد تجاورت أيضاً قصوراً زناتية خالصة مع أخرى عربية، فمثلاً قصور دلدول (أولاد عبو، أقبور، المنصور، الساهلة) كانت لقبائل عربية، وبجوارها نجد قصور زوى دلدول البربرية (إقسطن، البركة، توكي، بلغازي، أولاد عبد الصمد)، ونفس الشيء كان بين قصور الخنافسة العرب وقصور أوقروت الزناتة.

3.1. اليهود المهاجرية

حواضر منطقة توات التي كانت لها أهمية بالغة في الصحراء وإفريقيا، تنوعت فيها القبائل والشعوب التي سكنتها على مر الزمن، ولم يقتصر الأمر على البربر والعرب رغم أنهم كانوا يشكلون الأغلبية والعناصر الفاعلة، فقد عرفت المنطقة تواجداً لليهود في فترات تاريخية متقطعة، بل وكانوا من أوائل الذين استوطنوا توات جنباً إلى جنب مع البربر، وكان لهم دوراً

[1] . رشيد بليل، **قصور قورارا...**، المرجع السابق، ص ص 296، 297.

[2] . نفسه، ص 407.

[3] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes…**, op.cit, p.220.

[4] . H.bissuel, **Le Sahara Français…**, op.cit, p.15.

[5] . Ibid, pp.31,40.

وإسهامات خاصةً في المجال الاقتصادي من خلال حواضر وأسواق المنطقة؛ ويذكر (جون بيسون) أن القبائل الزناتية التي استوطنت قورارة وجدت هذه المنطقة مأهولة بسكان يهود كثيرين، لدرجة أنهم خلال بداية القرن 12م فيهم من اندمج بينهم وأصبحوا يهوداً مثلهم[1].

ومن أهم الفترات التي عرفت فيها توات هجرة ضخمة لليهود أواخر القرن 8هـ/ 14م، على خلفية أحداث الأندلس واضطهادهم شأنهم شأن الموريسكيين، حيث استقبلهم سلاطين الدولة الزيانية مثل المسلمين، وكانت توات من أهم المناطق التي قصدوها بعد ذلك، وبلغوا في تلمسان وتوات من القوة والنفوذ ما بلغوا به الأصداء والجدال، مما اضطر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[2] إلى هجرة عاصمة الزيانيين نحو توات خلال (897هـ/ 1492م)[3]، فاصطدم بوجودهم في توات أيضاً، حيث يقول ابن بابا حيدة عن قوة اليهود في تمنطيط آنذاك، أنه كان فيها ثلاثمائة وستون صائغ ذهب يهودي، بعدد أيام السنة[4]؛ فكان مجيء المغيلي حدثاً ومنعرجاً تاريخياً مؤثراً على وجود هذه الفئة، حيث تتفق المصادر على أنه حاربهم وطاردهم، في حين تذكر مصادراً أخرى أن بعض اليهود أسلموا واندمجوا في المجتمع التواتي.

ويذكر الدكتور محمد الفاطمي أن النصارى أيضاً كانوا متواجدين بالمنطقة إلا أن اختفاءهم كان مبكراً، خوفاً وهروباً من احتمالات الانتقام ضدهم خاصةً بعد أخبار محاكم التفتيش والاعتداءات الأوروبية على سواحل المسلمين في المغرب، لكن العنصر اليهودي كان وجوده بالمنطقة ثابتاً خلال القرنين 9 و10هـ[5]، حيث يقول رشيد بليل أنه في توات جميع القصور التي كانت لا تحتوي على جامع، كانت مسكونة من طرف اليهود، ويذكر منهم بعض الأسر مثل آت موسى وآت باروخ وآت أوغازي[6]. ويذكر الرحالة التواتي مولاي أحمد بن هاشم أنه توقف في

---

[1] . Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine…**, op.cit, p.88.

[2] . **محمد عبد الكريم المغيلي :** شخصية جزائرية جدلية، وُلد ونشأ بين تلمسان وتوات خلال القرن 15م، وصال وجال بين قورارة وتوات منذ 1487م حارب خلالها هيمنة اليهود، وكان له دوراً دعوياً وإصلاحياً في بلاد السودان الغربي، توفي ودفن في توات سنة 909هـ/1505م. ينظر: مقدم مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية**، مؤسسة الجزائر كتاب، تلمسان الجزائر-2002، ص ص 27-126.

[3] . نور الدين بن تيشة، **الأسرة في منطقة توات...**، المرجع السابق، ص 67.

[4] . محمد بن بابا حيدة، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977، ص 14.

[5] . محمد الفاطمي، **البيوتات العلمية بقورارة...**، المرجع السابق، ص 34.

[6] . رشيد بليل، **قصور قورارا وأولياؤها الصالحون...**، المرجع السابق، ص ص 360، 361.

رحلته عند قصر تماسخت الذي كان قصراً لليهود، بعدما كانوا يسكنون تاسفاوت وتمنطيط ولحمر[1].

وبعد طرد اليهود من توات على يد المغيلي بنهاية القرن 15م، هاجروا وسكنوا خصوصاً مع الزناتة في قصورهم، مثل تينكرام وتين زيري وآغلاد وتيميمون وطلمين وغيرها من قصور قورارة التي لجأوا إليها من توات أو زناتة تهودوا فيها[2]، وأحياناً أخرى كانت لهم قصوراً خاصة بهم تختلف عن المسلمين من حيث طابعها العمراني الذي كان يأخذ شكلاً دائرياً أو شبه دائري محصن، مثل قصر باكو وأوماح جهة شروين وآت عيسى[3] وقصر توريحت في جهة تيميمون وأولاد سعيد. ورغم التضارب في إسلامهم واختفائهم بمسميات من حموهم من المسلمين، فقد بقي البعض منهم إلى غاية الفترة الاستعمارية الفرنسية مطلع القرن 20م، والبقية دخلوا الإسلام وحسن إسلامهم وهم الذين أُطلق عليهم تسمية "المهاجرية" لأنهم هجروا اليهودية إلى الإسلام[4]؛ ويصف (جون بيسون) قصر تحتايت في تيميمون أنه كان من عواصم اليهود، وكذلك طلمين، ووُصفوا حينها بـ "التواتيين الفلسطينيين"[5].

والثابت أن اليهود حقاً تناقصت أعدادهم في توات خلال القرنين 18 و19م، لكن ليس بسبب صراعهم مع المغيلي فقط، بل كذلك نتيجةً لظهور التجارة البحرية والحركة الاستعمارية، ومع ذلك فقد تبقت منهم جماعات عاشت في أمن وسلام وعُرفوا بتجارة الفضة والذهب[6]، والبعض الآخر كانوا يترددون على توات كصناع تقليديون طوال العام، ويشتغلون فيها بحرفهم المعتادة ثم يرحلون، لقد كان حب المال يجلبهم رغم المعاملة السيئة التي يتلقونها[7]. وحسب كتابات الفرنسيين أشار (Jean Bisson) إلى أن اليهود المهاجرية الباقون في توات ورغم إسلامهم فقد كانوا لا يتزاوجون إلا من بعضهم البعض، وكانت لهم أيضاً مقابر وحرف خاصة بهم[8]،

---

[1] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 2.

[2] . رشيد بليل، **قصور قورارا وأولياؤها الصالحون...**، المرجع السابق، ص ص 404، 405.

[3] . نفسه، ص 370.

[4] . محمد الفاطمي، **البيوتات العلمية بقورارة...**، المرجع السابق، ص ص 33-35.

[5] . Jean Bisson, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine…**, op.cit, p.88.

[6] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات**، دار الكتاب العربي، الجزائر 2016، ص 186.

[7] . أوجين دوماس، **الصحراء الجزائرية دراسة جغرافية إحصائية وتاريخية 1843-1851**، تر: بن حرزالله بن مويزة، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر 2024، ص 193/

[8] . Jean Bisson, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine…**, op.cit, p.92.

وحسب إحصائيات (A.G.P Martin) في سنة 1905 فمجموع اليهود المهاجرية بتوات بلغ حوالي 191 نسمة[1].

4.1. الأفارقة السود

وبالإضافة إلى العناصر السابقة المكونة لتركيبة المجتمع التواتي، كانت هناك فئة السود القادمين من إفريقيا ما وراء الصحراء، وكانت تطلق عليهم تسميات (الحراطين، والعبيد)، وقد جيء بهم من بلدان السودان الغربي في إطار تجارة الرقيق؛ فـ**الحراطين** هم الذين تم تحريرهم أو المولودين من الأحرار وإماءهم، ويفسر البعض أن كلمة حرطاني تعنى "حر ثاني" باعتبار أن العربي والبربري "حر أول"، والبعض الآخر يربطها بعملهم في الحراثة فوُصفوا بـ "الحرّاثين"، ويطلق عليهم أيضاً "الخمّاسين"[2]؛ وأنهم أنصاف الأحرار لأنهم وُلدوا من الجواري، وكانوا أقل مكانة من الفئات السابقة، حيث امتهنوا الأعمال التي كان يأنفها غيرهم مثل الزراعة والبناء والحرف.

ويذكر (غوتيي Gautier) أن هذه الطبقة الزنجية كانت موجودة في كل أنحاء الصحراء الجزائرية والمغربية، من ورقلة إلى تافيلالت ووادي درعة، بل وأن فئةً منهم كانت ذات بشرة بيضاء قرب طنجة؛ ولذلك يبدو له أن السمة الأساسية للحراطين هي الوضع الاجتماعي وليس لون البشرة[3]؛ ومن التفسيرات النادرة هناك من يجعل كلمة "حرطاني" من الأصل البربري "أحرضان" وتعني "الهجين" من حيث اللون والعرق[4]، وهو المولود نِتاجاً لتزاوج الرجل الأبيض والمرأة السوداء، بل وهناك من يقول أن الحراطين ليسوا عبيداً محررين ولا نسلاً مهجناً، وإنما هم من السكان الأصليين للواحات التي أُخذت منهم غصباً[5]؛ وتبقى هذه الروايات ضعيفة وغير متداولة خاصةً أنها جاءت في سياق كتابات مشبوهة لبعض الفرنسيين، مثل السياق الذي كُتبت فيه الرواية الثانية من طرف الراهب (دي فوكو)[6].

---

[1] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes…**, op.cit, p.220.

[2] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص ص 106، 107.

[3] . Gautier Emile Félix, "Missions au Sahara", Tome1, ***Sahara algérien***, Librairie Armand Colin, Paris 1908, p.265.

[4] . الصديق حاج أحمد، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 56.

[5]. Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne 1899-1905**, Imprimerie Librairie Militaire, Paris 1908, p. 12.

[6] . **شارل دي فوكو Charle De vocot :** راهب وقسيس فرنسي كاثوليكي ولد سنة 1858م، أصبح كاهناً سنة 1901 وبدأ رحلاته من المغرب سنة 1883، ثم واصل نشاطه في الصحراء الجزائرية وبالضبط بني عباس حيث كان يصاحب

ورغم أن عنصر الحراطين كانوا فئة مستضعفة في المكون الاجتماعي لتوات، إلا أنهم تكاثروا في بعض القصور حتى تملكوها وأسسوا بعض القصور أحياناً، حيث نجد صاحب (القول البسيط في أخبار تمنطيط) يذكر أن "الحرّاثين" في جهة تمنطيط صار لهم قصراً ومسكناً مع المهاجرية، حيث حلوا محل بعض القبائل الأوائل مثل قبيلة أولاد اهمالي، وبتعبير آخر يذكر بصريح العبارة "وأما قصور تفاغ فهي للحراثين"[1]؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هذه الفئة كانت قديمة الوجود في المنطقة، وأنه رغم تدني طبقتها إلا أنها استطاعت أن تتموقع في المجتمع القصوري التواتي، ربما بكثرة تدفقها والحاجة إليها اجتماعياً واقتصادياً.

أما **العبيد** فهم آخر الطبقات التواتية نظراً للأعمال الشاقة التي كانوا يؤدونها لخدمة أسيادهم مثل الزراعة والرعي وحفر الفقارات، وعلى هذا الأساس استقدمهم مُلّاك الأراضي بكثرة[2]. وقد استفحلت تجارة الرق في توات خصوصاً خلال القرن 19م، رغم أن الدكتور محمد حوتية في كتابه (توات والأزواد) نفى عن سكان توات ممارستهم لتجارة الرق كعمل أساسي، وقال أنهم لم ينصرفوا لتجارة العبيد إلا في القرن 19م، نظراً لانعدام الأمن وكثرة الفتن والنزاعات، مما ترتب عن ذلك استرقاق أحرار غرب إفريقيا وبيعهم كعبيد إلى التجار[3]. ويبرز ابن الدين الأغواطي حوالي سنة 1826م مدى رواج تجارة العبيد في المنطقة، إلى درجة أنه ذكر وجود الأسواق والتجارة بشكل متكرر، مثل سوق تيميمون الذي قال عنه أنه كان يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، وفي عين صالح حيث قال أن التجار كانوا يترددون عليها لشراء العبيد وتراب الذهب[4].

ورغم تشابه الفئتين إلا أن الفرق بين الحراطين والعبيد كان يكمن في الحرية والعبودية، وأما عن أعدادهم فقد وجدنا تضارباً في الإحصائيات عنهم كفئة واحدة أو كفئتين؛ حيث اعتمدنا على الأرقام التي قدمها (هنري بيسيال H.bissuel) في كتابه (الصحراء الفرنسية) سنة 1891م،

الجنود الفرنسيين وبنى فيها صومعة وكنيسة صغيرة، ثم انتقل إلى منطقة الهقار وعاش قريباً من الطوارق يتعلم لغتهم وعاداتهم لمدة 10 سنوات، وشرع في تأليف قاموس لغوي عنها، كما كتب عن المجتمع المغربي، بالإضافة إلى نشاطه التنصيري الذي امتد من جهة الهوقار إلى المنيعة وتوات وبني عباس، قتل من طرف الطوارق سنة 1916م. ينظر: ليندة عمراوي، "شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري. المهمة المزدوجة"، ***مجلة الساورة للدراسات الإنسانية***، جامعة بشار الجزائر، مج8، ع2، 2022/12/25، ص ص 153-179.

[1] . محمد بن بابا حيدة، **القول البسيط...**، المصدر السابق، ص ص 18، 19.

[2] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 34، 35.

[3] . محمد حوتية، **توات والأزواد**، ج1، المرجع السابق، ص 365.

[4] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص ص 93، 94.

يقول فيها أن مجموع (الحراطين والعبيد) بلغ 92834 نسمة منهم العبيد 35 ألف نسمة[1]، ولعل ما ذكره مولاي التهامي غيتاوي على أن قصور توات خلال القرن 19م كانت مكتظة بالعبيد السود والحراطين النصف السود، يؤكد حجم تلك الإحصائيات[2]؛ وهو ما أثبته أيضاً ابن الدين الأغواطي في رحلته، إذ قال عن أولف مثلاً "وللسكان عدد كبير من العبيد"[3].

جدول: توزيع وتركيبة سكان مقاطعات توات (تقديرات سنة 1891)[4]

	توات الوسطى	قورارة	تيديكلت	المجموع
العرب	35587 نسمة	19178 نسمة	12069 نسمة	66834 نسمة
البربر (زناتة وطوارق)	8570 نسمة	23356 نسمة	60 + 200 طوارق	32186 نسمة
الأفارقة السود	50851 نسمة	31012 نسمة	10418 نسمة	92281 نسمة
المجموع	95008 نسمة	73546 نسمة	22747 نسمة	191301 نسمة

(الجدول بتصرف)

2. نظام القصر والجماعة في توات

كان النظام وشؤون إدارة المجتمع التواتي قائمة على عنصرين مهمين وهما القصر والجماعة، فالقصر كان عبارة عن وحدة جغرافية لها طابعها العمراني وحدودها المكانية وخصوصيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية، والجماعة كانت عبارة عن نظام محلي يدير القصر باستقلالية تامة عن أي ارتباطات خارجية، وغالباً ما كانت الجماعة تتشكل من عشرة رجال من خيرة رجال القصر، منهم كان القياد والقضاة وشيوخ الزوايا وزعماء القبائل والوجهاء والأعيان من الأشراف والطبقات الأخرى[5].

---

[1] . H.bissuel, **Le Sahara Français…**, op.cit, pp.15-59.

[2] . مولاي التهامي غيتاوي، **لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار**، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت 2011، ص 42.

[3] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 94.

[4] . H.bissuel, **Le Sahara Français…**, op.cit, pp.15-40.

[5] . جعفري مبارك، **النظام القصوري الواحاتي...**، المرجع السابق، ص 8.

وكان القصر قد أنشيء على أساس نزول أفراد القبيلة الواحدة أو القبائل المتحالفة، هندسته وتخطيطه كان قائماً على توفير ظروف الحرب والسلم معاً، يبدأ من القصبة وهي التجمع الأول للسكان الأصليين، ثم السكنات المحيطة بها، ويحيط بالقصر سور خارجي ذو أربعة أبراج، ثم بساتين النخيل على حوافه، وأحياناً كانت تتجمع قصوراً على شكل مقاطعة، في منطقة قريبة من بعضها ومتشابهة في الأصل والخصوصيات ومتحالفة فيما بينها[1]. وكأمثلة على ذلك نجد قصور تيمي وقصور الخنافسة وقصور زوى دلدول وقصور توات الحنة وغيرها، كما أن القصر كان يرتكز على ضرورة وجود مسجد وفقارة ومقبرة، وأحياناً كانت كل قبيلة تنفرد بملكيتها وسلطتها على تلك المكونات الأساسية.

ورغم أن الجماعة كانت بمثابة هيئة تشريعية وتنفيذية حاكمة، وكان تمثيلها يمس أهم عناصر ومكونات المجتمع التواتي، وكانت ضامنة لحقوق الأفراد والفئات وكلا الجنسين، وكانت تتحمل مسؤولية فض النزاعات والخلافات الشخصية والجماعية، وكانت تتداول في جميع المستجدات وشؤون القصر، إلا أنه ما كان يعاب عليها أن فئة الحراطين رغم كثرتها ونسبتها الكبيرة في القصر، إلا أنها كانت شبه مغيبة في هذا النظام القصوري العرفي[2]، أما فئة العبيد والنساء فلا تمثيل لهما إطلاقاً؛ لكنها وفي المقابل كانت تهتم بالشرائح الضعيفة كالأطفال القصر واليتامى والغائبين وعابري السبيل وغيرهم، من خلال الحماية والحجر وإصدار أحكام قضائية بعدم استغلالهم أو التصرف في أملاكهم تحت أي عذر.

واحتراماً لخصوصيات القصور والجماعة التواتية نجد أن القبائل والدول الإقليمية والعلاقات الخارجية، مثل الدولة العثمانية والمخزن[3] وحتى فرنسا الاستعمارية، كانوا يتعاملون مع أهل توات وفق ذلك النظام الإداري والاجتماعي؛ حيث وردت أمثلة عن أسماء القياد والقضاة والأسر الفاعلة في توات من خلال كتابات المغاربة والفرنسيين خلال القرن 19م، ومن خلال رسائل الأعيان والقبائل في الجنوب الجزائري، كانت تذكر وتشير إلى كل مجموعة قصور باسم قائدها الفلاني، أو كبير قصرٍ ما وفق ذلك التنظيم.

---

[1] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 19، 20.

[2] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص 110.

[3] . **المخزن:** المقصود به في بحثنا ذلك المصطلح السياسي لنظام الدولة في المغرب الأقصى والممتد من عهد السعديين إلى فترة العلويين، والمقصود به بالأساس وصفاً لتركز السلطات في شخص السلطان والأجهزة الإدارية والعسكرية التي تمثله محلياً وجهوياً ودولياً. ينظر: جادور محمد، **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء المغرب- 2011، ص ص 396، 397.

فالمخزن في محاولاته لاستقطاب المنطقة كان يراسل جماعة توات وقيادها كلٌ باسم قصره وقبيلته وحلفه، حيث نجد في مراسلاته سنة 1892 ذكراً لقائد تيمي حسون بن الحاج امحمد، وقويدر بن الحاج عبد السلام قائد خنافسة قورارة، والحاج اعمر بن الحاج أحمد قائد دلدول وغيرهم[1]، كما وجدنا مراسلات للشيخ بوعمامة يتكلم فيها عن جماعة دلدول حوالي سنة 1894م، فيقول في إحداها "كافة جماعة دلدول كبيراً وصغيراً، كل أحد باسمه، السلام عليكم..."[2]، ونفس الشيء قامت به فرنسا قبيل وبعد الاحتلال، فمثلاً رسالة باشاغا جيريفيل إلى خنافسة أوقروت بتاريخ 22 ذي الحجة 1317هـ/23 أبريل 1900م ورد في مضمونها: "من عبد ربه تعالى الباشاغا سي الدين بن حمزة –أعانه الله- إلى أصدقائنا الأعزاء في تيبرغامين واعبود، وخاصةً القائد (فلان بن فلان وفلان)* والآخرون..."[3]

ونظام الجماعة التواتية في توات كان له تأثير وسلطة، حتى أن الزائر إلى المنطقة كان يستنتج ذلك من خلال الوزن والقيمة التي كان يتبوأها القائد أو أي رجل من قيادات تلك الجماعة؛ فهذا الرحالة غوردن لانغ[4] مثلاً في ظل زيارته إلى عين صالح ديسمبر 1825-جانفي 1826، أشار أن توات مثل غدامس كان فيها لكل مدينة صغيرة، شيخ يتمتع بنوع من التميز والنفوذ الإسمي دون سلطة عليا، وفي تلك الفترة التي عايشها لانغ مع سكان إن صالح، والتي

---

[1] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص 118.

[2] . نسخة من رسالة للشيخ بوعمامة، ع/ط العربي بوعمامة وعبد الملك حمدي، دلدول تيميمون 2021/01/21. ينظر الملحق رقم 03 و04.

*. تعمدتُ عدم ذكر الإسمين حتى لا تكون هناك حساسية في فهمٍ خاطئ، وتجنباً لإثارة قضية ما، مع أن الرسالة لا تثبت أية تهمة وإنما كانت محاولة من أعوان فرنسا خارج توات للتأثير على بعض قياد القصور.

[3] . A.G.P Martin, **Quatre Siecles…**, op.cit, p. 350.

[4] . **غوردن لانغ:** من مواليد مدينة أدنبيرة الاسكتلندية سنة 1794، انضم للجيش البريطاني سنة 1811م وترقى فيه، إلى أن تم اختياره سنة 1821 في بعثة انجليزية نحو غامبيا والداخل الإفريقي، فكانت أول رحلة استكشافية له، ثم تبعتها رحلات أخرى في سنة 1822 وما بعدها، حيث كان حلمه الوصول إلى تمبكتو ونهر النيجر، فكلفه اللورد (باثيرست) وزير المستعمرات بالمهمة انطلاقاً من طرابلس سنة 1825، إلى غدامس ثم عين صالح ثم عبر أقبلي إلى تمبكتو التي وصلها سنة 1826، ولما غادرها بعد حوالي شهر قُتل في أروان، وأُحرقت مستنداته ومذكراته، ولم يبق منها سوى تلك الرسائل التي كان يبعثها إلى المسؤولين الإنجليز بطرابلس. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها في المقاومة...، أطروحة دكتوراه، ص ص 124، 125.

كان فيها ضيفاً عند عائلة باجودة، قال: "يبدو أن الناس هنا من نوعية جيدة، وأن الشيخ ذو قيمة عالية..."[1]

ذلك النظام كان يتشكل في غالب الأحيان من 10 رجال من أخيار الرجال والأعيان، فكان منهم القياد والقضاة والعلماء والوجهاء من معظم الطبقات والفئات[2]، وكان يرأسهم شيخ يُلقب بـ "الكبير"، هذه الجماعة تكون مسؤولة على تنفيذ قرارات محلية تحت سلطة "القايد" صاحب الكلمة العليا بينهم، وهذا الأخير كان يتمتع بامتيازات معنوية ومادية هامة، ويُميّز عليهم بارتدائه البرنوس الأحمر والخاتم الدائري، وله الحق في التواصل المباشر مع جهات خارجية، حتى أن فرنسا على هذا الأساس عينت الكثير من القياد ممن كانوا متواجدين قبل الغزو الفرنسي حفاظاً على خصوصية المنطقة وكسباً لولائهم ودعمهم بحكم تأثيرهم ووزنهم المحلي، باستثناء بعض الأسماء المغضوب عليها جراء مقاومتهم ورفضهم للوجود الفرنسي[3].

وللأسف ففي ظل الاحتلال الفرنسي، كان يتم اختيارهم من طرف جماعة القصر بتزكية من السلطة الفرنسية، وفي كنفها صار الكثير من أولئك القيَاد يقومون بخدمات جليلة لفرنسا ارتكبوا خلالها عدة أخطاء على الناس، فكانوا عيوناً وجواسيس ومترجمين، بل وكانوا أدلاَءً لها حتى في القفاية وتتبع الآثار داخل المجتمع المحلي، لكن وفي المقابل فمن جهة أخرى إيجابية فقد لعبوا ضمن إدارة المنطقة في استتباب الأمن وتوجيه السكان والتوسط بينهم وبين الممارسات الفرنسية التعسفية، وتكفلوا أيضاً بالأحوال الشخصية والمشاكل المدنية للجزائريين، كتسجيل الزواج والمواليد والوفيات وحالات القضاء وتسوية الخلافات المحلية[4]، والتي يبدو أن فرنسا لم تكن ترغب في الهيمنة عليها إلا في حدودٍ ضيقة.

3. مظاهر المعيشة والانسجام في المجتمع التواتي

رغم تنوع تركيبة ونسيج المجتمع التواتي، مما قد يرى فيه البعض تناقضاً وتنافراً وتنافساً بين أعراقه وطبقاته، إلا أن مجتمع منطقة توات كان يتميز بخصال وخصائص هامة، ساهمت في تحقيق الانسجام والتكافل والتضامن بين أطيافه، فالظروف القاسية والأحداث الصعبة التي كان الناس

---

[1] . غوردن لانغ، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ 1824-1826 (رحلتان عبر ليبيا)**، تر: دار الفرجاني، الطبعة الأولى، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا 1974، ص ص 336-340.

[2] . جعفري مبارك، **النظام القصوري الواحاتي...**، المرجع السابق، ص 8.

[3] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, op.cit, p.193.

[4]. Voinot Louis, **Le Tidikelt, Etude sur La Géograpuie l'Histoire Les Mœurs du Pays**, Editions Jacques Gandini, Oran 1909, p.39.

يتعرضون لها هناك، ألهمتهم إلى تحقيق التعاون فيما بينهم لمواجهتها، حيث اهتدوا في حياتهم إلى تبني نماذج تكافل وتعاون اجتماعي، كانت تكفل لهم القيام بأصعب الأعمال والتحديات، ومن هذه النماذج ما كان يسمى بـ "التويزة" و"الزيارات" ونظام القضاء السائد أنذاك...

فالتويزة

كانت من أشكال أنظمة العمل الجماعي المشهورة والمستخدمة بقوة في المنطقة[1]، وهي عمل تطوعي جماعي كانت تصاحبه رقصة شعبية تحث على العمل والتعاون وروح الجماعة، ومن أهم مظاهر التويزة وأهدافها: صيانة الفقارات، بناء المساجد، محاربة زحف الرمال، التعاون في البساتين حرثاً وحصاداً... وغيرها[2]. وقد عايشنا في صغرنا بعض لحظات التويزة والتي توارثها الآباء عن الأجداد، حيث كانت مهمة طارئة أو موسمية يلجأ إليها السكان كلما عجز الفرد أو المجموعة القليلة عن عملٍ ما، فكانت الناس تُستدعى لها من خلال دعوة "البرّاح" فيحضر الكل ومعهم وسائلهم ومأكولاتهم ويتعاونون فيها، ويرقصون رقصة مميزة مرددين أشعارهم وأغانيهم، فرحين بوحدتهم وتضامنهم وعملهم.

أما الزيارات

وتسمى أيضاً بالوعدات في بعض مناطق الوطن، وهي مناسبات دينية أو اجتماعية ثقافية تعوّد عليها المجتمع التواتي في تقاليده وأعرافه، تتميز باحتفالات خاصة بحدث ديني بارز أو احياءً لذكرى ولي من أولياء الله الصالحين، تكون هذه الاحتفالات ليومين أو أكثر على حسب كل قصر وأعرافه، تتخللها قراءة للقرآن كاملاً بشكل جماعي تُعرف بـ "السلكة"، وإطعام الطعام للضيوف طيلة تلك الأيام، ورقصات تقليدية ترفيهاً وفرحاً بالمناسبة، وفي نفس الوقت تكون الرقصة مظهراً للتآخي والتعاون والتلاقي، خاصةً أن كل تلك الرقصات كانت جماعية مثل رقصات "البارود والحضرة والقرقابو والأهليل وصارا" وغيرها[3].

وقد أخذت الزيارات طابع القداسة عند التواتيين لما فيها من روحانية وصوفية، وعلى هذا الأساس أصبحت واجبة على كل أفراد المجتمع، فقراء وأغنياء، بسطاء ووجهاء، وصارت ممارسة

---

[1] . عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر...**، المصدر السابق، ص 51.

[2] . عفيفة حوتية، **حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13هـ/19م**، رسالة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2015/2014، ص 162.

[3] . حسب معاينتي الشخصية يمكن تعريف وتمييز تلك الرقصات التقليدية: فالبارود حلقة رقص تستعمل فيها البنادق، والحضرة دائرة يرقصون فيها ممسكين بأيدي بعضهم، والقرقابو رقصة للعبيد باستعمال صفائح حديدية في اليد، والأهليل حلقات شعر ملحون للزناتة، وصارا رقصة باستعمال العصي وضربها ببعضها البعض.

طقوسها وأعرافها متوارثة أباً عن جد، وكان الحرص على الحفاظ عليها دقيقاً ومضبوطاً، بمواقيت وتواريخ زمنية ومكانية؛ وأغلب هذه الزيارات كانت في الأصل موجودة قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة، مما يعني أنها كانت مرتبطة بثقافة المنطقة وعلاقة أهلها الروحية بالعلماء وأولياء الله الصالحين.

ومما يلفت الانتباه في هذه التظاهرة أنها كانت تشمل كل قصور ومناطق توات قاطبة، إلى درجة أنك قد تجد لكل قصر زيارة أو أكثر، بل هناك من يذكر أن تلك الزيارات كانت موزعة زمنياً على كامل أيام السنة، بما كان يتيح للفرد والضيف والفقير وعابر السبيل والمريد إمكانية العيش خلالها دون أن يضطر لمصاريف وتكاليف الحياة، ورغم أن بعض المهتمين قد يرون فيها إرهاقاً للفرد البسيط نظراً لتكاليفها، إلا أن أهل توات كانوا يحضرون لها طيلة أيام السنة، وكانوا يتعاونون فيها على إطعام وإيواء الضيوف بشكل جماعي، وبعض الزيارات والأولياء كانت لهم زوايا وأوقافاً خاصة بهم، من البساتين وتمورها وزرعها، وبعض الأسر الميسورة كانت تتكفل بجانب كبير منها.

ومما استطاع الدكتور محمد حوتية الوصول إليه قرابة 201 زيارة في منطقة توات قاطبةً[1]، في حين أشار (مارتن أ.ج.ب) لإحصاء حول الهبات والمبالغ المخصصة للمقدسات المحلية سنة 1828، فذكر 111 من الأولياء كانت تقام لهم الزيارات حينذاك[2]؛ وفي الحقيقة الرقم أكثر من ذلك بكثير، لأن هناك زيارات مشهورة وأخرى صغيرة لا يعرفها إلا أصحابها في القصر. وقد اشتهرت بعض المناطق والقصور بزياراتها حتى صار لها طابعاً إقليمياً ووطنياً، نذكر منها مثلاً "بوسبع حجات" في بودة خلال شهر جوان، و"سيدي امحمد المرفوع" في تينركوك ودلدول خلال شهر رجب، و"سيدي الحاج بلقاسم" في تيميمون تزامناً واحتفالية أسبوع المولد النبوي الشريف، وخلال شهر ماي نجد "مولاي سليمان" في أولاد اوشن، و"مولاي الرقاني" في رقان، و"باندیلو" في تيلولين بزاوية كنتة، و"سيدي عومر" في أوقروت خلال شهر صفر وغيرها، بعضها يتزامن مع تواريخ هجرية وأخرى وفق التاريخ الميلادي.

وفي هذه المناسبات الشعبية تظهر الفنون ومظاهر الفلكلور التواتية من أغاني ورقصات وأهازيج، على غرار رقصات البارود وقرقابو والحضرة وصارا وطبل الشلالي والأهليل...؛ من خلالها

[1] . محمد حوتية، **توات والأزواد**، ج2، المرجع السابق، 587-603.

[2] . A.G.P Martin, **Quatre Siecles…**, op.cit, pp.136-139.

وعلى ذلك الأساس أبدع الإنسان التواتي بلوحات الرقص والأغاني والأشعار والأهازيج التي عبر بها عن تاريخه وواقعه ومعاناته ومقاصده، وسنضرب هنا مثالين عن رقصة البارود والأهليل.

فرقصة البارود مثلاً والتي يتميز بها كل الإقليم التواتي

هي رقصة منتشرة وطنياً وإقليمياً، لكن المفارقة تكمن فيما يسمى "الصيغ" وهي تلك العبارات المسموعة التي يتغنى بها الراقصون، وتختلف من منطقة إلى أخرى، وهي رقصة شعبية شائعة وسط سكان ولايات أدرار وتيميمون وعين صالح، وترمز إلى تحضير جسماني وفكري لأجل المقاومة والدفاع ضد الغزوات التي تأتي من هنا وهناك، تبدأ بتحضير "مادة البارود" جاهزة للتفجير، ثم يتجمع أفراد الفرقة ويبدأون بترديد كلمات شعرية (الصيغة) بقيادة قائد الفرقة إضافةً إلى الإيقاع والمزمار و"الدربوكة" و"الأقلّال"[1]، بعدها يشكلون حلقة دائرية وتعطى إشارة إمساك البنادق المتبوعة بحركات منسجمة الإيقاع، لتختتم الرقصة بطلقات نارية موحدة مصوبة نحو الأرضية..

والرقصة غالباً ما تبتديء بمقطوعة شعرية محلية تمتدح الرسول (صلى االله عليه وسلم)، وتأتي بعدها مرحلة "التحمية" من أجل ضبط التوازن بين الإيقاع والحركة، وفي الأخير تخرج الفرقة الإيقاعية من وسط الحلقة، وتكون مراقبة توازن وانسجام حركة الراقصين من طرف القائد الذي يعطي إشارة انطلاق النار جماعياً في الوقت المناسب، ليرفعوا بعدها بنادقهم للسماء تعبيراً عن تضرعهم إلى االله سبحانه وتعالى من أجل الإنتصار[2]؛ ولأن هذه الرقصة كانت ملهمة ولها شعبية كبيرة، فقد حاولت فرنسا الاستعمارية التضييق عليها والحد منها، ففرضت على الناس بعد سنة 1905م، ضرائباً مثل ضريبة "الطكس" في معاملاتهم التجارية، وعلى فئاتهم النشيطة مثل ضريبة "الكرفي"، بل وحتى على ممارسة عاداتهم وتقاليدهم كالزيارة ورقصة البارود مثل ضريبة "الزهو"، وقننتها بالترخيص الممنوح من ممثليها على القصور[3].

ولأنها مناسبة اجتماعية تصدح فيها الألسن بالهتافات والأشعار التي تعكس واقع الناس وشؤون حياتهم اليومية والروحية، فقد كانت الرقصة تردد صيغاً تعبر عن حالة المنطقة والجزائر وتخلد للأحداث والبطولات، وتورث للأجيال فكرة المقاومة والروح الوطنية، فمنذ صغرنا ونحن أطفالاً كنا نسمع ونردد صيغاً ملهمة وحماسية من رقصات البارود، بعضها كان

[1] . من أنواع الدف الصغيرة والكبيرة، مصنوعة حرفياً بالصلصال المحلي ومغلفة بجلد الماعز.

[2] . قاسي محمد عبد الرحمن، "المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة دراسة في الفلكلور"، ***مجلة الأثر***، العدد 29، ديسمبر 2017، ص ص 184، 185.

[3] . عبد الله بابا، الحياة الاجتماعية والاقتصادية...، المرجع السابق، ص ص 299، 300.

متوارثاً عبر حلقات البارود، وبعضها تم تأليفه وإنشاده بالتزامن مع المستجدات والأحداث والظروف المعاشة.

وهذه بعض صيغ البارود مثلاً:

صيغة عن أولياء الله الصالحين مثل:

البداية باسم الله الرحماني...

الشيخ ابن اعمر شيخنا سلطاني

ومثلها عن سيدي امحمد المرفوع:

سيدي باصباح دايرو فوق الراس عمامة

منين جاتو لحباب سيدنا ضامن له سلامة

وصيغة عن رثاء حال الجزائر:

عيني بكات من لي صاب دزاير والقلب زاد بالحيرة..

نرفدو الفاتحة ونطلبو ربي يطفي هاد الجمرة..

وصيغة أخرى عن قيمة شعب الجزائر:

شعب الجزائر كبير وما عندو تعبير...

ودم الشهداء موالفو ملي كنت صغير

وصيغ أخرى عن الحب والتربية والدين والنصائح، وغيرها من المآثر الاجتماعية التي ساهمت فيها هذه الرقصة الجماعية، خاصةً أن رقصة البارود لم تكن متاحة لمن هب ودب، بل كبار القوم والشعراء كانوا يقودونها، وامتلاك بندقية في حد ذاته كان مكسباً ذو قيمة محلية، وعن بعض الصيغ الجياشة بالعواطف والأخوة تحضرني هذه الصيغة:

بكات عيني ودموعي نهزو

واللي بغيتو وقت الفرقة نعزو

ولأن رقصة البارود كانت مؤثرة اجتماعياً ومتنفساً ثقافياً، فقد ازدانت جمالاً بأمثال ومقولات شعبية صارت مضرباً والهاماً، وهنا يمكننا تذكر بعض الأمثلة مما علق بأذهاننا منذ الطفولة، مثل المثل المحلي القائل: "يحير الطبال، أما الزمار يديرها تحت باطو"، وهي مقولة عن نشطاء رقصة البارود، لكنها تضرب في ضرورة الحيطة والحذر والاستعداد لأي طاريء عند اللزوم. ومثال آخر: "يموت الزمار ما ينسى هز كتافو" وبعبارة أخرى "يموت الزفان.."، ويضرب في كون الطبع يغلب التطبع.

وأما النموذج الآخر فهو الأهلّيل

هذا الفن الثقافي اللامادي هو الأكثر شهرة وتأثيراً في منطقة قورارة، إذ أننا لا نجده في أي مكان آخر، فهو بالنسبة للبعض مأخوذ من لفظة "أهل الليل" لأنه لا يمارس إلا ليلاً، وبالنسبة لآخرين يرون فيه صلة مباشرة بالإسلام حيث يعتبرونه من لفظة "التهليل"، أما في اللغة السامية العبرية فتعني كلمة "تيهي ليم" المزامير، والحقيقة أن هذا النوع يعج بالأذكار والابتهالات والمطالع لمجموع أغاني خاصة بمنطقة قورارة، تنجز بأسلوب احتفالي في أماكن عامة ليلاً[1].

يمارس هذا الفن من خلال التئام بعض الرجال في الهواء الطلق، ويشكلون حلقة يقف في وسطها شاعر يغني بشكل منفرد "يسمى أبشنيو"، وعازف ناي وضارب طبل أو حجر وعازف إيقاع، ويردد الجميع الغناء الكتف جنب الكتف وبصوت واحد، ضاربين بالأكف مع الإيقاع، ويتضمن الأهليل ثلاثة أزمان متتابعة، تبدأ السهرة فيه بما يسمى "لمسرّح"، حيث ذكر الله والتضرع والصلاة على النبي وامتداح الأولياء الصالحين، ويدوم حتى منتصف الليل، وغالباً يوجه لعامة الناس خاصةً الشباب؛ والزمن الثاني يدعى "الأوڤروت" حيث يستمر من منتصف الليل إلى آخره، يتم فيه التذكير بأمجاد الماضي وملاحمه، أما الثلث الأخير فيسمى بـ "آثرا"، ترفع فيه قصائد الاستغفار والتوبة، ويكون بين بزوغ الفجر والشروق؛ وتوجد بمنطقة قورارة خمس مدارس للأهليل: أهليل تيميمون، وأهليل شروين، وأهليل أوقروت، وأهليل تاغوزي، وأهليل أولاد سعيد[2].

وما يلفت الانتباه في هذا الفن الشعبي النادر أنه بقي متوارثاً بالمشافهة جيلاً عن جيل، ولا يوجد لأشعاره أي أثر مكتوب في مخطوطات وكتابات المنطقة السابقة، سوى ما قيل عن بعضه مكتوباً في جهة شروين لكنه لم يكشف بعد، ورغم ذلك فقد بقي متداولاً كأسلوب ثقافي ساعد على حماية خصوصية المنطقة في مقومات شخصيتها، حيث نجده يركز على الطابع الاجتماعي والجانب الروحي، ويمزج بين اللغتين العربية والزناتية الأمازيغية، وللإشارة فالقصائد الملحونة التي تصاحبها الرقصات تسمى "أهليل"، أما القصائد وحدها دون تلحين أو رقص فتسمى "أزلوان".

ومن أهم ما يميز قيمة قصائد الأهليل أنها سرداً لتاريخ عريق مقدس لم تستطع فرنسا طمسه، حيث نجد أنها مليئة بالإشارات إلى شخصيات قيادية وزعامات روحية وأولياء الله

[1] . جولي أحمد وآخرون، دليل مهرجان أهليل...، المرجع نفسه، ص 25.

[2] . معمري مولود، **أهليل القورارة**، ترجمة: فلة بن جيلالي وكمال شاشوا، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، العدد 20، الجزائر 2014، ص ص 25-31.

الصالحين، كما ورد في قصيدة "ماما لعزاري" حيث ذكر الناظم أزيد من 22 ولياً، نذكر على سبيل المثال سيدي عومر صاحب زاوية سيدي عومر بأوڤروت، والذي ينحدر من قبائل الأنصار بشبه الجزيرة العربية، وأيضاً سيدي موسى أولمسعود مؤسس سوق سيدي موسى بتيميمون وقصر تاسفاوت، التي كانت تمثل العاصمة الروحية لسكان قورارة وهو ينحدر من سلالة الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني، وسيدي الحاج بلقاسم الذي ينحدر من سلالة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهناك العديد من الشخصيات كلها تحمل دلالات معينة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمنطقة وسكانها.

كما نلاحظ خلو قصائد أهليل من الكلمات الأجنبية وخاصة الفرنسية، رغم تعايش الثقافتين الزناتية والفرنسية من خلال التواجد الفرنسي إبان فترة الاستعمار، إلا أن هذا التعايش لم يكن له تأثير على الزناتية، ولعل سبب انعدام هذا التأثر راجع إلى التمسك الشديد لقبائل الزناتة بالإسلام، حيث كانوا ينظرون إلى من يستعمل الفرنسية(لغة الرومي) كأنه خارج عن الملة، وهي تستعمل حتى الآن في بعض مناطق قورارة للإشارة إلى السلوكيات الدخيلة عن المجتمع[1]. وبالمختصر فإن الأهليل كان صورة حقيقية عن ثقافة وشخصية منطقة قورارة، مس جوانبها الدينية والدنيوية وحفظها شعراً وأهزوجةً، ولا تزال بعض الصيغ والعينات عن هذا الفن خالدة ومتوارثة.

فمثلاً نجد بعض الصيغ عن تلقين تعاليم الدين وترسيخ هوية المنطقة:

وللإشارة فليس دائماً الأهليل يكون باللسان الزناتي الأمازيغي، فكذلك يمكنك سماع قصائداً عنه ممزوجة باللهجة العربية المحلية والأمازيغية، وخاصةً فيما يتعلق بالطابع الديني لهذا الفن، حيث تهدف أشعاره إلى تلقين مختلف الدروس والقصص والمواعظ الدينية في أوساط المجتمع القوراري، والهدف منها طبعاً هو التربية والتنشئة الصالحة وتقديس الأولياء والرموز الدينية، ومن هذه القصائد نجد قصيدة "سيد الجيلالي" التي تبين أركان الإسلام وفرائض الوضوء، يقول فيها القائل:

قواعد الاسلام خمسة معدودة...
الشهادتين داين الصلاة فيديس
الزكاة والصيام انحج الكعبة...
انوقف في عرفة انطوف الكعبة
ادناوي سنّة الركعات فلمقام نبراهيم...

[1] . عبو الطاهر، **الأبعاد الاجتماعية والدينية لأهليل من خلال مجموعة من القصائد**، الطبعة السابعة للمهرجان الثقافي أهليل بمنطقة قورارة، المكتبة المركزية تيميمون – 2013/12/26، ص ص 9، 10.

الصفا والمروة ادسوغ امان نزمزم
فرائض الوضوء سبعة معدودة...
اغيمي سنية دومان اطهران
اسيد نودم دغالن فيديس...
مسح تمقنا تنسا آل تكعبة
الفور والدلك عادهم محسوبين...
الشيخ الجيلالي شايلّاه وبه[1]

ومثال آخر يعالج مظهر التخاذل عن نصرة المظلوم:

حيث نجد مقطوعة من الأهليل تشخِّص هذه الآفة في المجتمع الزناتي بغية تجنبها، خاصةً أنها قد تضر بلحمة المجتمع وتساعد الأجنبي كيفما كان في سياسته فرق-تسد، حيث تطرق لها الناظم في قصيدة "الصلاة على محمد الهاشمي" في قوله:

ويمزقرات أوغيلنس اديمود الباطل
ويمقزل مسكين الحقنس اس اراح
أولى مي يسول ميدَن قاع ات لشين
أس إينين امشي هداك البوهالي
تيدت موشوميات و يتينَان أد احير
ويتغاينين أتيلي يزمایاس

تعقيب

ومعنى ذلك أن أصحاب الأيادي الطويلة قد يفعلون في المجتمع ما يشاؤون، وأصحاب الأيادي القصيرة والمقصود بهم الضعفاء والمساكين قد تضيع منهم حقوقهم، وإذا تكلموا لم يجدوا آذاناً صاغية، ومن يقول كلمة الحق يصير في مأزق إن لم يكن قادراً على مرافقتها بالقوة[2]. وللإشارة هذه المقطوعة وأغلب قصائد الأهليل لا نكاد نجد لها تواريخ ومؤلفين ثابتين، لكنها تبقى متوارثة جيلاً عن جيل، منذ ما قبل العهد الفرنسي الاستعماري بطبيعة الحال.

[1] . بلمير خديجة، "رؤية في تراث الأهليل وأبعاده في ترسيخ الهوية بمنطقة قورارة بالجنوب الجزائري"، ***مجلة رفوف***، المجلد 10، العدد 02، جامعة أدرار الجزائر جويلية 2022، ص 722.

[2] . عبو الطاهر، الأبعاد الاجتماعية والدينية لأهليل...، المرجع السابق، ص 5.

رأيٌ واستنتاج

وعلى العموم، فأهم ما يمكن استنتاجه من دور الأهليل في الذاكرة والتنمية المجتمعية، أن الأهليل فنٌ وتراث لا مادي في المنطقة وإن تعددت أشكاله وألوانه فقد اتحدت أهدافه، وهو كقصائد شعر أمازيغي ملحون صبت في الذاكرة الشعبية المحلية كوعاء تراثي يؤرخ ويحفظ كثيراً من أحداث وتقاليد المنطقة. ومن خلاله نجح سكان المنطقة إلى حدٍ بعيد في الحفاظ على مقومات شخصيتهم المحلية، حيث حافظوا على لغتهم ولهجاتهم دون أن تمسها الفرنسة ولو جزئياً، وحافظوا على الإسلام والمذهب المالكي السني رغم حملات التنصير والإغراء والتشويه والخرافات، وهذا ما نستشفه في قصائد الأهليل مثلاً.

ونلاحظ أن معظم ما نُظم من تراث أهليل الخاص بمنطقة قورارة، كان في جله يتناول مسائل دينية واجتماعية، وأن تلك المواضيع كانت بلغة عربية دارجة أو لهجة زناتية أمازيغية، وكان لذلك الملمح دلالة عن دفاع أهل المنطقة عن مقومات الشخصية الوطنية، ولتعايش الثقافتين البربرية والعربية، وأيضاً بسبب اقتناع قبائل زناتة بالإسلام الذي يعتبر اللغة العربية أساسية لممارسته، وأنه بقي فن قوراري أصيل لم يتأثر بأي متغيرات أخرى، مما يجعلنا نصنفه كتراث لا مادي عبّر عن ثقافة مجتمع وحافظ على خصوصيته، وهو المصنف حالياً عالمياً، مما أعطى بذلك صورة رائعة عن دور هكذا فنون شعبية في التعريف بالذاكرة الوطنية داخلياً وخارجياً.

والأهليل يعتبر نشيد قورارة الأزلي نظراً لأنه أكثر الممارسات الثقافية تأثيراً، فهو كثقافة موروثة عبر الأجيال صبت فيها إضافات ونتاج طويل الأمد، وتميزت بقيم وتأثيرات مركبة في عدة مجالات ومقاصد، مما جعله كفن وأداة تواصل عنصراً هاماً في التراث والذاكرة، ومن هنا يمكننا القول أنه تعدى كونه مجرد فن وتراث بل صار الأهليل في حد ذاته يبدو كهوية محلية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهو ما يستدعي سيرورته ودوام استمراره بفضل الوظيفة التي يؤديها داخل المجتمع القوراري، وإن كانت العولمة والغزو الثقافي من أهم الصعوبات والتحديات التي يواجهها هذا التراث بحكم خصوصيته وشروطه، لكنه سيبقى حياً ما بقيت التركيبة البشرية لمنطقة قورارة قائمة بعناصرها وتمازجها.

ومما يمكننا استنتاجه، أن الأهليل لم يعد فن وتراث حبيس منطقة قورارة في ولاية تيميمون فقط، بل كذلك صارت له شهرة وطنية وعالمية، وأضحى يستقطب الباحثين والمهتمين ورواد السياحة والثقافة والتواصل بين الشعوب، وهو بذلك يمكن الاستثمار فيه تنموياً محلياً ووطنياً ودولياً، ومن خلاله قد نساهم في تشجيع السياحة وتنمية قطاع الخدمات، ومن خلاله يمكن

تعزيز الوحدة والثقافة المجتمعية القائمة على أساس التعايش بين اللغات واللهجات والثقافات، ولما لا التنمية الوطنية في إطار مبادرات وأفكار تجسدها على أرض الواقع، بدءاً بدراستها والبحث فيها ثم إلى مرحلة التنفيذ والحصاد، على غرار هذا الملتقى الكريم الذي يسلط الضوء على التراث الشعبي الجزائري كهوية نعتز بها.

وعن النظام القضائي

فقد كان المجتمع التواتي يدار في إطار نظام الجماعة الخاص، القائم على التعاليم الإسلامية والأعراف المحلية، والذي جعلت له جماعة القصر مؤسسات وأسر متخصصة، حيث اشتهرت مثلاً عائلات البيت البكري والبلبالي والتنيلاني بممارسة هذه المهمة النبيلة، لما عُرفوا بمكانتهم وعلمهم وسكنهم في أهم حواضر توات[1]. وكانت الجماعة لا تولّي القضاء إلا بشروط من أهل العلم والدراية والرأي والعدالة، وأما مهام القاضي فقد تعددت وتمثلت في إصدار الفتاوى والأحكام وتوثيق العقود، وفي نفس الوقت ممارسة الإمامة وشؤون التعليم المحلي[2].

ومن أهم الشخصيات التي اشتهرت على رأس القضاء في توات قبيل الغزو الفرنسي للمنطقة حسب معطيات سنة 1892م، نجد مثلاً سيدي امحمد بن الحبيب البلبالي في منطقة تيمي، وسيدي محمد عبد الله البوداوي على منطقة تيميمون وما جاورها، وسيدي عبد الرحمن ولد الإمام في عين صالح، وسيدي حمزة الفولاني على تيديكلت، وسيدي عبد الرحمن بن خالد على قصور دلدول وزوى دلدول[3]؛ ونظراً لمكانتهم وشهرتهم فقد تعامل معهم المخزن في علاقاته، وأبقت عليهم فرنسا في بداية احتلالها للمنطقة دون أن تتدخل في مهامهم، كما تذكر الأحداث التاريخية أن بعضهم لم يعبأ بإجراءات وسلطة فرنسا وكانت لهم مواقف وقضايا مشرفة ضدها.

كما تميزت الشخصية التواتية بخصائص عامة ذات قيم حضارية ومُثل عليا، حيث عُرف عنها التدين ومحبة العلماء وأولياء الله الصالحين، والتعاون والشخصية الهادئة والمسالمة[4]، وهذا ما انعكس على حسن معاملتهم واحترامهم للأجانب، خاصةً إذا وجدوهم مسلمين ومسالمين، أو أنهم من أهل الفضل والعلم والوجاهة، وقد عبر على ذلك الحسن الوزان حينما قال عنهم

---

[1] . عبد الفتاح بلعروسي، **المقاومة الثقافية في إقليم توات خلال الفترة الاستعمارية 1900-1962**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان بالجزائر، موسم 2022/2021، ص ص 80، 81.

[2] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص 56.

[3] . Martin (A.G.P), **Quatre s…**, op.cit., p. 264.

[4] . أم هاني طواهرية، **تطور الذهنية الإجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين الميلاديين 19 و20**، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2014/2013، ص ص 45-48.

"وكثيراً ما يتقاتلون بينهم ويتطاحنون، إلا أنهم لا يمسون الغرباء بسوء"، كما وصفهم الرحالة الألماني "جيرهارد رولفس"[1] بالمسالمين وأنهم يحبون الغرباء والعلماء ورجال الدين، ولعل هذه الصفات سهلت توافد الكثير من العلماء واللاجئين والزوار على المنطقة[2].

وعن الظروف المعيشية

فقد كان المستوى المعيشي متذبذباً حسب أحوال وأحداث المنطقة من فترة إلى أخرى، وعلى العموم قد يوصف بحالات لابأس بها، حيث كان لا يخلو أي بيت من التمر مثلاً كوجبة رئيسية[3]، وقوت أهل توات كان من لحم الغنم والإبل والتمر والكسكسي الذي يتميز فيه الأغنياء بالسمن والقمح الذي يأتيهم من التل، ولباسهم كان متشابهاً، يلبسون سراويلاً مزركشة وطويلة مشبعة في أسفلها بالحرير، وعباءة وعمامة وبرنوساً فوقها، والنساء كن يرتدين الحائك وأساور الذهب والفضة، وكن نظيفات وجميلات، هذا ما ذكره الرحالة (أوجين دوماس) في زيارته إلى تيديكلت ما بين 1843-1851، وأضاف أن ذلك شأن توات في معظمها[4].

وقبله الرحالة الإنجليزي (غوردن لانغ) عند زيارته لجهة تيديكلت، أشار في رسالة بتاريخ 04 ديسمبر 1825 إلى أن الناس كانوا في قمة النبل والأخلاق الكريمة، وأنهم كانوا يميلون إلى النظام والدماثة، وأنه استنتج من مظهرهم مدى غناهم ونشاطهم، فكل الرجال –حسب رؤيته- كانوا يلبسون ثياباً جميلة، وعن وصفه للنساء قال: "أما النساء فتحب البهرجة والزينة والحلي الثمينة، وقد أنعم الله عليهن بالمباهج الجمة..."، ثم أكثرَ عليهن من الوصف والإعجاب حتى يُخيل إليك أنه كان يتغزل بهن، متكلماً عن جمالهن ونظافتهن وزينتهن، واصفاً أشكالهن وألوانهن وشعرهن...[5].

---

[1] . **جيرهارد رولفس :** من مواليد سنة 1831 قرب مدينة بريمن بألمانيا، تخلى عن الدراسة وهو إبن طبيب ألماني، وانضم في الجيش لكتيبة بريمن سنة 1849، ثم للفيلق الأجنبي بفرنسا وخاض معاركاً في الجزائر 1856-1857، وتمت ترقيته إلى رقيب، ثم غادر الجيش في 1861 ورحل إلى المغرب وامتهن فيه الطب وتظاهر باعتناق الإسلام، ومن هناك بدأت مغامرات رحلاته المتعددة منذ 1862 إلى أن توفي في ألمانيا سنة 1896. ينظر: غيرهارد رولفس، **عبر إفريقيا**، ج1، تر: عماد الدين غانم، مركز البحوث والدراسات الإفرقية سبها، طرابلس ليبيا-1987، ص ص 18-30.

[2] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص 194.

[3] . نفسه، ص 188.

[4] . أوجين دوماس، **الصحراء الجزائرية...**، المصدر السابق، ص 192.

[5] . غوردن لانغ، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن...**، المصدر نفسه، ص 340.

وفي نفس سياق مظاهر المعيشة في توات، وكصورة سابقة عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، ذكر العياشي في رحلته أواخر القرن 17م أن توات كانت تعج بالسلع والمنتوجات، وأن الحجاج كانوا يفضلون المرور بها لشراء حاجياتهم بأثمانها الرخيصة نظراً لوفرتها[1]، وخلال القرن 19م يؤكد ابن الدين الأغواطي أن سكان منطقة توات كانت أحوالهم ميسورة، بحيث وجد أن لهم أسواقاً كان يباع فيها العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة، وذكر منها عين صالح وتيميمون وأولف[2].

لكن ورغم تلك الأمثلة والأهمية التي كانت تتمتع بها توات تجارياً واجتماعياً، إلا أن المنطقة لم تصل إلى درجة إغناءها ورفاه أهلها، بل كان العوز والفقر والمجاعة من المظاهر التي تخبطت فيها من حين لآخر، حتى أن مراسلات وتقارير مخزنية في القرن 18م صنفت توات كواحات فقيرة[3]، وخلال القرن 19م يصف صاحب مخطوط (القول البسيط في أخبار تمنطيط) توات بأنها أرض جدب وندرة رغم القناعة والبركة عند أهلها، ويضيف عنها قائلاً "وإن قلّ فيها الرزق فقد كثر فيها الأمان والإيمان..."[4]

كما لا يمكن الجزم أن المجتمع التواتي كان خالياً من المشاكل والآفات والقلاقل الاجتماعية، فقد ذكرت بعض الكتابات عن أحوال سلبية تميزت بها توات خلال القرن 19م، حيث عرفت انتشاراً غريباً للبدع والخرافات ومظاهر السحر والشعوذة، فقد أشار (غوردن لانغ) إلى أن المجتمع في توات رغم أنه كان يدين بالإسلام، إلا أنه كانت تنتشر فيه ظاهرة قراءة الطالع وخط اليد والتنجيم، كما في المجتمعات الوثنية والبيدائية[5]. تلك الظواهر ربطها الدكتور مبارك جعفري بأنها استجدت على المنطقة من إفريقيا جنوب الصحراء[6]؛ خاصةً أن المنطقة كانت معروفة بجلب أعداد هائلة من العبيد، ناهيك عن علاقاتها التجارية والثقافية التي كانت تتواصل عبرها مع إفريقيا جنوب الصحراء.

وأما عن المرأة في توات فرغم أنها كانت تتمتع بكثير من الحقوق والمزايا حفظت كينونتها وشرفها، إلا أنها في حالات أخرى كانت عرضة للتمييز والتهميش، حيث برزت في توات ظاهرة

---

[1] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، ج1، المصدر السابق، ص 79.

[2] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص ص 93، 94.

[3] . نور الدين بن تيشة، **الأسرة في توات...**، المرجع السابق، ص 231.

[4] . محمد بن بابا حيدة، **القول البسيط...**، المصدر السابق، ص 11.

[5] . غوردن لانغ، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ...**، المصدر السابق، ص 340.

[6] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص 195.

حرمان الإناث من الميراث، وسنّت بعض القبائل قواعد عرفية لتنفيذ ذلك، من خلال تخصيص أملاك البساتين ومياه الفقارة بصيغة "حبوس" للذكور فقط[1]، كما لم تتلق المرأة في توات حقها من التعليم، مقارنة بالذكور الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم في الزوايا والمدارس القرآنية، ناهيك عن مشاكل الزواج والطلاق.

رأيٌ واستنتاج

من خلال إطلاعنا على مجموع الإحصائيات الواردة في المصادر الفرنسية، والتي تكاد تكون هي الوحيدة التي أعطت أرقاماً عن التعداد السكاني لمنطقة توات أواخر القرن 19م وأثناء العهد الاستعماري، إلا أنها كانت إحصائيات متضاربة وغير دقيقة مما صعب علينا مهمة الوصول إلى الحقيقة المطلقة، حيث بلغ حسب المعطيات التي جمعناها عن (هنري بيسيال H.bissuel) سنة 1891م أكثر من 191 ألف نسمة، وحسب معطيات (Guillaume de Champeaux) سنة 1902 م حوالي 52 ألف نسمة[2]، ونجد أرقاماً مبالغاً فيها بدرجة كبيرة عند (Jean Hess) الذي أعطى إحصائيات عن كل قصور ومناطق توات، بما مجموعه حوالي 225 ألف نسمة[3].

لكن ورغم تلك المعطيات المتناقضة فإن ما يمكن الجزم به أن منطقة توات كانت عامرة بالسكان، وبحكم أن عدد قصور المنطقة في حدود 339 قصراً حسب دراستنا هذه، فإذا افترضنا كأقل تقدير معدل 100 نسمة في كل قصر، فالتعداد سيتجاوز 33 ألف نسمة، وإذا افترضنا كأقصى تقدير 500 نسمة لكل قصر، فالتعداد سيتجاوز 150 ألف نسمة، علماً أن بعض القصور تكون أكثر وأخرى أقل وبعضها اختفى واندثر؛ ومنه فهذا الرقم لا يختلف عما أورده الدكتور إبراهيم مياسي نقلاً عن تقرير للضابط "ديبيرتير" قدر فيه عدد سكان إقليم توات سنة 1889م بحوالي 100 ألف نسمة[4].

أما عن استفحال ظاهرة الطبقية وتأثيرها في التفاوت الإجتماعي بين الفئات المشكلة للعنصر البشري، وانعكاساتها سلباً وإيجاباً حيث أنها ساهمت في صراعات وتنافس إثني وسلطوي، وثراء ثقافي ووظيفي في المنطقة. بل بالعكس ونظراً لهذا التنوع القبلي والعرقي

---

[1] . نور الدين بن تيشة، **الأسرة في توات...**، المرجع السابق، ص ص 165-167.

[2] . Guillaume de Champeaux, **a Travers les Oasis Sahariennes**, op.cit , p.27.

[3] . Jean Hess, "L'extrème-Sud Algérien et Le Touat", ***Annales de géographie***, vol 26, Année 1897, pp. 162-164.

[4] . إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية...**، المرجع السابق، ص 487.

والطبقي بالإضافة إلى كينونة المنطقة ذات الأهمية الجغرافية البالغة، فقد انعكس ذلك على المجتمع الـتواتي بمستوى معيشي لابأس به، جلب إلى المنطقة عدة هجرات ولجوء من الشمال والجنوب والشرق.

كما أن المجتمع التواتي الذي كان يخضع لعادات وتقاليد وأعياد ومناسبات خاصة جداً، أهم ما يميزها تلك الزيارات التي تقام لأضرحة أولياء الله الصالحين والقدسية التي تعطى لها، ومن المظاهر أيضاً ذلك التكافل الإجتماعي الذي كان يميز المجتمع رغم اختلافه، حيث كان الناس يتعاونون ويتنافسون في إكرام الضيف وبناء الزوايا والمدارس وإنشاء المساجد وفقارات السقي، وتجليات ذلك التكافل لا تزال متوارثة في كثير من المظاهر مثل "التويزة" وغيرها...، مما يعطي انطباعاً على أن تلك التركيبة والطبقية كانت تذوب انسجاماً وتعاوناً في الظروف والعادات التواتية.

والأهم في طبيعة المجتمع التواتي احترام الناس للأجانب وحسن معاملتهم، حيث يروى عن المغيلي قوله "دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر فانتفعنا منهم وانتفعوا منا"، وقال الحسن الوزان عنهم "وكثيراً ما يتقاتلون بينهم ويتطاحنون، إلا أنهم لا يمسون الغرباء بسوء"، كما وصف الرحالة الألماني جيرهارد رولفس سكان توات بأنهم كانوا مسالمين وأنهم يحبون الغرباء ورجال الدين[1]؛ ولعل مثل هذه الصفات والأخلاق كانت تجذب للمنطقة الفارين والمهاجرين من شمال افريقيا وجنوب الصحراء الكبرى.

[1] . مبارك جعفري، مقالات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 185.

توات : حاضرة مشعة ثقافياً

تميزت منطقة توات بحركة دؤوبة ونشيطة للعلم والعلماء على غرار حيويتها التجارية، وكانت هذه الحركية الثقافية قد برزت بالتزامن مع انتشار الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء، نظراً للأدوار التي لعبها علماء ومشايخ توات في ذلك، وتجلت مظاهرها في الجانب الروحي الصوفي وما ترتب عنه من نهضة ثقافية وعلمية بشتى تخصصاتها، من خلال دور الزوايا والمخطوطات وخزائنها، مما أكسبها صيتاً وعلاقات وطيدة بين حواضرها والبلدان المجاورة والحواضر الإسلامية القريبة والبعيدة، حتى أن الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي يروى أنه قال عنها "دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا"، وللتعرف على جزء من تلك الأوضاع الثقافية التي تميزت بها قصور توات، خاصةً خلال القرن 19م، اقترحنا هذه المباحث:

- مظاهر الحركة العلمية خلال القرنين 18 و19م (المدارس والمناهج، دور الزوايا، الطرق الصوفية)
- أهم الأعلام والمراكز العلمية (في توات الوسطى، وقورارة، وتيديكلت).
- العلاقات الثقافية خارجياً (مع حواضر الجزائر، وفاس، وشنقيط، وتونس، ومصر، والحجاز...)

1. مظاهر الحركة العلمية خلال القرنين 18 و19م

عرفت توات خلال القرن 12هـ/18م انتشاراً وازدهاراً للتعليم من خلال الكتاتيب والزوايا القرآنية، والتي لم يخلو منها أي قصر من قصورها الكثيرة، وكان هذا النوع من التعليم متاحاً ومجانياً للجميع[1]، وقد اعتبر العديد من الباحثين المهتمين بتاريخ توات أن القرنين 12-13هـ/18-19م، كانا يمثلان أهم القرون الذهبية، وذلك لما شهداه من إنتاج علمي كبير في مختلف المجالات[2].

ولم يكن نشاط الحركة العلمية خلال هذه المرحلة وليد الصدفة بل كان نتيجة تراكم عوامل عديدة ساهمت في تشكله وتبلوره، أهمها موقع وحركية منطقة توات الجغرافية والثقافية، وأهميتها التاريخية والتجارية التي لعبت أيضاً دوراً في ربطها بشبكة معرفية متجددة، ومواكبةً لآخر التطورات والقضايا العلمية والفقهية الجدلية، ومسايرةً لآراء علماء المشرق والمغرب رغم بُعد المنطقة، وذلك من خلال ما ساهمت به قوافل التجار والمسافرين والحجاج العابرة للصحراء[3]؛ بالإضافة إلى القيمة والاهتمام والمحبة التي كان يكنها المجتمع التواتي للعلماء والمشايخ، وقد وقف على هذه الصفات حتى الأجانب من غير المسلمين، فهذا مثلاً الرحالة الألماني جيرهارد رولفس قال عن أهل توات لما زارهم منتصف القرن 19م، أنهم كانوا قوماً مسالمين يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين[4].

وكان هذا النشاط والتموقع ثمرة التوافد الكبير للعلماء والمشايخ الذي عرفته المنطقة والظروف المواتية لهم، فبرزت من خلالهم أيضاً نهضة كبيرة في الكتابة والتأليف ونسخ المخطوطات، حتى وصلت درجة الاهتمام بالعلم والعلماء حينها إلى نشأة بيوتات ومراكز علمية ذات إشعاع علمي وحضاري، لم تكن تختلف عن الحواضر العلمية الشهيرة في بلدان المغرب

---

[1] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص 189.

[2] . حليمة كحلاوي، **الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (12-14 هـ 18-20م)**، رسالة ماجستر، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2016/2015، ص 134.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...** ، المرجع السابق، ص 15.

[4] . Gerhard Rohlfs, "Voyages et Explorations au Sahara", tome.1, 1861-1864, Traduits: Jacques debets, Edité sous l'égide du centre d'études sur l'histoire du sahara, Éditeur Karthala (15 mai 2001), p.204.

الإسلامي وهي في أوج عطائها وإشعاعها[1]. وتجلت في ظهور حواضر ومناهج واهتمامات ذات صلة، من مظاهرها:

1.1. مدارس التعليم ومناهجها

أشار الشيخ محمد باي بلعالم في كتابه (الرحلة العلية) إلى أن تعليم القرآن الكريم في الديار التواتية كان متاحاً ومنتشراً بشكل واسع من خلال مساجدها ومدارسها وزواياها، فقال: "المدرسة القرآنية الحمد الله موجودة في كل قرية من قرى هذا القطر المؤمن بالله تعالى، فلا تكاد تجد قرية إلا وفيها مدرستان على الأقل[2]؛ وهذا ما ذكره بعض الرحالة أمثال ابن الدين الأغواطي الذي قال أنه شاهد في توات عدد كبير من المساجد والسكان فيها يصومون ويصلون ويقرؤون...[3]، وأشار (أوجين دوماس Daumas) بشكل واضح إلى دور المسجد كمؤسسة تعليمية إذ قال "أنه كان يوجد في كل حي: مسجد، يعلم القراءة والكتابة وعلوم الدين"[4].

وكان التعليم في توات يتدرج مرحلياً من الكُتَاب ثم الزاوية أو المسجد، ثم إجازات كبار العلماء والفقهاء من داخل وخارج توات في نهاية المطاف، وكان التعليم متاحاً لكل فئات وطبقات المجتمع التواتي باستثناء العبيد[5]؛ وكان النظام التعليمي يبدأ من "أقربيش"[6] ثم "الزاوية" ثم إلى أن يُبعث لإكمال دراسته خارج مناطق توات، كان طالب العلم حينها يتلقى دروساً في كثير من التخصصات كحفظ القرآن والفقه واللغة والحديث وغيرها، وتذكر بعض المخطوطات أن طلبة محليين مثل الشيخ عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني (ت

[1] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2012/2011، ص 120.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص 263.

[3] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات : رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 94.

[4] . Daumas Eugene, **Le Sahara Algérien "études géographique**, statistique, et historique sur la région au sud des établissements Français, Langlois Leclercq, Paris, 1845, p74.

[5] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص86.

[6] . **أقربيش :** كلمة محلية تطلق على المدرسة القرآنية الصغيرة، والتي يتم فيها تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في أول مراحل تعليم الصغار.

1233هـ/1818م)، والشيخ أحمد زروق بن صابر الجعفري البوداوي[1] (ت 1245هـ/1830م)، سافرا إلى فاس ودرسا على بعض شيوخها وساهما بعودتهما في النشاط التعليمي داخل توات[2].

ولم يقتصر ما كان يتعلمه أبناء توات في تلك المراحل على اللغة العربية وآدابها، وعلوم الدين كالحديث والتفسير وحسب، بل كانت تلك العلوم تخضع كمناهج للمذهب المالكي، بالإضافة إلى الحساب والجبر كذلك. ورغم أن أهل طلبة العلم كانوا يزودن أبنائهم بالمؤونة ومصاريف الزاوية، فأبناء الفقراء كانوا يدرسون على حساب ريع أملاك وأوقاف المسجد والزاوية[3]. وكان تدعيم تلك الزوايا والمدارس يأتي حتى من خارج المنطقة، يقول صاحب كتاب (درة الأقلام) أن أهل الأصقاع من الحواضر والبوادي، كانوا أيضاً يكرمون أهل زوايا توات ويدافعون عنهم بالنفس والنفيس، ويعظمون حرمتهم، ويخصصون لهم بعض الضرائب من حر أموالهم[4]، بل حتى أن الزوايا كانوا يستثنون من دفع الزكاة في حالات خاصة[5].

تلك البيئة الثقافية في منطقة توات كانت جاذبة للطلبة والعلماء بظروفها ونشاطها وبيوتاتها العامرة، وقد ذكر صاحب مخطوط (نسيم النفحات) من أسباب مجيئه واستقراره بمنطقة توات مطلع القرن 14هـ أنه لما ارتحل إليها وجد فيها ضالته المنشودة[6]. فمعلم القرآن (الطالب) والإمام (الشاهد) وحتى القيّم والمؤذن كانوا كلهم يحظون باحترام كبير بين الناس، ولم يكن دور المعلم أو الإمام يقتصر على التعليم فقط، بل كان يفض النزاعات ويرقي المرضى والمسحورين ويكتب العقود، ونظراً لكل تلك الخدمات والأدوار أوقف المحسنون والأغنياء نخيلاً وعقارات وحبات مياه الفقارات وحتى بعض رؤوس الماشية لبيوت الله والمدارس القرآنية والزوايا[7].

---

[1] . يكنى أبو العباس ولد في بودة تاريخ ميلاده غير معروف، كان إماماً وشاعراً، تتلمذ على يد الونقالي والزجلاوي، وسافر إلى فاس وأخذ فيها العلم عن شيوخها، توفي سنة 1245هـ/1830م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات...، المرجع السابق، ص 95.

[2] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص ص 189، 190.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 86.87.

[4] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 51.

[5] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3.

[6] . شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 1.

[7] . مبروك مقدم، **بنائية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2016، ص 35.

كانت تلك الهبات والعطايا عند أهل توات مصداقاً للحديث النبوي الشريف (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[1]، وكان معلم الصبيان في مرحلة الكتاتيب يتقاضى أجره من بيت دار الضمانة[2] بشكل دائم ومستمر، ومع بعض الهبات والعطايا التي يقدمها الأولياء عن أبنائهم في كل مرحلة تعليمية يبدأونها أو ينهونها؛ فلم تشذ توات عن بلاد المغرب التي جرت فيها العادة أن يرسل الأب مع ابنه هدية للمؤدب عند حفظه للقرآن الكريم، تمثلت في مبلغ من المال، وأن يأخذ المعلمون هدايا من آباء الصبيان في عاشوراء والمناسبات الدينية الأخرى[3].

2.1. دور الزوايا وخزائن المخطوطات

الزاوية هذا المصطلح الذي ينتشر بكثرة في ربوع توات، كان يطلق على بناء ذو طابع ديني، ظهرت نشأته الأولى خلال القرن 8هـ وكانت تطلق التسمية على مكان للعبادة يشتمل على مرافق لطلبة العلم، ولإيواء الواردين وعابري السبيل، كما كان يشار بمصطلح الزاوية لتلك الصدقات الجارية المحبسة بنص موثق ومحدد، وكانت تنقسم إلى زوايا الضيافة، وزوايا العلم، وزوايا الضيافة والعلم معاً[4]، بل هناك من يقول أن الزاوية ظهرت قبل ذلك، ويستدل بزاوية مولاي سليمان بن علي[5] بقصر أولاد أوشن، التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن السادس الهجري، وقد حُبِّست لها أحباساً متعددة لتسيير شؤونها[6].

وعن أدوارها المتعددة يقول الشيخ الطاهري عن زاويته بأنها كانت "تغذي الطلبة بمناهل العلوم والمعارف الـمختلفة بأنواع الفنون العلمية، وإطعام الطعام للمساكين، وأبناء السبيل..."، ويضيف لها أدواراً أخرى تمثلت في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقاومة للبدع وأهلها،

---

[1] . حديث نبوي شريف، رواه أبوهريرة وأخرجه مسلم.

[2] . **دار الضمانة:** هي أشبه ببيت مال المسلمين، تجمع فيها التبرعات والعطايا وخراج الأوقاف التي تسلم للزاوية، ينظر: مبروك مقدم، بنائية تقسيم العمل المأجور...، المرجع السابق، ص 35.

[3] . حليمة سليماني، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي من خلال المصادر المحلية (13هـ/19م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2021/2020، ص 203.

[4] . أحمد أبا الصافي جعفري، **من تاريخ توات أبحاث في التراث**، المرجع السابق، ص 237-238.

[5] . وُلد في فاس حوالي سنة 549هـ/1154م، وينتسب لعائلة الأشراف وكنيته أوشن معناها بالبربرية الذئب، نزل بتوات عام 580هـ/1184م واستقر في قصر أولاد أوشن الذي تسمى عليه سنة 595هـ/1199م وأسس بها زاوية كانت عامرة بالعلم والطلبة والمخطوطات والضيوف، توفي سنة 670هـ/1271م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، **معجم أعلام توات**، المرجع السابق، ص ص 166، 167.

[6] . حليمة سليماني، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص 213-214.

والإصلاح بين الناس والنصيحة لهم، وإيقاظهم من الغفلة، وتنبيههم عن دسائس الاستعمار ومكايده"[1]. في حين يقسم الدكتور محمد حوتية الزوايا إلى: **زوايا للتعليم** كانت وظيفتها تعليم الأطفال علوم اللغة والقرآن، وانتشرت على كامل قصور توات، وهي التي ارتبطت بتسميات مثل (الجامع، وأقربيش، والمحضرة)، و**زوايا للتربية** أسسها رجال الطرق الصوفية للعبادة والتربية والأخلاق الصوفية[2]. وعلى العموم فالزاوية في توات كانت متعددة الخدمات والأدوار، وإن كان يغلب عليها الجانب العلمي التعليمي والدور الثقافي والاجتماعي.

ولم يقتصر دور الزوايا في تلقين التعليم للطلبة، بل كانت كمؤسسات علمية تشرف على خزائن ضخمة من أمهات الكتب والمؤلفات في شتى التخصصات، حتى أن بعض المصادر تذكر مثلاً أن زاوية قصر ملوكة كانت تضم أكبر خزانة مغاربية للمخطوطات[3]؛ فقد شهد القرنين 18 و19م كماً هائلاً من المخطوطات تم جمعها وتأليفها، من بينها خزائن قصور تيمي مثل: خزانة كوسام، خزانة مولاي سليمان بن علي بآدغا، خزانة زاوية سيدي البكري، خزانة ملوكة، خزانة تينيلان[4]؛ فخزانة كوسام وحدها كانت تضم أكثر من 300 مخطوط، وخزانة مولاي سليمان بن علي في آدغا بها أكثر من 200 مخطوط[5].

وفي كتاب (من تاريخ توات) أحصى الدكتور جعفري أبا الصافي في كل جهات توات، حوالي 50 خزانة مخطوطات لا تزال متواجدة ومنتشرة على كامل جهات توات[6]، ويضيف أن المنطقة حتى سنة 1962 كانت تعج بالمخطوطات حيث بلغت حينها حوالي 20 ألف مخطوط، كانت موزعة على أزيد من 100 خزانة ومكتبة محلية، ناهيك عن عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن وحواضر مالي والنيجر وموريتانيا وغانا ونيجيريا والمغرب وتونس ومصر وبلدان أخرى[7].

---

[1] . شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 1.

[2] . محمد حوتية، **توات والأزواد**، ج1، المرجع السابق، ص 233.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 91.

[4] . حليمة سليماني، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص 255.

[5] . ثابت زينب، **من الخزائن الشعبية للمخطوطات بإقليم توات الوسطى وصف وتقديم**، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الافريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر 27 و2023/11/28.

[6] . أحمد أبا الصافي جعفري، **من تاريخ توات**، المرجع السابق، ص 172-178.

[7] . أحمد أبا الصافي جعفري، **من تاريخ توات**، المرجع السابق، ص 189.

3.1. نشاط الطرق الصوفية بالمنطقة

ولأن الزاوية بمدلولها الاصطلاحي ووظيفتها الحيوية في منطقة توات، كانت مؤسسة روحية ذات طابع علمي واجتماعي اقترنت في غالب الأحيان بالطرق الصوفية، حيث كانت بشكل أوسع مكاناً لالتقاء المريدين مع شيخ الزاوية والطريقة الصوفية لتلقي الأوراد والأذكار[1]، فقد عرفت منطقة توات نشاطاً مكثفاً للطرق الصوفية، كانت لها علاقة بتلقين التعليم ونشر الإسلام وحمية الجهاد، مثل الطريقة القادرية التي ساهم الشيخ المغيلي في انتشارها بالمنطقة، واتسع نشاطها لاحقاً على يد الشيخ المختار الكنتي[2] (ت 1226هـ/1811م)، وصار لهذه الطريقة في توات أملاك وأضرحة لشيوخها ونفس الشيء عن الطريقة الشاذلية وفروعها خاصةً الطيبية والشيخية[3].

وإن كنتُ لا أستبعد أن تكون القادرية وصلت إلى توات عن طريق أحفاد الشيخ عبد السلام بن مشيش؛ فكما هو معلوم أن الشيخ أبي مدين شعيب تلميذ الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني هو أول من نقل الطريقة الصوفية إلى بلاد المغارب، وأن الشيخ عبد السلام بن مشيش ورث القادرية عنه، ومن سيدي بن مشيش توارثت الطريقة إلى أبي الحسن الشاذلي الذي ظهرت على يده الطريقة الشاذلية المتفرعة عن القادرية[4]، ولأن الشريف مولاي عبد السلام بن مشيش المتوفي مقتولاً سنة 622هـ/1225م، ترك أحفاداً كثر وصلوا إلى توات واستقروا فيها، مثل: الحفيد المسمى عليه مولاي عبد السلام بن مشيش دفين قصر أقبور بأوقروت، وسي محمد الشريف المشيشي دفين قصر توكي بدلدول، وكذلك بقية الشرفاء المشيشيين المتوزعين على بلدات توكي، أولاد علي، تاغوزي، أجدير، برينكان، الساهلة، مكيد، إينغر[5].

---

[1] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات**، المرجع السابق، ص 113.

[2] . وُلد هذا العالم المتصوف سنة 1143هـ/1730م، ونبغ في العلم والشريعة والتجارة، استقر في زاوية كنتة وكان مصلحاً ومرتبطاً بالطريقة القادرية فاجتذب بزاويته المريدين والأتباع حتى صار له نفوذاً سياسي في الصحراء والسودان الغربي، وكانت له مؤلفات ناهزت 300 بقي منها حوالي 40 فقط، توفي سنة 1226هـ/1811م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص ص 383-385

[3] . أحمد بوسعيد، **الحياة الثقافية والاجتماعية بإقليم توات...**، المرجع السابق، ص 48.

[4]. عبد الجليل ساقني، "الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر"، **مجلة البحوث والدراسات الإنسانية**، المجلد 13، العدد 01، 2019/06/30، ص ص 151-172.

[5] . ضيف الله بن محمد بن أب التواتي، **رحلتي لزيارة قبر الوالد**، الجزء01، تح: جعفري أحمد أبا الصافي، دار الكتاب العربي، الجزائر 2015، ص 471.

ومنه: فاحتمال وصول الطريقة القادرية عن طريق هؤلاء الأحفاد واردة. وعلى العموم فقد اتسع نشاط القادرية لاحقاً على يد بيوتات علمية ومشايخ محليين، مثل ما قلنا: الشيخ المختار الكنتي، وكذلك البيت الرقاني المعروف بمؤسسه الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني، ومنه الشيخ عبد الملك بن عبد الله الرقاني (ت 1207هـ/1793م) كان له الفضل في نشر الطريقة القادرية بالمنطقة وجوارها، وحفيده الشهيد مولاي عبد الله بن العباس (ت 1317هـ/1900م) الذي تزعم المقاومة في بداية الغزو الفرنسي[1].

وشيئاً فشيئاً صار لهذه الطريقة في توات أملاك وأضرحة وأتباع مما زاد في حراكها الثقافي والروحي والجهادي. ومن بين الذين قدموا إلى توات ووجدوا الترحيب محمد بن عبد الله التلمساني، والثائر بن ناصر بن شهرة، وكلاهما كانا صوفيين ينتميان للطريقة القادرية، وكذلك بوشوشة الذي تعاون في مقاومته مع قيادات ومناطق أخرى مثل بن شهرة وفلول المقراني، والشريف بن عبد الله ومحيي الدين بن الأمير عبد القادر، وأثاروا كل سكان الواحات انطلاقاً من عين صالح[2].

وتشير بعض الاحصائيات الفرنسية أواخر القرن 19م عن تزايد حجم نشاط الطرق الصوفية بمنطقة توات، حيث تذكر أن ثلثا سكان توات وربع السكان في الساورة وقورارة كانوا مرتبطين بالطريقة القادرية، وكذلك الطريقة الطيبية الوزانية التي ازداد أتباعها بقوة خاصةً في توات العليا وتمنطيط[3]، ولا تزال هذه الطريقة لديها أتباع وأوقاف وعلاقات مع أشراف وزان إلى يومنا هذا.

ويرى الدكتور فرج محمود فرج أن منطقة توات عرفت انتشاراً واسعاً للطرق القادرية والتيجانية والوزانية والكرزازية والبكائية والبكرية والسنوسية وأولاد سيدي الشيخ[4] وغيرها، وهذه الأخيرة لعبت فيها زاوية أولاد سيدي الشيخ الشراقة والزاوية السنوسية دوراً هاماً إبان

---

[1] . مبارك جعفري، **معجم أعلام توات**، المرجع السابق، ص ص 227-234.

[2] . يحيى بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999، ص 312.

[3]. Camille Sabatie, **La Question du Sud-Ouest**, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger 1881, pp.32-34.

[4] . **أولاد سيدي الشيخ :** نسبة للجد عبد القادر بن محمد المدعو سيد الشيخ الذي عاش بين 1533م و1616م، دفين الأبيض سيد الشيخ، بعد وفاته اختلف أبناؤه وأحفاده على المشيخة فانقسموا إلى أولاد سيد الشيخ الشراقة والغرابة، بعد معاهدة لالة مغنية 1845 ارتبط الشراقة بالجزائر المستعمرة، والغرابة بالدولة المغربية، وكانوا ضد الإسبان في وهران خلال القرن 17م، ثم ضد الفرنسيين من 1864-1908. ينظر: عبد القادر خليفي، **الطريقة الشيخية**، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2010، ص ص 25-33.

الكفاح الجزائري ضد الوجود الفرنسي[1]. ومن بين الذين قدموا إلى توات ووجدوا الترحيب الشيخ بوعمامة الذي لما ضاقت به السبل احتمى بمنطقة قورارة وبالضبط قصور دلدول من 1883 إلى 1894م، ولعل أهم سبب جعله يختار هذه المنطقة هي وجود مريدين لزاوية الطريقة الشيخية[2].

والطريقة الشيخية في المنطقة كان لها نفوذاً كبيراً بأوقافها ومريديها وروابطهم، ومنهم الحاج اعمر بن الحاج أحمد قائد جماعة دلدول الذي كان مقدماً لأولاد سيدي الشيخ والطريقة الطيبية في آنٍ واحد، وكانت علاقاته القوية تمتد إلى منطقة تيديكلت والمغرب الأقصى، وكان إلى غاية سنة 1893 في الخمسينات من عمره أن صار صديقاً عظيماً للشيخ بوعمامة[3]، بالإضافة إلى أن ساكنة دلدول كانوا من أكثر الناس تواصلاً مع أولاد سيدي الشيخ، فمثلاً قصر البركة كان ثلثي سكانه من الزوى المنحدرين والمتصاهرين مع أولاد سيدي الشيخ[4]. أما الطريقة التيجانية فقد انتشرت في المنطقة على يد مؤسسها الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني[5] (ت 1230هـ/1815م)، بعد أن زار توات مع نهاية القرن 18م.

أما الطريقة السنوسية فقد احتضنتها قبيلة أولاد باجودة في تيديكلت وهي في مهدها خلال القرن 13هـ، وظهر لها أعلاماً من توات شاركوا مؤسسها السنوسي أعباء دعوته، ومنهم مثلاً أحمد أبو القاسم التواتي ومحمد عبد الله التواتي؛ هذه الطرق الصوفية نشر أفكارها ومبادئها

---

[1] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 109، 110.

[2] . تواتي دحمان وآخرون، **دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962**، وزارة الثقافة، الجزائر 2008، ص ص 8-10.

[3] . La Croix et de La Martiniére, "Documents Pour Servir a L'étude du Nord Ouest African", **T.4, Éditeur: Gouvernement Général de l'Algérie**, service des affaires indigènes, Alger 1897, p.385.

[4] . عبد الكريم طهيري، **مرحلة لجوء الشيخ بوعمامة بمنطقة قورارة 1883-1894**، الملتقى الدولي السادس: الطريقة الشيخية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوروبا وعموم العالم، جامعة غرداية 16-2022/11/17، المطبعة العالمية، الطبعة الأولى، غرداية-الجزائر 2023، ص 527.

[5] . هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني، رجل دين جزائري ومتصوف ومؤسس الطريقة التيجانية. ولد سنة 1150هـ/ 1737م بعين ماضي نواحي مدينة الأغواط. قضى حياته متنقلاً بين الجزائر، وشنقيط، والسودان، الحجاز، تونس، مصر والمغرب الاقصى، إلى أن توفي بمدينة فاس سنة 1230هـ/ 1815م. ينظر: سيد أحمد التيجاني، ملخص حياة سيدي أحمد التجاني، 2021/11/18، التصفح 2024/01/10، التوقيت 21:00 مساءً، https://tidjaniya.com/ar/vie-sidi-ahmed-tidjani/

العلماء والزوايا المنتشرة في ربوع توات[1]، بل كان لدخولها إلى أرض توات أن زادت من ازدهار حركة القوافل التجارية وكذا التصدي للتوسع الفرنسي، حتى أن "ديبورتر" يقول عنها "إن السنوسية قد أحرزت في هذه المناطق خلال السنوات الأخيرة تقدماً سريعاً، حتى أن رئيس مقاطعة إن صالح قد أصبح واحداً منهم، إن السنوسيين هم أعداؤنا، ولا يمكن أن نستخف بهم وعلينا مراقبتهم عن كثب"[2].

2. أهم الأعلام والمراكز العلمية

بلغت توات من التأثير والإشعاع العلمي أن اشتهر فيها أعلاماً ومراكزاً وبيوتات للعلم محلياً وخارجياً، تميزت تلك الحواضر والأسر في منطقة توات وجهاتها الثلاث عن غيرها، بكونها كانت أشبه بمؤسسات وأقطاب ثقافية، لما لها من إشعاع كبير في نشر العلم والتعليم وتثقيف المنطقة وجوارها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: بعض حواضر وقصور توات خلال العهد العثماني، مثل تمنطيط وبودة وملوكة وزاوية كنتة في توات الوسطى، وأولاد سعيد وتيميمون في قورارة، وأقبلي وعين صالح في جهة تيديكلت[3].

1.2. ففي حواضر تيديكلت

نجد على رأسها **زاوية عين صالح**، من أهم العلماء المنتسبين إلى هذا المركز الذين ذكرتهم نوازل الجنتوري مع نهاية القرن 18م، الشيخ سيدي إبراهيم بن أحمد الإنصالحي وسيدي عبد العالي بن أحمد الإنصالحي، هذه الزاوية قاد لواء العلم ودحض مظاهر الجهل من خلالها، الفقيه سيدي أحمد بن الفقيه سيدي إبراهيم وسيدي محمد بن بلحاج وأعلام أولاد أبي القاسم وأولاد الحاج، نظراً لما لهم من علاقات ثقافية وطيدة بأعلام تنيلان وغيرهم، جسدتها مواسم عبور ركب الحجيج عبر محطات قصور تيديكلت، حيث استفاد هذا المركز من وقوعه في تقاطع محورين هامين يفد عبره وفود العلماء والطلبة من جهة، والتجار والحجاج من بلاد السودان من جهة أخرى[4].

---

[1] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...**، المرجع السابق، ص 49.

[2] . امحمد جعفري، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدكلت خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي**، أطروحة دكتوراه، إش: عبد الرحمن بعثمان، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2020/2019، ص 247.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 85، 86.

[4] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم...**، المرجع السابق، ص 121، 122.

و**حاضرة آقبلي**، التي ذاع صيتها على يد محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة[1]، بدوره في استضافة وفود الحجيج من بلاد السودان حتى سميت بزاوية شيخ الركب النبوي، والتي أسسها منذ 1130هـ/ 1718م، وكانت زاوية أيضاً لطلبة العلم والتقاء العلماء والفقهاء[2]. ومن شيوخ الزوايا الذين كان لهم فضل كبير على أهل تيديكلت خلال القرنين 18 و19م، الشيخ أبو الأنوار عبد الكريم التنيلاني الذي أنشأ زاوية له هناك واعتكف بها وفتحها للطلبة إلى غاية وفاته بها سنة 1168هـ[3].

وفي القرن 19م نجد عدة أسماء لأعلام وعلماء بمنطقة تيديكلت نذكر منهم مثلاً: حمزة بن الحاج أحمد بن محمد بن مالك القبلاوي (1916-1843م)، كان عالماً متبحراً في علوم الدين واللغة والشعر، وشاهد عيان على بداية الغزو الفرنسي والمقاومة ضده، والشاعر الحاج محمد عبد الرحمن السكوتي الملايخافي (1911-1868م) الذي ترك مؤلفات في علم المنطق والحساب والشعر، وكان له دور إصلاحي ضد البدع والخرافات في ورقلة، ومحمد الحسن بن محمد بن مالك الفلاني (1866-1934م)، كانت له جولات ومناظرات في ليبيا ومالي وتمبكتو وله مؤلفات وإجازات كثيرة في النحو والفتاوى...[4]

2.2. وفي حواضر توات الوسطى

كانت هذه المنطقة مزدهرة ثقافياً ونشيطة للغاية بدور وبيوتات حواضرها التي بلغت الآفاق، حتى أنها جذبت الطلبة والعلماء والمريدين كما لو كانت معاهد جامعية قائمة بذاتها، وساعدها في ذلك موقعها ودورها التاريخي والتجاري والروحي، وخاصةً تلك الزوايا التي كانت تأوي وتحتضن القاصدين والمهتمين. فهذا الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي يشرح الوضع لما استوطن توات وأسس فيها زاويته فيقول أن الطلبة كانوا "يرحلون إلى مدرستنا من كل حدب وصوب حتى من الأقطار البعيدة والشاسعة، والناس يفدون علينا للإفتاء والتبرك منقادون لأوامرنا عاملون بنصيحتنا..."[5].

---

[1] . كان يُكنى بشيخ الركب لمكانته الروحية كقائد للحجاج، وُلد عام 1060هـ بسجلماسة وتوفي في أقبلي 1163هـ وكان قد أسس هناك زاويةً سنة 1138هـ وخلف من بعده أبناءه وإخوته وآثاراً علمية قيمة لا تزال موجودة في خزانة الزاوية. ينظر: حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 176، 177

[2] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص 123.

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 87.

[4] . امحمد جعفري، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتديكلت...**، المرجع السابق، ص ص 226-232.

[5] . شهاب الدين أحمد الطاهري، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 1.

وقد تميزت **قصور تيمي** ببيوتات علمية عريقة خلال القرن 13هـ/19م، كالأسرة البكرية ومنهم مثلاً الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الكريم الحاجب بن البكري[1] (ت 1261هـ/ 1845م)، والشيخ عبد الكريم بن وعلي بن عبد القادر (ت 1229هـ/1814م)[2]، والشيخ البكري بن عبد الرحمن بن الطيب التنيلاني (1260هـ/1843م-1339هـ/1920م) الذي برز في اللغة والأدب وعلوم الدين والشعر[3].

والأسرة التنيلانية ومنها مثلاً العلامة سيدي عبد الله بن سيدي محمد عبد الله (ت 1261هـ/1845م)، والشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن بن باعمر (ت 1233هـ/1818م)[4]، ومنهم كذلك الشيخ أبا الأنوار عبد الكريم التنيلاني[5] والذي كان له فضل كبير على أهل تيديكلت خلال القرنين 18 و19م، حيث أنشأ زاوية له هناك واعتكف بها وفتحها للطلبة إلى غاية وفاته بها سنة 1168هـ والفقيه عمر بن عبد الرحمن الأموي التنيلاني (ت 1221هـ/1806م) الذي أسس زاوية من ماله الخاص بقصر المهدية وتفرغ فيها للعلم والتعبد حتى وفاته[6].

والأسرة البلبالية التي برز منها مثلاً الشيخ سيد الحاج البلبالي (ت 1244هـ/1828م)، والشيخ سيد البكري بن سيدي محمد عبد العزيز البلبالي (ت 1282هـ/1865م)، والشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي (ت 1288هـ/1872م) الذي أسس في قصر بني تامر مدرسة القراءة التي تخرج منها علماء أجلاء وكبار، والشيخ سيدي عبد الله بن

---

[1] . لا يُعرف له تاريخ ميلاده، لكن الأكيد أنه عاش نصف القرن 19م الأول في جهة تمنطيط، كان عالماً متبحراً في العلم أخذ عن شيخه الحاج محمد بن عبد الرحمن البلبالي، ومن مصنفاته حاشية على المختصر وشرح على ابن جماعة، توفي سنة 1261هـ ينظر: حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي...، المرجع السابق، ص ص 109، 110.

[2] . حليمة سليماني، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص 231-234.

[3] . بوسليم صالح، "الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين 18 و19 مصادرها وبعض مظاهرها"، ***المجلة الجزائرية للمخطوطات***، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، مج4، ع5، 2008/12/31، ص ص 82-93.

[4] . حليمة سليماني، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، 234-239.

[5] . عالم وفقيه وُلد في تنيلان سنة 1152هـ وأسس بها زاويةً، كان كثير الترحال بين توات والسودان الغربي، وله دور كبير في بعض حواضر التكرور والأزواد، وفي تيديكلت حيث أسس زاوية له في أولف، عرف بالحق والصلابة، توفي سنة 1168هـ/1755م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات...، المرجع السابق، ص ص 62، 63.

[6] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 87، 88.

أحمد الحبيب بن امحمد بن عبد الله البلبالي (ت 1329هـ/1911م) الذي انتقل من قصر ملوكة إلى كوسام حيث أسس مدرسة وزاوية سنة 1862م[1].

وفي **توات السفلى** –قصور توات الحنّاء وكنتة وسالي ورقان- نجد الشيخ محمد بن احميدان الزجلاوي تلميذ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني (القرن 12هـ/18م)، والشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (ت 1226هـ)[2]. والبيت الرقاني المعروف بمؤسسه الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني، ومنه الشيخ عبد الملك بن عبد الله الرقاني (ت 1207هـ/1793م) الذي يرجع له الفضل في نشر الطريقة القادرية بالمنطقة وجوارها، وحفيده الشهيد مولاي عبد الله بن العباس (ت 1317هـ/1900م) الذي تزعم المقاومة في بداية الغزو الفرنسي[3]؛ وأسرة الشرفاء الطاهريين الأدارسة في سالي والذين قدِموا من المغرب إلى توات مطلع القرن 14هـ/20م.

3.2. وفي حواضر قورارة

كانت من مراكزها **زاوية بادريان** التي أرسى دعائمها محمد عبد الله الصوفي[4] مع مطلع القرن 11هـ/17م وقد تميزت بحفظ المصنّفات والمؤلفات والمخطوطات، من وثائق تحبيس أو أحكام قضاء أو فتاوى ونوازل، وغيرها من كنوز العلم[5]. ومركز **أولاد سعيد**، من أهم بيوتاته العلمية عائلة الجوزي وشرفاء كالي من آل الجنتوري، والبوبكريين في سموطة، وكانت أولاد سعيد تضاهي تمنطيط في زمانها، حتى أن الإمام المغيلي مكث فيها ردحاً من الزمن وخلف فيها مدفن زوجته أخت الشيخ الثعالبي. و**مركز تيميمون** الذي ذاع صيته واشتهر منذ زمن العلامة سيدي محمد بن أبَ المزمري[6] المتوفى أواخر القرن 12هـ/18م.

---

[1] . حليمة سليماني، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي...**، المرجع السابق، ص ص 200-242.

[2] . بوسليم صالح، "الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات..."، المرجع السابق، ص 86-90.

[3] . مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، **معجم أعلام توات**...، المرجع السابق، ص ص 227-234.

[4] . **محمد عبد الله الصوفي :** من علماء قورارة في القرن 10هـ وُلد في أولاد سعيد وساهم في بروز زاوية بادريان، كان عالماً متصوفاً تخرج على يديه العديد من فقهاء وعلماء المنطقة. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 378.

[5] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات...**، المرجع السابق، ص 123.

[6] . وُلد في قصر أولاد الحاج بتيديكلت، تميز في اللغة والأدب، له عدة منظومات شعرية مثل أرجوزة في علم العروض وفي علم الكلام وفي أسماء البحور وغيرها، توفي في تينجورارين حوالي 1160هـ/1747م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص ص 318-320.

ومركز **أوقروت** الذي تكلم عنه العياشي في رحلته خلال القرن 11هـ/17م، وذكر عنه بعض الأعلام والعلماء أمثال: الشيخ عبد العزيز بن الحسن بن عيسى الحفصي الوقروتي[1] مقريء الطائف، وزاوية سيدي عمر بن محمد بن صالح الوقروتي التي توقف عندها ووجد فيها من العلم والنقاش الفكري والضيافة ما أثار انتباهه[2]، وأما القطب سيدي محمد بن علي النحوي الوقروتي[3] (ت 1062هـ/1651م) الذي وصل تأثيره حتى إلى اسطمبول، فقد ذكر صاحب كتاب (درة الأقلام) أن سيدي علي بن حنيني كان يسافر من زاجلو بفقراءه ومريديه ويمر على القطب سيدي محمد البكري بتمنطيط، ليترددا على شيخهما النحوي وكان ذلك ديدنهما منذ صغرهما حيث تعلما على يده[4].

ومن حواضر أوقروت كانت **حاضرة إقسطن** في دلدول، التي تميزت ببيوتات علمية مثل عائلة الولي الصالح الشيخ بن اعمر، وأسرة العالم الجليل محمد المحفوظ القسطني الذي عاش خلال القرن 13هـ/19م، واشتغل بعلم الفلك وألّف فيه شرحاً، قال عنه صاحب (الدرة الفاخرة) أنه كان عالماً صالحاً متفنناً في شتى العلوم[5]؛ وفي **المطارفة** لا تزال عائلة بن عبد الكبير تحافظ على أهم خزانة مخطوطات في المنطقة، وفي قصر أولاد راشد يذكر العياشي أنه زار زاوية الشيخ عبد الله بن طمطم التي كانت داراً للعلم وإطعام عابري السبيل[6].

فقصور قورارة كانت تعج بزوايا العلم والكتاتيب والمدارس القرآنية، وقد لعبت دوراً بارزاً اجتماعياً وثقافياً وجهادياً، استطعنا أن نحصي منها حوالي 21 زاوية في قورارة وحدها من بين 39 زاوية في كل القطر التواتي، كانت أقدمها زاوية سيد الحاج لحسن الشريف في قصر قنتور بأولاد

---

[1] . كان حياً سنة 1073هـ/1663م وهو حفيد الشيخ عيسى مؤسس قصر سيدي عيسى الشارف بأوقروت، تتلمذ في توات وانتقل إلى فاس حيث أخذ عن ابن عاشر سنة 1630م وانتقل بعد عام إلى الأزهر في مصر فنال فيها الإجازات، ثم انتهى به المطاف في الطائف بالحجاز فتزوج فيها وصار مقرءاً، حيث التقاه هناك العياشي سنة 1663م وأخذ عنه الإجازة. ينظر: عبد الله بابا، الشيخ المقريء **عبد العزيز بن عيسى الحفصي الوقروتي التواتي مقريء الطائف 1073هـ/1663م**، الملتقى الوطني الثالث حول علماء وأولياء قورارة إبان القرنين 10 و11هـ زاوية سيدي أحمد بن عبد الله البوبكري بسموطة تيميمون، دار الكلمة، أدرار الجزائر 2021، ص ص 35-41.

[2] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، مج1، المصدر السابق، ص 81

[3] . درس في تمنطيط ونبغ في الفقه والنحو والصرف، وأسس زاويته في أوقروت، تخرج منها الكثير من الشيوخ أمثال الشيخ البكري وسيدي علي بن حنيني، ومشائخ من المغرب، حتى أن العياشي زاره فيها، توفي حوالي 1062هـ/1651م. ينظر: مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 359.

[4] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 44.

[5] . مبارك جعفري وعبد الله مقلاتي، **معجم أعلام توات**، المرجع السابق، ص 311.

[6] . عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، مج1، المصدر السابق، ص 80.

عيسى التي ظهرت خلال القرن 8هـ وأحدثها نشأةً زاوية سيدي امحمد المرفوع بتازليزا في تينركوك التي تأسست خلال القرن 13هـ[1].

3. العلاقات الثقافية خارجياً

بلغت حواضر توات في الشأن العلمي والثقافي سمعة وتأثيراً كبيرين محلياً وخارجياً، من أسبابها تموقع توات كحلقة تواصل بين شمال المغرب العربي والحواضر الإفريقية، حيث شكلت نقطة التقاء وتقاطع بين الحواضر الشمالية كتلمسان والجزائر والحواضر الجنوبية كتمبكتو وكانو ومنطقة الهقار، فكان ذلك التواصل الثقافي في فائدة المنطقة وساكنيها والمارين بها[2]؛ ناهيك عن العلاقات التاريخية الضاربة في القدم بين توات وحواضر الجوار، من خلال توافد هجرات القبائل والعلماء إلى المنطقة، فنزوح علماء وعائلات من تلمسان مثلاً منذ عهد الدولة الزيانية، وعلى رأسهم الإمام المغيلي وعائلة العصنوني كان استفادةً لأهل توات تأثيراً وتأثراً[3].

ومن الأسباب أيضاً أن ركب الحجيج كان كلما توقف عند محطات ما إلا ونشط الحركة العلمية فيها، حيث غالباً ما كانت تلك الوفود تضم علماء أجلاء وبمرورهم على محطات وزوايا معلومة في وقت معلوم من السنة مثل حواضر توات، كان طلبة العلم يتحينون فرصة مرورهم فيتهافتون لمجالسة العلماء وحضور دروسهم وطلب الإجازة منهم[4]؛ وعلى أساس هذه الأسباب والمكانة بنَت منطقة توات علاقات ثقافية متنوعة مع حواضر دول الجوار، مع شنقيط وتلمسان وفاس والجزائر وتمبكتو وتونس وطرابلس ومصر وحتى تركيا وغيرها من البلدان والأمصار.

فمع الجزائر وحواضرها

كانت علاقات توات الاجتماعية والثقافية وارتباطاتهم مع حواضر التل الجزائري قوية منذ قرونٍ خلت، إلى درجة أننا نجد مثلاً الشيخ سيدي محمد التواتي كان من أبرز علماء بجاية خلال القرن التاسع هجري، وأسس بها زاوية مشهورة، وعرف بوقفته البطولية ضد التحرشات والحملات الإسبانية، حتى أنه كان له نصاً شعرياً حرّض به أهل وهران على التصدي للإسبان دفاعاً عن المدينة، قال في بعض الأبيات من القصيدة:

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة... لبلدتكم من قبل أن تردت

---

[1] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص ص 419، 420.
[2] . حليمة كحلاوي، **الحياة الثقافية بتوات الوسطى...**، المرجع السابق، ص 134.
[3] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص ص 205، 206.
[4] . حليمة كحلاوي، **الحياة الثقافية بتوات الوسطى...**، المرجع السابق، ص 135.

وقبل مجيء المنشئات ببحرها... وأي قلـوب عندها مستقـرة
ولا تكلوها غيـركم ولـئـن يكـن... فما غـائب مثل القـيم ببلـدة
إلى أن يقول أيضاً:
وإن ضاع مرساكم فإن ضياعه... ضياع بلاد الله شرقاً وقبلة
أإخواننا في الله ألقوا مسامعاً... ولا تهملوا ما أبرزته قريحتي[1]

كما كانت لعلماء توات مراسلات ونقاش ثقافي حول نازلة يهود تمنطيط، التي وقعت بين الإمام المغيلي التلمساني والعصنوني منذ القرن 10هـ/16م، كما تتلمذ الشيخ سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد الأمريني التواتي على يد عالم الجزائر الشيخ سيدي السعيد بن إبراهيم قدورة خلال القرن 11هـ[2]، ووصل تأثير توات إلى عدة مناطق أخرى من الجزائر مثل دور الشيخ سيدي محمد الصالح بن البكري في نشر العلم بحاضرة توقرت، والتي توفي فيها عام 1139هـ[3].

وخلال القرن 19م برزت علاقة أعلام تيديكلت بورقلة بشكل جلي، حيث نشروا فيها العلم وقاموا بحركة إصلاح للمجتمع بمحاربة البدع والخرافات والجهل، نذكر منهم الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن بن محمد السكوتي وسيدي محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي[4]. ويذكر الدكتور حاج أحمد الصديق أن شرفاء زاوية مولاي هيبة والشيخ سيدي أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بن محمد بن مالك الفلاني من أولف، ساهموا في نشر العلم وتمتين العلاقات الثقافية والروحية بين توات والأهقار[5].

وكان الشيخ عبد الرحمن بن إدريس بن عمر بن عبد القادر التنيلاني من أهم الرحالة التواتيين الذين أرّخوا وكتبوا عن الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر سنة 1231هـ/1816م، فكان شاهد عيان وصف الأحداث بشكل مستفيض وهام جداً[6]. كما ذكر الرحالة التواتي مولاي أحمد بن هاشم (ت 1253هـ/1837م) خبراً وهو في زاوية كنتة مفاده

[1] . جعفري أحمد، "أدب المقاومة في أقاليم توات جنوب الجزائر"، ***مجلة راحة القلوب***، المجلد 5، العدد 1، جمهورية إيران، جوان 2021، ص 16.
[2] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص ص 206، 207.
[3] . نفسه، ص 212.
[4] . امحمد جعفري، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتديكلت...**، المرجع السابق، ص ص 229-234.
[5] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 213.
[6] . عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني، **رحلته إلى ثغر الجزائر**، المصدر السابق، ص 468.

قدوم شيخ كبير بصحبة جماعة من وهران أو الجزائر أو قسنطينة، محملين بكمية مهمة من كتب الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وأن نزولهم كان في قصور تسابيت[1].

وكانت حواضر توات مرجعاً في الفتوى والعلم لحواضر الجوار في شمال الصحراء والتل الجزائري، حيث نجد مثلاً تلك العلاقة الروحية والثقافية الكبيرة مع قبيلة أولاد سيدي الشيخ، والذين كانوا يلجأون لمشايخ وعلماء المنطقة في تعليم أبنائهم والفصل في قضاياهم، حيث مثلاً هذه رسالة من سي الأعلى سنة 1862، موجهة إلى قاضي أولاد سعيد بقورارة الشهيد محمد عبد الكريم الجوزي يستفتيه فيها في مسألة فقهية حول امرأة حرثانية استجارت به من ظلم أحد أبناء عمومته[2]؛ مما يعني أن حواضر المنطقة كانت روحياً وعلمياً بالنسبة لأولاد سيدي الشيخ مهمة جداً واللجوء إليها كان له قداسته بينهم، خاصةً أن هذه القبيلة كانت لها علاقات وطيدة صوفياً وتجارياً ومصاهرةً في قورارة وتيديكلت.

ومع فاس وما جاورها

كانت فاس وخاصةً جامع القرويين قبلة التواتيين بغرض الاستزادة من علومها والحصول على إجازاتها، كثر ترددهم ونشاطهم ونبوغهم باسم توات هناك ما بين القرنين 11هـ/17م و13هـ/19م، نذكر من أولئك الأعلام الذين نالوا شهرة واسعة في فاس وسجلماسة ومراكش: الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي كان معلماً في القرويين بفاس ثم عاد إلى توات 1129هـ وأسس فيها زاويته[3].

والشيخ أبو الحسن علي بن الحاج التواتي (ت 1058هـ/1648م)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن الونان التواتي (ت 1187هـ/1773م)، والشيخ عبد الرحيم بن محمد التواتي (ت 1189هـ/1775م) وهو من العلماء الذين عادوا إلى توات بعد رحلة علمية حافلة بفاس، والشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني والشيخ الفقيه الحاج محمد البلبالي الذي مكث طويلا في مدينة سجلماسة، قبل أن يعود إلى توات ويعتزل فيها بقية حياته؛ هؤلاء الأعلام الذين اتخذوا هذه الحاضرة محطة علمية رئيسية، وتصدروا فيها حلقات العلم والإفتاء خلال القرن 12هـ/18م، عاد معظمهم مساهماً في تنشيط الحركة الثقافية بحواضر توات[4].

---

[1] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3.

[2] . سي العلا بن أبي بكر النعيمي، نازلة المرأة الحرثانية (رسالة إلى قاضي أولاد سعيد)، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر. ينظر الملحق رقم 10 .

[3] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 87.

[4] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية...**، المرجع السابق، ص ص 125-133.

ومع حواضر شنقيط والسودان الغربي

بحكم تلك المكانة الجغرافية والتجارية والتاريخية التي تبوأتها توات، فقد أثرت كثيراً في حواضر إفريقيا القريبة مثل كانو وتمبكتو وغيرهما، وكان ذلك منذ زمن الشيخ المغيلي (القرنين 9-10هـ/15-16م) الذي كان له دور كبير على الرعية والحاكم فيها. وبلغ تأثير توات على حواضر السودان الغربي قروناً عديدة، فقد ذكر القاضي محمود كعت أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال الفترة بين القرنين 15 و17م حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات، ويضيف السعدي أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية، كان التواتيين يشكلون بينهم نسبة تقارب النصف[1].

واستمر التواتيون يغذون تلك المناطق فكرياً وثقافياً وروحياً حتى أصبحت الجالية التواتية في تمبكتو –مثلاً- كبيرة ونشيطة للغاية، ساهمت في نشر الطرق الصوفية وبناء الزوايا والمساجد، واستمر تدفق علماء وفقهاء وتجار توات على تلك البلاد حتى نهاية القرن 19م، حيث يذكر صاحب كتاب (جوهر المعاني) بعض الأسماء مثل الفقيه أبو الأنوار بن عبد الكريم التنيلاني[2]، الذي ارتحل إلى بلاد التكرور ونشر فيها العلم، والشيخ سيدي محمد بن محمد بن مالك الفلاني الذي كان قاضياً ومدرساً بالسودان، بل وهناك عائلات تواتية كان لها إسهامات كبيرة مثل قبيلة كنتة ودورها في نشر العربية بالسودان الغربي[3]، والشيخ مولاي عبد الملك الرقاني (ت 1207هـ/1793م) وهو ابن الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني، عظم صيته في توات وبلاد التكرور فكانت زاويته ملتقى الطلاب والمريدين والخصوم من تمبكتو وأروان وشنقيط وتوات وغيرهم[4].

وبلغ التأثير مداه خلال القرن 19م، فقد لاحظ الرحالة (Barth) نظام الدراسة في الأزواد[5] عند طلاب الشيخ سيدي أحمد البكاي يقرأون القرآن في الفضاء الخارجي، وذلك راجع لكون علماء توات نقلوا العلم والمعرفة لأهل الأزواد بنفس نمط الدراسة المنتشر في توات[6]؛ ناهيك عن

---

[1] . أحمد جعفري أبا الصافي، **من تاريخ توات**، المرجع السابق، ص 194.

[2] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...** ، المرجع السابق، ص ص 114، 115.

[3] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص ص 210، 211.

[4] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية...**، المرجع السابق، ص 130.

[5] . **الأزواد :** مشتقة من أزوا في اللغة التارقية وتعني المسقى الدائري الخشبي الذي يستعمل كإناء حليب، وحدود المنطقة هي مجال انتقال البدو من الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان، ومن حواضرها: تمبكتو وغاو. ينظر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص ص 38-42.

[6] . محمد حوتية، **توات والأزواد**، ج1، المرجع السابق، ص 251.

عشرات النسخ التواتية المتواجدة في خزائن وحواضر مالي والنيجر وموريتانيا وغانا ونيجيريا وبلدان أخرى[1].

وساهمت عائلات تواتية وعلى رأسها الكنتة والداوعلي، في نسج علاقات ثقافية بين توات وشنقيط[2]، وكذلك شرفاء آل سي حمو بلحاج وهي من العائلات العلمية التي تخصصت في المخطوطات، والتي تواصلت مع بلاد شنقيط، حيث عرفت منطقة توات وشنقيط خلال القرنين 18 و19م حركية للعلماء، كان يمكث فيها بعض أعلام شنقيط أحياناً سنوات عند تلك العائلات، بحثاً عن العلوم والمخطوطات، ولعبت قوافل التجار والحجاج دوراً كبيراً في تلك العلاقات[3].

ومع تونس ومصر وباقي البلاد الإسلامية

يرى الدكتور بوسعيد أحمد أن العلاقات الثقافية بين توات وتونس تأصلت منذ القرن 9هـ/15م، لما استُفتي المفتي التونسي محمد الرصاع حول قضية يهود توات، وكان موقفه يدعو فيه علماء توات للتسامح والاعتدال تجاههم، كما ساهمت قوافل الحجيج التي كان يفد بعضها على تونس بمحاذاة طريق الأطلس الصحراوي وجبال الأوراس في توطيد تلك العلاقات، ومن مشايخ توات الذين تذكرهم تونس في فضلهم وعلمهم: الشيخ الكوش التواتي التونسي الذي توفي خلال القرن 12هـ والذي أرسله شيخه إلى تونس بدعوة من أهلها، فبنى هناك زاويةً له، دفن فيها بعد وفاته، والشيخ سيدي محمد السنوسي التواتي وغيرهما، وكثيرون أنجبوا الأولاد والأحفاد حتى صاروا يُعرفون بلقب التواتي[4].

وإلى الحجاز وصل الشيخ سيدي عبد العزيز بن حسن بن عيسى الوقروتي التواتي خلال القرن 11هـ/17م، الذي تكلم عنه العياشي في رحلته إذ قال "ولم نلق بالطائف أحداً ممن ينتسب إلى علم أو صلاح سوى الشيخ عبد العزيز، الذي نزلنا عنده، وأصله من المغرب من بلاد أوكرت من بلاد تيجورران وشهرته بالتواتي"، وذكره باسمه الكامل بقوله في موضع آخر "ولقينا هنالك رئيس المقرئين وأستاذ المجودين، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي"[5]، بل وكان هذا الشيخ الجليل قد

---

[1] . أحمد جعفري أبا الصافي، **من تاريخ توات**، المرجع السابق، ص 189.

[2] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 214.

[3] . أحمد بوسعيد، **مرجعية المخطوطات الجزائرية في الحركة الفكرية ببلاد شنقيط**، الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الافريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد دراية، أدرار الجزائر 27 و2023/11/28.

[4] . أحمد بوسعيد، **الحياة الاجتماعية والثقافية...**، المرجع السابق، ص ص 130، 132.

[5] . محمد عبد الله العياشي، **الرحلة العياشية**، ج2، المصدر السابق، ص ص 172، 173.

مكث في مصر في باديء الأمر، وبالضبط في القاهرة حيث نال حظاً من العلم ومجالسة علماء وشيوخ الأزهر الشريف[1]؛ وعلى ذكرنا مصر فقد نال كثير من علماء توات المشيخة والشهرة في مصر، على غرار سيدي عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد وسيدي أحمد بن سالم العصنوني الذي تولى القضاء في القاهرة خلال القرن 10هـ/16م[2]، والشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني (ت 1189هـ/1775م) الذي كتب عن رحلته إلى الحج وتوفي ودفن في مصر[3].

وكانت لحاضرة توات علاقات ثقافية خارجية متنوعة كالرحلات العلمية والمناظرات وتبادل النوازل والفتاوى والمخطوطات، وصل تأثيرها حتى إلى عاصمة الخلافة العثمانية منذ المنتصف الثاني من القرن 11هـ حيث اجتمع الشيخ سيدي محمد بن علي النحوي الوقروتي مع سلطان اسطمبول وأهداه مجموعة كبيرة من الكتب[4]، ولعل ذلك ما يفسر وجود عشرات المخطوطات التواتية في خزائن بلاد السودان الغربي وشنقيط والمغرب وتونس ومصر وحواضر أخرى[5]، وكان للشيخ سيد البكري بن عبد الكريم الذي أسس زاويته سنة 1117هـ/ 1705م في تمنطيط واتسع نطاقها إلى توقرت وما جاورها، دوراً في تأسيس عدة زوايا خارج الجزائر كالعراق وتونس وطرابلس الغرب، جمع من خلالها بين المهمة التعليمية والمهمة الاجتماعية، وهي حاضرة إلى يومنا هذا[6].

وفي أواخر القرن 18م مع أصداء حملة نابليون على مصر سنة 1798م، تحركت عواطف وقوافي شعراء توات الذين كانت لهم علاقات وطيدة مع المصريين ثقافياً، خاصةً مع أنباء ضرب الأزهر الشريف بالمدفعية واتخاذه اصطبلاً للخيول، حيث تنادى علماء وشعراء توات مع حالة مصر شعراً ونثراً، على غرار الشاعر سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمن بن عمر التنيلاني (1221هـ)، والشاعر سيدي المختار الكنتي (1226هـ)، والشاعر سيدي أحمد زروق البوداوي (1244هـ)؛ فمثلاً الشاعر سيدي عبد الله بن سيدي عبد الرحمن بن عمر التنيلاني تفاعل مع تلك الحملة الغاصبة بقصيدة مؤثرة سماها "الحلة الفاخرة في طلب فتح مصر والقاهرة"، قال في بعض أبياتها:

---

[1] . عبد الله بابا، **الشيخ المقريء عبد العزيز...**، المرجع السابق، ص 39.

[2] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 211.

[3] . جعفري مبارك وعبد الله مقلاتي، **معجم أعلام توات**، المرجع السابق، ص ص 188-191.

[4] . حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي...**، المرجع السابق، ص 214.

[5] . أحمد جعفري أبا الصافي، **من تاريخ توات**، المرجع السابق، ص 189.

[6] . عبد الحميد بكري، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر- 2007، ص 71.

الله أكـبر جـل الخـطب عيانا... وقد أتينا ومنا أصل بلوانا
يا رب قاعدة الإسلام حل بها... أمر عظيم لهالنا وأشجانا
الروم أخزاهم الإله قد ملكوا... مصر العتيق وجزءوه سهمانا[1]

وفي القرن 19م نجد مدى تأثير الرحلة الحجية للقاضي سيدي محمد عبد الله بن الجوزي (ت 1269هـ/1852م)، صاحب القصة الشهيرة مع علماء الأزهر التي كان هو بطلها مع الشيخ عليش المالكي شارح المختصر، وأبي إسحاق إبراهيم الباجوري الشافعي رئيس الأزهر الشريف آنذاك صاحب الشرح "تحفة المريد" على جوهرة التوحيد للإمام اللقاني، ومما قام به الشيخ بن الجوزي نسخه لمتن البوطليحية في فزان بليبيا، ومصاحبته لقاضي سِيوة بمصر "الشيخ الخطيب الحاج" وللقاضي "زين العابدين" بمرزوق في ليبيا ونجل سيدي الحبيب أمير أروان بمالي، بل وكانت له لقاءات ومساهمات حينها مع الشيخ محمد بن علي السنوسي المستغانمي، الذي كان نزيلاً بمكة المكرمة والمؤسس بها لزاوية أبي قبيس الشهيرة، والذي وصفه قاضي قورارة بقوله "خديم لأم المؤمنين بمكة، وأعلى قبيس قل سنوسي مبرر"، وكان الشيخ بن الجوزي قد اقترح عليه العلماء المشارقة الإقامة والتدريس عندهم في جامع الأزهر الشريف، فأبى وقرر العودة إلى توات[2].

[1] . جعفري أحمد، "أدب المقاومة في أقاليم توات..."، المرجع السابق، ص 17.
[2] . محمد عبد الله بن الجوزي، تقاييد بخط يد بن الجوزي، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر.

الإقتصاد في المجتمع التواتي

بقدر ما تمتعت به حواضر توات من أوضاع اجتماعية وثقافية بأهميتها ونشاطاتها، فالمتتبع لتاريخ المنطقة سيلمس أيضاً مظاهرها وحركيتها الاقتصادية حتى ولو تذبذبت من حين لآخر، ففي الصحراء الكبرى فرضت منطقة توات نفسها محلياً وخارجياً بقيمتها الاقتصادية وتأثيراتها، حتى أن كثيراً من الرحالة والمؤرخين وصفوها بإسهاب وإعجاب، من ابن خلدون وابن بطوطة والحسن الوزان والفشتالي والعياشي والأغواطي، إلى الرحالة الأجانب الألمان والإنجليز والفرنسيين وغيرهم، وفي القرن 19م كانت توات لا تزال نشيطة اقتصادياً وإن بدأت تخفت وتتراجع شيئاً فشيئاً أمام المد الاستعماري الأوروبي، وهذه صورة عن أوضاع توات اقتصادياً أنذاك:

- مظاهر الاقتصاد المحلي (نظام الري، الفقارة، المحاصيل الزراعية، الثروة الحيوانية، الصناعة والحرف).
- الإزدهار التجاري لمنطقة توات (طبيعة المبادلات، حجم وحركة التجارة مع توات...).

1- مظاهر الاقتصاد المحلي للمنطقة

كانت الزراعة في توات من أهم الأنشطة الاقتصادية القائمة خلال القرن 19م، ورغم وقوعها في مصب عدة أودية كوادي الساورة ووادي مسعود ووادي أمقيدن ووادي قارية، إلا أنها لم تفدها كثيراً بحكم بُعدها ونفاذ التربة الرملية بالمنطقة، غير أنها ساهمت في تكوين طبقات من المياه الجوفية الممتدة من ليبيا وتونس إلى غاية توات، قدرت بحوالي 1 مليون كلم^2 مساحةً[1]، وعلى هذا الأساس اهتدى أهل المنطقة لأسلوب سقي تقليدي استغلوا به تلك الثروة المائية الباطنية، سُمي بالفقّارات[2].

1-1- نظام الري في توات

بخصوص الفقارة وإن اختلفت معانيها، هناك من يرى أنها ظهرت أول الأمر على يد الزناتة في توات، واصطلحوا على تسميتها بالفقاقير تشبيهاً بفقرات الظهر، وصارت حرفة شائعة من بعدهم[3]؛ في حين يرى صاحب مخطوط (درة الأقلام) أن توات كانت عامرة بالناس منذ زمن الفراعنة، حتى أن أقباط مصر وصلوا إليها وهم أول من هندسوا فيها نظام الفقاقير وشيّدوا عليها القصور، وكان ذلك منذ حوالي 700 سنة قبل الهجرة[4].

وهناك من يقول أن الفقارة كتقنية ري[5] كانت معروفة في عموم شمال وصحراء إفريقيا وآسيا، يعتقد أنها انتقلت من بلاد فارس إلى بلاد المغرب خلال القرن 11م، تقوم على حفر ساقية جوفية تنساب عبرها المياه إلى سطح الأرض، تبدأ من البئر الأول ويسمى رأس الفقارة، ثم تتبعها سلسلة من الآبار في خط مستقيم حتى تصل إلى القصور، وبين كل بئر وآخر مسافة بين 10 و20م، وعمق البئر الأولى حوالي 20م ثم يتناقص من بئر لآخر حتى يصل إلى سطح الأرض بشكل تلقائي فتتوزع عبر ما يسمى بالقصرية والسواقي[6].

---

[1] . محمد حوتية، **توات والأزواد...**، ج1، المرجع السابق، ص 83.

[2] . **الفقارة:** ويُنطق حرف القاف هنا بصيغة Ga، معناها اللغوي من فقَر الأرض وفقّرها بمعنى حفرها، والفقّير بئر تغرس فيها الفسيلة، وقد تزيد تلك الآبار على الثلاثة، كما قيل أنها آبار تُحفر وينفذ بعضها إلى بعض (وهنا اقترب ابن منظور من توافق معنى كلامه مع عمل الفقارة في توات). ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة (ب.ت)، ص 3446.

[3] . محمد بن عمر بن أحمد الحبيب البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، المصدر السابق، ص 14.

[4] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص ص 2، 3.

[5] . ينظر الملحق رقم 06 و07.

[6] . محمد أعفيف، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط (ب ت)، ص ص 31، 32.

وحسب شرح محلي لعمل الفقارة فهي ترتكز على نفاذ الآبار في بعضها البعض، بتدفق الماء من هذا إلى هذا، فبئر الفقارة الأول يدفع الماء للبئر الموالي وهكذا إلى آخر بئر حتى يخرج على وجه الأرض، ولتقسيم ماء الفقارة علمٌ قائمٌ بذاته بمصطلحاته وموازينه ومكاييله وسجلاته وحرفييه، وماء الفقارة جنسان: أنثى وذكر يختلفان في حجم السقي، فالذكر أوفر وأغزر في المنسوب والمنتوج[1].

مثلاً: فقارة "آمراج" التي تصب في قصور أولاد عبو والمنصور وأورير بجهة دلدول هي من الجنس الذكر، وبجوارها نجد فقارة "يغنو" التي تصب في قصور أقبور والحدبان تصنف من جنس الأنثى، ومن مصطلحات الفقارة التي أعرفها شخصياً لدينا: الكيّال الذي يمتهن حرفة تقسيم الماء، والحبة والماجن: من قياسات حجم منسوب الماء، والزمام: وهو سجل تدوين معاملات ومواريث التوزيع والتجارة والتحبيس في الماء، والساقية: المجرى الذي يوصل الماء من بئر إلى بئر ومن قصرية إلى قصرية، والقصرية: هي الدلتا التي توزع الماء عبر مشط حجري به ثقوب تقسيم الماء.

ويرى الشيخ باي بلعالم نقلاً عن الشيخ عمر المهداوي أن اليهود كانوا أول من اختط الفقاقير في توات تقليداً لما كان عليه حالهم في المدينة المنورة، ونظراً لأهميتها فقد جعل لها أهل توات موازين ومكاييل وحرفاً وسجلات خاصة بها، بل ونظموها حتى بيعاً وشراءً وتمليكاً، ولعلماء المنطقة مؤلفات وفتاوى في شؤونها[2]؛ وعليه ومما سبق نستنتج أن هناك تضارب كبير في طريقة وتاريخ وصول نظام الفقارات إلى مناطق توات، بين من يراها للزناتيين أو اليهود أو الفراعنة أو الفرس، بل واختلفت المصادر حتى في اشتقاق وتفسير معناها الاصطلاحي.

ويبدو من خلال تحلق فقارات توات حول هضبة تادمايت أنها تأخذ منابعها منها، بالإضافة إلى الوعاء الجوفي الذي تخلفه الأودية في نهاياتها. وقد أكد هذا الاستنتاج الرحالة الألماني (رولفس Rohlfs) أن الفقارات في توات تنبع من نهر باطني يزيد منسوبه بتهاطل الأمطار، وأنها تأخذ اتجاهاً موحداً من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، أي: من حواف هضبة تادمايت إلى أخفض الأماكن حيث يلتقي وادي المسعود، والفقارة الواحدة قد تصل لمسافة 10

[1] . عوبيدي مولاي مبارك، **قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر- 2023، ص ص 36-41

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص ص 71-73.

كلم وتحتوي على 500 بئر[1]؛ أو حتى 15 كلم أو أكثر، مثل بساتين القصور المحاذية لمدينة تيميمون التي تخدمها شبكة من 47 فقارة أكبرها فقارة "أمغيّر" التي تتكون من 390 بئر أعمقها بئر بـ 48 متر، وأصغرها بئر يسمى "كوكو علي" بعمق 6 متر[2].

ويعتبر صاحب كتاب (نقل الرواة) من أهم المصادر المحلية التي أحصت وسمت الفقاقير في المنطقة بأعدادها ومصطلحاتها ومكوناتها الرئيسية، إلا أنه اقتصر فقط على قصور تسابيت ووجلان وبودة وتيمي وتمنطيط، دون الإشارة إلى مناطق توات الحناء ورقان وتيديكلت وقورارة[3]. ورغم أن أعداد وكميات منسوب الفقارات مع نهاية القرن 19م مقارنة بالقرن 17م تناقصت، إلا أن أحد الرحالة الفرنسيين سنة 1892م أحصى حوالي 40 فقارة وزهاء 100 بئر في مسافة تقل عن 30 كلم في قورارة وحدها[4]، وفي نفس المنطقة أحصى (مارتن أ.ج.ب) حوالي 406 فقارة حية وفي توات الوسطى 439 فقارة[5]، أما في تيديكلت سنة 1902م تم إحصاء حوالي 125 فقارة حية بطول 320 كلم وتدفق 36 م3/د و51 فقارة ميتة كانت آثارها لا تزال قائمة[6].

وقد كشفت نتائج الإحصائيات لسنة 2019 عن وضعية عدد من الفقارات المتدهورة والناضبة لولايات أدرار، تيميمون، وعين صالح، بأن عدد الفقارات الناشطة حالياً في أدرار وحدها، من أصل 1216 فقارة هو 203، فيما عدد الآبار المتدهورة فيبلغ 173 والناضبة 840 فقارة، أما بتيميمون فتحصى 614 بها 12 فقارة نشطة و124 متدهورة و370 فقارة ناضبة، وبولاية عين صالح تم احصاء 7 فقارات نشطة و7 متدهورة و46 ناضبة من أصل 64 فقارة[7]؛ وهذه الأرقام في يومنا هذا هي أسوأ مما كانت عليه الفقارات خلال القرن 19م، ومنه نستنتج أن المنطقة كانت تنضب بعدد لابأس به من الفقارات سابقاً.

---

[1] . عبد المالك طاهري، **منطقة توات في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين**، إش: أحمد بوسعيد، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2023/2022، ص 168.

[2] . M'hamed Selkh, **Timimoun La Mystique**, l'Office du Tourisme de Timimoun, Edition 2011, pp.7,8.

[3] . محمد بن عمر بن أحمد الحبيب البوداوي، نقل الرواة...، المصدر السابق، ص ص 14-21.

[4] . محمد أعفيف، **توات مساهمة...**، المرجع السابق، ص 34.

[5] . A.G.P. Martin, **Les Oasis Sahariennes**, op.cit, pp.249-279

[6] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, p.20.

[7] . رافعي محمد محي الدين، الفقارة تراث محلي وعبقرية في الصناعة تتحدى الاندثار، يوم دراسي بعنوان: تراث الفقارة بين تدابير الحماية وتحديات الاستدامة، صفحة أقواس الإعلامية، 2023/03/06، التصفح يوم: 2023/12/21، التوقيت: 19:35، https://aqwas.net.

2-1- الفقارة تراث مادي وذاكرة وتنمية خالدة

وبغض النظر عن الجانب الاقتصادي النفعي للفقارة، فإنها آنثروبولوجياً تعتبر جزءاً من التراث المادي واللامادي في المنطقة، بمكوناته ومظاهره الأساسية على غرار القصص والأشعار والأمثال الشعبية، والآثار والحلي والزرابي والتراث المبني بالطين والمصنوع من أغصان النخيل، بل وحتى الأسطورة والروايات الشفوية التي قد تبدو خيالية نظراً لعظمتها وقداستها حدثاً وسرداً، وهي صورة نمطية نُسجت عن نماذج من شخصيات محلية ومظاهر تراثية مادية وغير مادية، كان لها دور كبير في التعريف بالذاكرة الجماعية للمنطقة، ومنها مثلاً ما تعلق بالفقارات، حيث ألهمت المجتمع القوراري وأصبحت تراثاً شعبياً يستدعي الفخر والتمجيد والتوريث ثقافةً وأدباً...

وفي هذا السياق لا يزال البحث خصباً وعذرياً، وما أمكننا تسليط الضوء عليه والإشارة إليه قليل وشحيح، ربما يكون لنا فيه قصب السبق ودغدغة فضول الباحثين، فمن مظاهر المخيال الشعبي الموروث شفوياً والمتعلق بأوجه المقاومة ضد الفرنسيين، ودور نظام الفقارة في ترسيخ ثقافة المقاومة في الذاكرة المحلية، ما ذُكر عن فقارة العباس بقصر زاوية سيدي الحاج بلقاسم، في قصة شعبية عجيبة متداولة إلى يومنا هذا، ومفادها: أنه في فترة دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة وبعدما انتهكوا وتعدوا على حرمة مياه الفقارة، ولوّثوها بنجاسة جنودهم، وصادروا بعض الفقارات والبساتين، يقال أنهم بعد ذلك أصيبوا بالأمراض وهلك بعضهم في المكان الذي تعدوا فيه على تلك المياه الطاهرة؛ وحتى لو كانت القصة تميل للنزعة الخيالية، إلا أنها شائعة ومتداولة بكثرة في الحكايات والمرويات[1].

وحتى بخصوص لجوء الشيخ بوعمامة في منطقة قورارة وبالضبط في قصور دلدول بين سنتي 1883-1894، فمن بين أسباب لجوئه أن منطقة دلدول كانت معروفة بكونها واحة مزدهرة فلاحياً ورعوياً، فاختيار بوعمامة لواحة دلدول كان فيه كثيراً من المنطق بحكم موقعها في مفترق طرق بين الجزائر والمغرب، وبقربها من تيميمون وتيمي معاً، ونظراً لتوفر مراعي كثيفة وممتازة محيطة بها ساهمت في إطعام الإبل والأحصنة والأغنام، ناهيك على ما تزخر به هذه الواحة من موارد سهلت إمداد الشيخ بوعمامة في احتياجاته[2]. وأنه مما يتداوله الناس أن

[1] . الفاطمي محمد، **الفقارة نبع وروح**، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل الجزائر 2024، ص 59.

[2] . Comité L'Afrique Française, Bulletin Mensuel, N° 1, Renseignements Coloniaux, La Colonne Servière au Tidikelt, au Touat et au Gourara (21 Mai-18 Aout 1900), Paris Janvier 1902, p.26.

الشيخ بوعمامة وجد في بور طلمين ودلدول بقية القصور هناك ما يغطي به احتياجاته في تموين زاويته وجيشه من التمور والمراعي والمياه، وكلها من خيرات الفقارة في المنطقة.

كما تذكر بعض الروايات والمصادر على أن الشيخ بوعمامة وجد بعض آبار الفقارات في دلدول قد جفت وتوقفت عن الجريان، فدرس وضعيتها وأعاد حفرها من جديد، في جوٍ مهيب من الدعاء والطقوس الصوفية التي كان يمارسها[1]، وهذه القصة تشهد عليها حتى الروايات الشفوية بالمنطقة، حيث يُروى أنه نصح الناس في دلدول وخاصةً أصحاب فقارة "أمراج"[2] بتفريع مسارها إلى فرعين، فرع يمر على قصر أورير إلى غاية البور بين إقسطن وأقبور، والفرع الذي يصب في قصر أولاد عبو والواحات المحيطة به[3]. وبفضل الفقارات وخيراتها كان الشيخ بوعمامة يستقبل الوفود والتجار ويتبادل معهم أحمال القمح والشعير مقابل ما توفر لديه من نقود وتمور[4]. ناهيك على أن تردد أولاد سيدي الشيخ على المنطقة من قبل لم يكن ثورياً فقط، بل كذلك لظروف اقتصادية، حيث زار أولاد سي الأعلى المحارزة طلباً للتمور، وقدِم سي قدور بن حمزة إلى قورارة كذا مرة لأجل التمر أيضاً[5].

هذه الأحداث لا تزال عالقة في الذاكرة المحلية للمنطقة، ويتم سردها عند استحضار وذكر نظام الفقارات وما آلت إليه، وفي نفس السياق تشكل الفقارة رافداً ثقافياً وأدبياً مهماً، حيث يضرب بها المثل في كثير من الألغاز والأمثال الشعبية التي تسهم في التعريف بالذاكرة المحلية، سنذكر هنا بعض الأمثلة التي ورثناها أباً عن جد، مثل: "الساقية الطايحة تدي الماء" والمقصود بها التواضع على غرار البيت الشعري (ملأى السنابل تنحني بتواضع... والفارغات رؤوسهن شوامخ)، ومثل آخر يقول "يكذب الراجل بلحيتو، ما يكذب القمون ايلا عطيتو"، أي: ضرورة الاعتناء بالأرض فإذا خدمتها وأعطيتها فسوف تعطيك وترد لك الجميل، ومثل آخر يقول "اللي

---

[1]. Marcel Palat, **Journal de Route et Correspondence**, Édition: G.Charpentier, Paris 1886, pp.244, 245.

[2] . **آمراج:** أكبر فقارة في دلدول وتصب في قصور أولاد عبو وأورير والمنصور، وهي الفقارة التي كان يسكن الشيخ بوعمامة بمحاذاتها.

[3] . بولاه الحاج عبد الله (مواليد 1943) نقلاً عن والده محمد عبد الله (1889-1995)، من أعيان قصر أولاد عبو، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلدول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زوالاً، مقابلة شخصية.

[4] . قايد عرش أولاد سيد أحمد المجدوب، رسالة إلى الكومندار حاكم دائرة البيض، 27 جوان 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM.

[5] . عبد الله بن سالم، رسالة إلى القبطان بناصر، ب.ت، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: GGA 33JJ 3، أرشيف ANOM. ينظر الملحق رقم 08.

عندو الساقية يشرب من ماها"، ويضرب في أن من يملك شيئاً عليه أن ينتفع به. وبخصوص الألغاز نذكر مثلاً "كبش ايلا ربطتو يسمن، وايلا طلقتو يرقاق"، أي: الماجن وهي الحوض الطيني الذي تصب فيه الساقية من الفقارة...

ومن القصص الشعبية المحلية التي كانت الأمهات والجدات يروينها لنا عن دور الفقارة وتأثيرها، قصة "خنيفيسة دنيفيسة" وهي باختصار قصة تذكر معاناة خنفساء سقط لها صغيرها في قِدر الحساء فخرجت مسرعة تبحث عن ملعقة خشبية لإنقاذه، فكانت كلما وجدت شيئاً احتاجت لشيء آخر حتى تستكمله، وهكذا انتقلت من النجار إلى الحداد إلى الفلاح، والطين والمعزة والبستان...، حتى وصلت إلى الماجن والساقية والفقارة والتي وجب عليها إصلاح تشققاتها وتسرباتها لتعطيها الماء الذي بفضله تعود لتعطي لكل شيء ما احتاجه، لتستكمل عبرهم سلسلة الاحتياجات التي لا يمكن لأحد فيها أن يستغني عن الآخر، وفي القصة كانت الفقارة هي الحل الأول والأهم لتلك المشكلة التي كانت ستؤدي إلى إنقاذ حياة ما.

وفي هذا المقام أيضاً تحضرني قصة محلية سمعتها عن أبي وجدتي وأهلي في قصر أقبور بدلدول بولاية تيميمون، لا تزال جزءاً من الذاكرة الشعبية التي لها علاقة بالفقارة ودورها، وهي قصة مدعاة للفخر والاقتداء بصاحبها الذي رغم أنه كان كفيفاً إلا أنه لم يدخر جهداً إلا وأسهم به من أجلها، حيث يروى أنه لما جفت ذات مرة فقارة "يغنو"، حتى لما ضاع الزرع وجفّ الضرع، وكاد يضرب الناس الجوع، قام ذات فجرٍ سي الطيب علي محمد الطيب، شاعر أقبور الكفيف ورجلها الصالح، بعكازه يتحسسها ويتلمسها، من أقصى سواقيها إلى أدنى بواقيها، بشعرٍ يتلوه كالصلاة، والماء يتبعه طائعاً منهمراً، قال فيه:

يا ربي بالنبي، الطيب داخـــــــل بيـــــــك
ولد عـلي لا تخيـبـــــو كـمّـــل ظـــــنـــو
اعزم يا صاحب الجـــــــد ســـــرّح يغـنـــــو
خاتم الرسال الطـــاهـــــر سيـــــد قرانـــــو
محمـــــــــد ولـد يامـــــنة لـعـــزيـــز عـلـيـك
واللي طـــاع وصـــــــدّق ونصـــــر ديـــنـــو
حـــــــقق ما بـــــــغى وفـــــوّض الأمـر لـيـك
زهـــــــــــر الـدنـــيـا الـفـانيـــة تبـرّا مـــنـــو
من عـــمـــــاق الخـــير ولحرايـر تتكـــل عليـك

واللي تكّـل عـلـيـــك راه عـارفك سـلـطـــانـو
عـــرّفـنـا بـيـــك يـا اللـي مـا لـــيـك شـــريـك
لا تـمـــلّـكـــنـا لـحـــــد غـيـــرك نـنـغـبـنـــو
قـاطـــع لـيـــاس مـن الـصـحـة يـشـكي لـيـــك
لخـــــلايع فـيـــه قـطـــرو ووجّـــد كـفـــانـو
نقهـــــــرنا يا الـقـــــــاهـر استـانـسـنا بـيـك
مـجـــرانا من فـــــوق رابـــــو حـسـيـــانو
تـغـلـبـــنـا كامـــلـين وتـضـــرّعـنا لـــيـــك
شـــايب وشـبـــاب راهـم عـطـشـــو صـبـيـانـو
اعـــــــزم يا صـاحـب الـجـــد ســـرّح يَغْنْـو[1]

رأيٌ واستنتاج

وأهم ما يمكن استنتاجه عن دور الفقارة في المنطقة، أنها قبل أن نصنفها كتراث مادي، كانت أسلوب حياة وشريان وجود الاقتصاد والمجتمع في قصور توات، فلم يكن من الممكن نشأة وازدهار تلك القصور الطينية من دون الفقارة، حتى أن تصميم وتهيئة الإقليم في المنطقة كانت ولا تزال قائمة على أساس مسار الفقارة، وهو ما يعني أن لها أدواراً هامة في ثقافة المجتمع وفي تنمية وجوده وسكنه، والعجيب فيها أنها وضعت وفق دراسة طبوغرافية مرتبطة بهضبة تادمايت والأودية على حوافها، وأنها هندست بالشكل الذي تنبع وتصب فيه تلقائياً كالأودية والأنهار.

وأن الفقارة في قصور توات ليست مجرد تقنية ري تقليدية، بل هي أيضاً قاموس من المصطلحات والمفاهيم والأمثال والألغاز والحرف، ففيها ومنها ظهرت موسوعة معلوماتية ثرية بالعلم والثقافة والاقتصاد، حتى أن لها موازينها ومكاييلها وحرفييها وفتاويها وسجلاتها ومواريثها وتجارها وأدبها...، وهذه الموسوعة المعرفية ساهمت ولا تزال في تشكل الذاكرة الشعبية المحلية كتابةً ومشافهةً، وفي إضافة علمية ودينية كانت قصور توات الحواضر الوحيدة في الصحراء الإفريقية التي تفري فيها فريها، ناهيك عن الأدوار الاقتصادية والاجتماعية التي من خلالها أعطت للمنطقة تنمية وازدهار جعلها مكسب ومقصد الكثير من الحجيج والزوار

[1] . القصيدة لصاحبها : الطيب علي محمد الطيب طهيري، الراوي: الحاجة خيرة طهيري (توفيت سنة 2000م)، قصر أقبور دلدول، تيميمون.

واللاجئين والمنتجعين، فبفضل الفقارة كانت توات مدرارة للمنتجات الفلاحية ومشتقاتها، خاصةً التمور والصناعات المتعلقة بها.

وأن الفقارة التي وهبتنا الحياة في قصور توات وجوارها لقرونٍ طويلة خلت، لا تزال معطاءً يمكننا استغلالها وتوظيفها صناعةً وسياحةً وثقافةً، فعلى سبيل المثال حالياً صارت مقصداً للسياح والباحثين عن العلم والمعرفة والمتعة والمغامرة، مما شجع الكثيرين على إقامة مخيمات ومراكز إيواء قريبة من الفقارات وبساتينها، ومما شجع آخرون على التفنن والإبداع في الصناعات التقليدية المستخرجة من سعف وخشب وأغصان النخيل، ومما يشجع أيضاً على إقامة مصانع واستثمارات خاصة بمشتقات التمور، لا سيما أن المنطقة تنتج أكثر من مائة صنف من التمور بشتى أنواعها وأذواقها، والغريب أنه تم التمييز بين عطاء الفقارات والمياه المستخرجة آلياً، حيث أن مياه الفقارات أفضل في إنتاج التمور والفواكه، مما يستدعي الحفاظ عليها والاستثمار فيها وحولها.

1-3- التمور والمحاصيل الزراعية

كانت المنطقة معروفة بإنتاجها الوفير لكثير من المحاصيل الزراعية على رأسها التمور والحبوب والتبغ والحنّاء، بحكم اعتماد الناس على حياة الواحات والسقي الوفير من خلال نظام الفقارات، فقد بلغ مثلاً عدد النخيل في توات الوسطى سنة 1906م حسب إحصائيات فرنسية حوالي 453490 نخلة، وبلغت كمية الإنتاج من القمح والشعير في قورارة وحدها سنة 1904 حوالي 23000 قنطار[1]. وفي تيديكلت حسب الإحصاء الفرنسي لسنة 1902م بلغ تعداد النخيل حوالي 315793 نخلة ذات محصول، مما يمكن القول أنها كانت تنتج سنوياً 6000 طن من التمر، وبين جنبات النخيل كان يزرع القمح والشعير والبطيخ والخضروات والفواكه مثل التين والرمان والعنب[2].

في حين يذكر العقيد (هـ بيسيال H.bissuel) في كتابه (الصحراء الفرنسية) أن توات الوسطى كان فيها حوالي 3 ملايين نخلة، و1.5 مليون نخلة في تيديكلت، وأن قورارة لم تكن تقل عن 2.5 مليون نخلة تنتج أجود أنواع التمور[3]. وهناك من يزيد عليه بأضعاف واحصائيات

[1] . عبد الله بابا، **الحياة الإجتماعية والإقتصادية بتوات...**، المرجع السابق، ص ص 242، 248.

[2] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, pp.25,26.

[3] . H.bissuel, **Le Sahara Français**, op.cit, pp.14-31.

لافتة، ورغم ذلك التضارب في الأرقام إلا أن معظم الدراسات والمعطيات الفرنسية كانت ترى في توات مدى قوة وكثرة إنتاج التمور والنخيل بها.

تلك الأنواع من التمور كما يقول مولاي مبارك عوبيدي الهبلاوي (1938-2013) كانت تفوق المائة صنف، وفي كتابه (قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات) أورد منها ما استطاع تذكره في قائمة من 62 صنف، أشهرها: تِلّمسو، تِنّقور، تِنّاصر، تَقربوش، بَمخلوف وغيرها[1]. وهو رقم ليس ببعيدٍ عما قاله (مارتن أ.ج.ب) بأن توات كان فيها حوالي 153 نوعاً من التمور[2].

وبخصوص الزراعة في توات، فقد كانت تُسقى بساتينها من فقارات طولها مجتمعةً حوالي 2000 كلم، لا ينبت فيها النخيل فحسب، بل كذلك القمح والشعير والتبغ، وكانت تصدر منتوجاتها إلى الجنوب المغربي والجنوب الوهراني والسودان[3]، حتى أن ابن الدين الأغواطي قال أن تيميمون وحدها كان لها سوق عظيم فيه التمر وغيره من الثمار، ويباع فيه العبيد وتراب الذهب بكثرة، وفيها مياه غزيرة، وقال أيضاً عن أولف أن فيها الماء الوفير والتمر والعبيد بكثرة، وأن توات الحنّاء كانت تنتج التمر والحنّاء بكميات وفيرة[4].

ومن أهم مناطق توات في إنتاج الحبوب كانت بودة التي تقع في نهاية وادي الساورة، ثم تأتي قورارة التي كانت "مغلالة في القمح دون غيرها من البلاد"[5]؛ فقد كان القمح والشعير والحبوب عموماً من المنتجات الفلاحية التي تأتي بعد التمور رغم قلة إنتاجها الذي لم يكن يحقق الاكتفاء الذاتي، حيث تشير بعض الاحصائيات مطلع القرن 20م، أن إنتاج مناطق توات من القمح والشعير قدر بحوالي 48 ألف قنطار موجهة للاستهلاك المحلي[6]؛ ومنه نستنتج أن إنتاج القمح كان قليلاً، وهذا ما ذكره صاحب (كتاب دائرة المعارف) حيث قال: "وفي توات من القرى ما يقول الأهالي أن عدده كعدد أيام السنة، وأما قوْتهم فمعظمه من التمر ويأكلون أيضاً الجراد والغنم، ويُجلب لهم القمح من بلاد التلول..."[7].

---

[1] . مولاي مبارك عوبيدي، **قورارة وتوات وما عليه احتوت...**، المرجع السابق، ص ص 42-45.

[2] . A.G.P. Martin, **Les Oasis Sahariennes**, op.cit, p.298.

[3] . **تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة**، المطبعة الملكية، الرباط 1962، ص 7.

[4] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص ص 93، 94.

[5] . ابن بابا حيدة، **القول البسيط...**، المصدر السابق، ص 26.

[6] . محمد حوتية، **توات والأزواد**، ج1، المرجع السابق، ص 116.

[7] . بطرس البستاني، **كتاب دائرة المعارف**، مج6، المصدر السابق، ص ص 200-262.

1-4- الثروة الحيوانية

أما تربية الحيوانات الأليفة فقد تمثلت في المواشي التي كانت تربى في البساتين والبيوت نظراً لقلة المراعي، باستثناء الجمال التي كانت تربيتها تكثر في نواحي قورارة وتيديكلت لوفرة الأودية ومراعي البور؛ وقد ضرب لنا الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أب التواتي مثلاً في رحلته سنة 1160هـ/1747م، عن قصر أولاد محمود بأنه كان بلدة مرج ترعى فيها الإبل، و"جنان باسّا" في دلدول التي قال عنها أنها كانت "بلدة طيبة ليس بها سباخ، وأنها كثيرة الغنم، جل غنمهم ماعز كأن قرونها عصا، وضروعها تتدلى..."[1]؛ وذلك دليل على وفرة المراعي والماشية في تلك المنطقة حينها. ويذكر الناس في منطقة دلدول أن المراعي التي توفرت عليها البلدة زمن الشيخ بوعمامة (1883-1894) كانت كثيفة لدرجة أنها تغطي حتى على الرؤية، وكانت الشجيرات الكثيفة تكفي لتكون كهيئة مربط للخيول والبغال[2].

ففي منطقة تيديكلت كانت الثروة الحيوانية بأرقام تقريبية كالتالي: الإبل 600 رأس، الحمير 700 رأس، الأغنام والماعز 3500 رأس[3]. ويذكر ابن الدين الأغواطي في هذا السياق أنه رآى في قورارة أغناماً كغنم السودان، وأنه كانت توجد بها الخيول بكثرة، وأن أهل تيميمون كانوا يملكون قطعاناً كبيرة من الماشية، وأنهم يدفعون الزكاة، وأن لهم تجارة مع الطوارق...[4]. ورغم ذلك فكتابات الرحالة الفرنسيين على العموم أشارت إلى قلة الثروة الحيوانية، وأن أهل توات كانوا يعتمدون على بلاد السودان وشمال الصحراء الجزائرية في سد حاجياتهم من اللحوم.

1-5- الصناعة والحرف

لم تكن بتلك الأهمية والوفرة الإنتاجية نظراً لقلة المواد الأولية آنذاك، لكن رغم ذلك فقد اهتم ناس المنطقة بجلب الحرفيين والعبيد وتسخيرهم في قطاع الزراعة والصناعة التقليدية، ومن بين أهم ما كان يُنتج حرفياً الصناعة الفخارية، والصناعات الخشبية المشتقة من مكونات النخيل، ودباغة الجلود وبعض الزرابي والمنسوجات وصناعة الحلي. وقد أشار (فوانو L.Voinot) إلى أن الصناعة المحلية في توات كانت شبه منعدمة وتركزت بدرجة كبيرة في ناحية تيديكلت، حيث كانت النسوة تنسجن بعض الحلي ومواد الصوف وصناعة الفخار، وفي القصور

[1] . ضيف الله بن محمد بن أب التواتي، **رحلتي لزيارة قبر الوالد**، ج1، المصدر السابق، ص ص 479، 480.

[2] . عبد الحي بن محمد طلباوي، من مواليد سنة 1943، من أعيان قصور دلدول، نقلاً عن والده سي محمد بن أحمد (1873-1968)، قصر أقبور دلدول ولاية تيميمون، 2024/01/03، الساعة: 12:40 زوالاً، مقابلة شخصية.

[3] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, p. 27.

[4] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 93.

كان "المعاليم" يصنعون بعض المواد النحاسية والحديدية والأسلحة والتحف الفنية الجلدية مثلاً[1].

ولأن إنسان توات في القرن 19م كان يعتمد على تكييف حياته وفقاً لحاجياته اليومية، فقد ألزمته الحاجة إلى النحت من الطين الأواني، ومن الحجارة الأدوات المنزلية، ومن الخشب المصنفات المشتقة من النخلة خصوصاً، كصناعة الأبواب والمفاتيح والحبال والأطباق بشتى أنواعها الوظيفية، ومن الحديد الفؤوس ومواقد الطهي ومغازل النسيج والسكاكين والأسلحة، وللزينة تميز البعض بصناعات فضية ونحاسية وغيرها، وعلى هذا الأساس ظهرت في توات حرفاً كثيرة ومتنوعة مثل البنّائين والفخّارين والحطّابين والعطّارين والحدّادين والصيّاغين والكيّالين والجزّارين والحمّالين والخرّازين وحتى المشّاطات والسقّايات[2]، وكلها كانت حرفاً إيجارية استرزاقية[3].

وإذا كانت جهة تيديكلت قد تميزت بالصناعة الجلدية التقليدية وخاصةً قصور أولف وما جاورها، فإن قصوراً أخرى مثل اسبع وأولاد محمود كانوا يصنعون البارود[4]، أما قصور تينركوك في جهة قورارة فقد تميزت بالصناعة النسيجية كالأغطية والملابس والزرابي، وأخذت شهرة محلية وخارج المنطقة بما يُعرف بالدكالي وأغطية فاتيس، والدُكّالي تم نسجه أول مرة في تيميمون عام 1851 من طرف امرأتين من الزناتة وواحدة حرطانية وبيعت أول قطعة منه للطوارق، ثم أضافوا له عدة ألوان ليُباع بسعرٍ أغلى، أما في فاتيس فقد ذُكر لأول مرة سنة 1909 في التقرير السنوي لملحقة قورارة[5].

وفي الصناعة أيضاً يُذكر أن التواتيين استطاعوا حتى استخراج بعض المعادن واستغلالها، كالجير والجبس وملح البارود وملح الطعام، وقد تميزت قصور تيميمون واسبع وكالي بذلك[6]. ورغم ضعف الصناعة في المنطقة إلا أن تلك الحرف أعطت للسكان شهرةً وتميزاً، فعُرفوا بأنهم

---

[1] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, p.38.

[2] . الصيّاغين: حرفيي الذهب والفضة، الخرّازين: حرفيي الجلود، المشّاطات: الماشطات للنساء بأجر، السقّايات: الجالبات للماء من الفقارة بأجر.

[3] . مبروك مقدم، **بنائية تقسيم العمل المأجور...**، المرجع السابق، ص ص 67-73.

[4] . أوجين دوماس، **الصحراء الجزائرية...**، المصدر السابق، ص 193.

[5] . Jean Bisson, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine…**, op.cit, p.133.

[6] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 60، 61.

أهل نشاط في الصناعة، غير أن النجاح عندهم كان متوقف على تجارتهم...[1]، ولعل ما ساعدهم في ذلك وجود فئة الطوارق واليهود، وهما فئتان كانتا معروفتين بتميزهما في كثير من الحرف.

ورغم أن الصناعة التقليدية لم تكن بدرجة ازدهار الزراعة والتجارة في المنطقة، إلا أنه ومما يمكن استنتاجه من كل تلك الحرف والصناعات التواتية، أن البستان عموماً والنخلة خصوصاً كانت تمد الإنسان هناك بالمادة الأولية في أغلب المصنوعات والمأكولات والمشروبات، حيث كان يستخرج منها ما يزيد على 40 منتوجاً وأداةً محلية، وعشرات الحرف والوظائف كانت ترتبط بالنخلة وحدها[2]، بل ومما تناهى إلى علمي من خلال احتكاكي ببعض كبار السن، أنه كانت من شروط إقامة صلاة الجمعة في القصور الجديدة، أن يوجد عند أهلها بعض الحرفيين كالحداد والكيّال[3].

2- الازدهار التجاري لمنطقة توات

ربما يجد البعض أن بعض الكتابات أشارت إلى معاناة أهل المنطقة من الفقر والحاجة، وأنهم لم يكونوا من ذوي الغنى والرفاهية، حتى أن تقاريراً مخزنية مع نهاية القرن 18م كانت تصف واحات توات بالفقر[4]، ومثلها قال ابن بابا حيدة "أن تواتنا هذه أرض جدب وقلة مع بركة وقناعة..."، وقال أيضاً "إن قلّ فيها الرزق فقد كثر فيها الأمان والإيمان..."، وهو الذي عاش خلال القرن 18م ومطلع القرن 19م[5].

لكن على عكس تلك القراءة نجد شهادات كثير من الرحالة يذكرون مدى الازدهار التجاري لمنطقة توات، مما يدل على اختلاف التوصيف من قصرٍ لآخر ومن زمنٍ لآخر، فالعياشي مثلاً عند مروره على قصور تسابيت يقول أنهم باعوا فيها خيولهم وإبلهم، واشتروا منها التمور التي وجدوها هناك وفيرة ورخيصة، والرحالة الألماني (جيرهارد رولفس) سنة 1864م أشار إلى أن سوقها كان لا يزال يتمتع بنشاط لابأس به[6]، ونفس الشيء عن ابن الدين الأغواطي الذي أكد نفس الرؤية خلال معاينته لأسواق المنطقة.

---

[1] . بطرس البستاني، **كتاب دائرة المعارف**، مج6، المصدر السابق، ص ص 200-262.

[2] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص ص 75، 76.

[3] . **الكيّال:** من الكيل والمكيال، والمقصود به هنا ذلك الحرفي الذي كان يقسم الماء في الفقارة بأدواته المحلية المخصصة. وللإشارة فقد تم تصنيف هذه الحرفة كتراث عالمي في اليونيسكو سنة 2018.

[4] . نور الدين بن تيشة، **الأسرة في منطقة توات...**، المرجع السابق، ص 231.

[5] . ابن بابا حيدة، **القول البسيط...**، المصدر السابق، ص 11.

[6] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص 64.

ففي القرن 19م كانت توات لا تزال تتمتع بذلك الرواج الاقتصادي -السالف الذكر في بداية هذا البحث- خاصةً في تجارة الذهب والتمور والتبغ والعبيد والمخطوطات، حيث ذكر بارث (Barth) أن توات كانت تشكل خزاناً تجارياً كبيراً بين تافيلالت وسجلماسة وتمبكتو، وأنه شاهد قافلة كبيرة من توات وهي تغادر تمبكتو في شهر محرم 1270هـ/ أكتوبر 1853م، ومثله قال (بول سولايي) في تقريره إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874م عن موقع واحات توات البالغ الأهمية تجارياً، كما ذكرت بعض المصادر أنه كان في تمبكتو لوحدها سنة 1270هـ/ 1870م حوالي 600 تاجر تواتي مقابل 25 تاجر فقط من تافيلالت؛ وأما أوجين دوماس فقد قال أن توات تميزت بأسواق كثيرة ومتخصصة، كسوق القماش، وسوق السمن، وسوق السرّاجين، وسوق العبيد، وسوق العطّارين، وسوق الأغذية، وسوق الماشية، وسوق التبغ[1].

وازدهرت التجارة في منطقة توات إلى درجة أنها صارت من مظاهر الاستثمار المالي لدى أهل المنطقة، حيث يذكر صاحب (درة الأقلام) أن إحدى الزوايا كانت تملك 900 بعير تتاجر بها في بلاد السودان، وقبيلة اقدوع في رقان –مثلاً- كانت لهم تجارة مع بلاد التكرور في الرقيق وعروض سلع وبضائع أخرى بيعاً وشراءً كالكسوة والدواب، من وإلى بلاد التكرور وقصور توات وتيديكلت وقورارة[2]. ويصف الأغواطي رحلة القوافل التجارية بين السودان وتوات، بأنها كانت في بداية السنة تصطف وراء بعضها في عدة صفوف، كل صف كان فيه 200 بعير، كانت البضائع المستوردة كالعبيد وتراب الذهب، وفي المقابل كانت توات تصدر الحرير والحديد والزجاج وغيرها[3].

وكانت معاملات توات في التجارة مع ست اتجاهات: الجنوب الوهراني، جنوب الجزائر العاصمة في امتداد من بسكرة إلى قابس، وإلى جهة الشرق حيث غدامس وغات وغيرها، وإلى بلاد الهقار، وإلى الجنوب حيث السودان الغربي، وإلى الغرب حيث منطقة الساورة وتافيلالت[4]؛ وهذا الجدول الموالي يلخص تلك المبادلات واتجاهاتها سنة 1905م[5]:

---

[1] . مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث...**، المرجع السابق، ص ص 67-73.

[2] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص ص 49، 50.

[3] . ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، المصدر السابق، ص 95.

[4] . A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes…**, op.cit, p.316.

[5] . Ibid, p.325.

مسار التجارة	قورارة	توات الوسطى	تيديكلت	المجموع
الجنوب الوهراني	9227	156	//	9383
جنوب الجزائر العاصمة	1279	584	481	2344
مع الشرق (غدامس، غات)	//	//	42	42
مع بلاد الطوارق	//	97	2254	2351
مع السودان الغربي	//	50	166	216
مع الغرب (الساورة، تافيلالت)	3	2	//	5
المجموع	**10509**	**889**	**2943**	**14341**

وإشارةً لحجم التجارة مع توات، ذكر (غوردن لانغ) في رسالة 08 ديسمبر 1825 وهو لا يزال في إن صالح، أن الناس في المنطقة كانوا يميلون إلى نشاط التجارة بقوة، وأنه رأى قافلة تتجمع في المدينة ضمت حوالي 100 جمل، كان ينتظرها لمرافقتها في رحلته نحو تمبكتو، وأنه التقى بأناس وتجار من كل النواحي والجهات، تعرف من خلالهم على طرق ومسالك تجارية إلى السنغال ومراكش وفاس وغات وأغادس، ثم وهو ماكث في إن صالح مع التجار الذين كانوا ينتظرون الظروف المواتية للانطلاق نحو تمبكتو، قال لانغ في رسالة 09 جانفي 1826 أنه عند خروجهم كان في القافلة 300 شخص قد امتطوا الجمال، ومعهم حوالي 150 مسلحاً[1].

وفي نفس السياق يقدم لنا الدكتور فرج محمود فرج نقلاً عن مصادر فرنسية كجريدة المبشر، أرقاماً دقيقة عن القوافل التجارية التي كانت تسافر من شمال الجزائر إلى قورارة أواخر عام 1899 وبداية سنة 1900م، نلخصها في الجدول التالي[2]:

[1] . غوردن لانغ، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ...**، المصدر السابق، ص ص 342-353.

[2] . فرج محمود فرج، **إقليم توات...**، المرجع السابق، ص ص 119-135.

جدول: حركة القوافل التجارية بين قورارة والتل الجزائري 1899-1900م

القافلة	التعداد البشري	عدد الإبل	السلع والبضائع	
			إلى توات	من توات
عين الصفراء	61 شخص	170 جمل	الضأن، السمن، الجبن، الصوف، الدقيق، القمح، الشعير، الفول، الزيت، الشحم، الصابون، الشمع، القهوة، القماش، السكر، الفلفل الأسود.	التمور بأنواعها، الأطباق، التوابل، الحناء، القفف، الحياك، وبضائع أخرى مختلفة.
دائرة المشرية	931 شخص	3028 جمل		
ملحقة سعيدة	566 شخص	1142 جمل		
دائرة البيض	677 شخص	1202 جمل		
قافلة الطرافي	1024 شخص	2911 جمل		
المجاميع	3259 شخص	8453 جمل	297676 فرنك	273180 فرنك

وكذلك التجارة من تيديكلت تميزت بالتنوع من حيث طبيعتها ومناطق التبادل فيها، كانت تقوم مع غرداية والمنيعة وورقلة من جهة، ومع توات وقورارة والسودان وبلاد الطوارق من جهة أخرى، فالأولى تتكون من 10 إلى 40 جمل في القافلة الواحدة، والثانية من 100 إلى 200 جمل، وكمية التمور التي كانت توجه للطوارق وحدهم بلغت حوالي 311 طن/1904م، ناهيك عن منتجات أخرى مثل القطن والتبغ والحنّاء والبخور والقماش والمصنوعات الجلدية، وحتى السكر والشاي والزيت وغيرها[1].

وللإشارة فقد كانت المنطقة تتعامل تجارياً بأسلوبي المقايضة والعملات النقدية، حتى أن منطقة قورارة تميزت عن غيرها بسكها لعملة خاصة بها سُميت "الفرافر" رغم أنها كانت مجرد

[1] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, pp. 37, 38.

عملة محلية زهيدة وغير مؤثرة[1]، ولا يتم التعامل بها إلا حينما لا تتوفر العملات الأخرى، ومن العملات التي كانت متداولة بتوات قبل الاحتلال الفرنسي نجد عملات جزائرية عثمانية ومغربية وإسبانية، مثل: المثقال، والموزونة، والدرهم، والفلس، والريال[2]؛ ثم بدأ الفرنك الفرنسي يزحف مع الزحف الفرنسي الاستعماري.

وعلى العموم فمن خلال دراستنا لأوضاع توات اقتصادياً، لم نجد في المصادر والمراجع التاريخية ما يدل على أن المنطقة خلال القرن 19م عانت أزمات اقتصادية مؤثرة، بل حتى أن التذبذب في الإنتاج الزراعي وحركة القوافل التجارية من سنة لأخرى لم يكن بذلك السوء الذي عانت منه منطقة توات خلال القرون السابقة؛ فهذا الشيخ محمد باي بلعالم مثلاً يؤرخ لبعض الأزمات التي ضربت المنطقة، فيذكر منها أزمات اقتصادية كانت في سنة 1010هـ عام القحط العظيم، وفي 1053هـ جراد عظيم دام سنتين، وفي 1076هـ قحط شديد، وأزمات أخرى كانت في 1929م–1933م و1944م، والملاحظ أنه لم يذكر ولا أزمة خلال القرن 19م[3]. وفي نفس السياق عاشت توات خلال القرن 18م أزمة حادة وبالضبط سنة 1116هـ/1704م حيث غلا فيها كل شيء حتى صار يباع البستان بربطة من اللفت، نظراً للحروب والفتن بين القبائل، وأزمة مجاعة وأوبئة وجراد سنة 1906م[4].

[1] . سمعت في إحدى الجلسات بتيميمون أن ضرب هذه العملة كان يتم في قصر تورسيت، تيميمون في 2024/07/23.

[2] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية...**، المرجع السابق، ص ص 242-282.

[3] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج1، المرجع السابق، ص ص 69، 70.

[4] . كريمة مقدم، "المجاعة بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1944-1945 على ضوء سجلات الأحباس والتركات وفتاوى الفقهاء"، ***مجلة عصور الجديدة***، مج11، ع2، مارس 2021، ص ص 577، 580.

الأوضاع السياسية والأمنية

لكن، ومقارنةً بالأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السالفة الذكر، والتي غالباً ما تميزت بالحيوية والازدهار، فقد عرفت منطقة توات خلال القرن 19م أوضاعاً سياسية مضطربة في معظم الأحيان، ذلك لأن منطقة توات في كل قصورها وجهاتها قد عاشت كثيراً من التقلبات والتغيرات، جزءاً منها بسبب تأثرها بأحداث دول الجوار كالجزائر والمغرب والسودان الغربي، ومن جهة أخرى كانت الأحداث الداخلية بين قبائل وقصور المنطقة صراعاً وتنافساً قد رمت بظلالها على الحياة السياسية والأمنية برمتها، والتي سنشير إليها من خلال مظاهرها وأحداثها المتعلقة بالقرن 19م على وجه الخصوص، كما يلي:

- الأحوال الأمنية المحلية (تعرضها للغارات والغزوات، فتنة يحمد وسفيان)
- محاولات الاستقطاب والتغلغل الخارجي (محاولات الأتراك، محاولات المخزن المغربي، محاولات الفرنسيين).
- توات قاعدة خلفية للمقاومة الشعبية (أمثلة عن لجوء بعض قيادات المقاومة الشعبية).
- التهافت الفرنسي وموقف أهل توات (ما تعرض له الرحالة المستكشفون، والتحرشات الفرنسية على المنطقة).

1- الأحوال الأمنية

عند أول زيارة لك لقصور توات ذات العمران الطيني الحجري، سترى تلك القصبات ذات الأسوار والأبراج المحيطة بها، والفجوات والفتحات التي تتخلل حيطانها وأسوارها، بل وهناك قصوراً حُفرت على جنباتها وحوافها خنادقاً عميقة، وأحكمت إغلاقها بأبواب عظيمة، وكلها تعطيك نبأً على أن المنطقة كانت تعاني اللا أمن واللا استقرار، وأن تلك المظاهر العمرانية العسكرية كانت قد فرضتها على قبائل وقصور توات، تلك الفتن والأهوال الداخلية والغارات والغزوات والاعتداءات التي لم تتوقف إلا لفترات متقطعة.

1-1- الغارات والغزوات

قد يطول بنا الكلام إذا عدنا للوقائع والأحداث التي عاشتها قصور توات منذ قرون سابقة، وهي التي كانت منطقة سائبة لا تخضع لدولة رغم ازدهارها التجاري والثقافي، ولعل تلك السيبة التي تميزت بها كانت من أسباب ظروفها السياسية والأمنية المتذبذبة؛ ومن مظاهر تلك الأوضاع الأمنية غير المستقرة، أن توات في منتصف القرن 12هـ عقدت صلحاً واتفاقاً على الأمان بينها وبين البرابر من قبائل جنوب تافيلالت والتي كانت تغير وتعتدي من حين لآخر على المنطقة، وكان يقود ناس توات أعلاماً من آل البكري ومن البرابر آيت خباش وآيت أزدق[1]؛ وأنه كانت تقوم بين القصور تحالفات داخلية وأحياناً تنقض جهة ما ضد أخرى، كما حدث خلال القرن 12هـ بين قصور تيمي وتمنطيط، حيث انفك التحالف بينهما واستعان بعضهم بأهل بودة لإسقاط بعض زعاماتهم[2].

فقد كانت توات وما جاورها من المناطق السائبة في الصحراء قبيل الاحتلال الفرنسي، ولذلك ساءت أحوالها الأمنية بتعرضها من حين لآخر لفتن داخلية وغارات خارجية من قبائل الجوار[3]. والأحداث والتواريخ عنها كثيرة مذكورة في مصادر محلية وأجنبية، لخصنا بعضاً من وقائعها

[1] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 39.

[2] . نفسه، ص 16.

[3] . عبد الله بابا، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات...**، المرجع السابق، ص ص 29، 30.

استناداً لتقاييد محلية[1]، ولوثائق ومعلومات أوردها الفرنسي (مارتن أ.ج.ب) في كتاباته[2]، والرحالة الألماني جيرهارد رولفس[3]، ولمحطات تاريخية عن أحداث حواضر ولاية أدرار[4]، كما يلي:

كرونولوجيا أهم الأحداث الأمنية في توات خلال القرن 19م

1800: استقرار تام في المنطقة.

1803: هجوم قبائل الأعراب على قصور تيمي.

1806: بعض الطوارق يفرون من الجراد ويستقرون غرب رقان، وينهبون القوافل التواتية.

1807: صراع بين أولاد علي بن موسى وأولاد بويحيى بتمنطيط.

1808: نزول جيش دوي منيع وجماعة يحمد في تمنطيط.

1809: اتفاق سلام بين جماعة (يحمد) و(سفيان).

1816: حرب بين حليف بودة (الغنائمة) وتيمي.

1819: هجوم التواتيون على الغنائمة.

1826: محاولة باشا وهران الهجوم على الواحات.

1827: حرب بين توات وتيديكلت بسبب قافلة من بوفادي.

1828: اقتتال في قصور نومناس وتيطاوين وبني تامر والمنصور بتمنطيط.

1830: بودة والبرابر تهاجم تيمي وتنهب توات، ثم انعقاد صلح وسلم.

1834: اتفاق بين البرابر وقصر عريان الراس.

1844: هجوم على برينكان ولمعيز والمطارفة.

1846: أولاد بوفادي يغيرون على تيدكيلت.

1847: مقتلة عظيمة بين أنصار يحمد في قصر اسبع والمحارزة في صف سفيان، خلفت 450 قتيل.

1848: هجوم من صف يحمد في تيمي وعين صالح على قصر برينكان السفياني.

1850: قتال عنيف بين أولاد مولات وأولاد زنان قرب فنوغيل.

---

[1] . محمد عبد الحق بن عبد الكريم البكري، تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط الجزائر، ص ص 6-8.

[2] . A.G.P Martin, **Quatre Siecles…**, op.cit, pp.166-231.

[3] . Gerhard Rohlfs, **Voyages et Explorations au Sahara**, op.cit, p.205.

[4] . العقيد بن دحو، كرونولوجية ومسرد أحداث حواضر ادرار الثلاث، كتبها بتاريخ 2015/08/17، التصفح بتوقيت: 14:45 زوالاً، 2021/03/05 https://archive.li/http://www.aswat-elchamal.com/ar/.

1855: اتفاق بين الغنائمة وناس فنوغيل.
1859: اعتداء الأعراب على زاوية تينيلان والزاوية البكرية.
1862: حرب بين الغنائمة وتيمي.
1870: جولة الغنائمة في توات وحرب بعين بلبال.
1871: اتفاق أخوة وسلام في المنطقة.
1876: حرب في جنوب بودة بين أولاد مولات وأولاد زنان.
1883: الشيخ بوعمامة في دلدول واتفاق سلمي بين تيمي والبرابر.
1885: عقد تأسيسي بين قصور فنوغيل المتفككة.
1886: مقتل مارسيل بالات قرب حاسي الشيخ.
1887: اتفاق بين أولاد محمد وناس بودة، وغارة من أولاد المولات على سالي.
1889: مقتل الرحالة كاميل دولس قرب أقبلي.
1894: مقتل القايد حسون من طرف الغنائمة.
1895: بعثة تأديبية من توات ضد الغنائمة.

وتجدر الإشارة إلى أن معظم حالات الاقتتال الداخلي كانت جراء الصراع بين صفي يحمد وسفيان، أما معظم الغارات على توات من خارج قصورها كانت بدافع اقتصادي، من قبائل دوي منيع والبرابر القادمين من جنوب تافيلالت وعلى رأسهم قبيلة آيت عطا وآيت خباش، والغنائمة الأعراب الذين كانوا يشكلون أكبر تجمع سكاني في وادي الساورة، من قصور الواتة، وبوخلوف، والزاوية الكبيرة، وكرزاز، وبن يخلف، وتيمودي، ولقصابي... وغيرهم[1].

وعن تلك الأحوال السائبة بدون حكم ظاهر، ما قاله التنيلاني عبد الرحمن بن عمر في فهرسته أنه: "لما كثُرت الخصومات بتوات ألَحّوا عليه -أي على شيخه المؤلِّف- في تولية الفصل بين أهل الخصومات ولم يرتضوا غيره وخاف من الهرج والفتن، فقَبِل ذلك وأحسن السيرة وأظهر العدل، ولم يخف في الله لومة لائم، فانقاد معظم الناس لحكمه من غير وجود حاكم يجبرهم عليه بل هبة من الله تعالى[2]؛ مما يعني أن توات أواخر القرن 18م وطيلة القرن 19م كانت لا تخضع لأي دولة سياسياً.

[1] . محمد أعفيف، **توات مساهمة...**، المرجع السابق، ص 40.

[2] . عمر بن عبد القادر التنيلاني ت 1152هـ/1739م، **فهرس شيوخ**، تح: عبد الكريم طموز، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2011، ص 27.

ومن الشهادات المحلية الموثقة ما قاله الشيخ محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي (كان حياً سنة 1312هـ/1895م) عن سبب تأليفه لكتابه المخطوط (نقل الرواة عن من أبدع قصور توات) -وهو شاهد عيان ومؤرخ في زمانه- أنه فعل ذلك لما رأى هذا الإقليم التواتي أمره غير منضبط، وأنه لم يجد من أهله من اعتنى بخبر يأتي عنه منبسط[1]؛ بمعنى أن ظروف المنطقة كانت مضطربة وغير مستقرة.

وبعدما كثرت في قصور توات الاعتداءات وحالة التسيب وبدى واضحاً غياب أي دولة حاكمة ورادعة، يذكر (مارتن أ.ج.ب) من خلال اطلاعه على وثيقة محلية مؤرخة في سنة 1805، أن مندوبين من تيمي وتمنطيط وأوقروت ودلدول والمطارفة وتيميمون والخنافسة اجتمعوا في زاوية سيدي أحمد بن عثمان بتيميمون، وقرروا التحالف وتنظيم قوة شرطية لتأمين المنطقة والدفاع عنها[2].

2-1- فتنة صفي يحمد وسفيان

تختلف المصادر في تفسير أصل وتاريخ بداية ظهور هذه الفتنة، فهذا صاحب مخطوط (درة الأقلام) يقول عن هذه الفتنة على أساس أنها كانت شبيهة بحروب قريش والمسلمين، حيث لما كثر استيطان المنطقة من الزناتة والقبائل العربية، اشتدت العداوة والصراع بين الناس حتى استعان الزناتة بالعرب على بعض ولم يبالوا بأي سلطان خارجي، وقد قيل فيهم "أن أهل الصحراء اشتد الحرب بينهم مثل الحرب الواقعة بين أحمد وأبي سفيان..."، والمقصود بها تشبيهاً بما وقع بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان قبل إسلامه[3].

ومن أغرب التفسيرات ما ذكره رشيد بليل بأن هناك طرحاً عن قورارة ذكر وجود معارضة محلية بين الزناتة المنتمين لصف سفيان، والعرب المشكلين لصف يحمد، ربطها بصراع المرينيين والموحدين والذي كان بين بنو هلال وزناتة، واستند في ذلك على قول (دولامارتينيار De la Martiniere) و(لاكروا Lacroix)، ففي نظرهما "أفراد سفيان تحزبوا للموحدين، بينما أعان أفراد يحمد المرينيين على إزاحة الموحدين"، ثم يقول في طرحٍ آخر مصدره الروايات الشفوية أن

[1] . محمد بن عمر البوداوي، نقل الرواة...، المصدر السابق، ص 1.

[2] . A.G.P Martin, **Quatre Siecles…**, op.cit, pp.120,121.

[3] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 10.

صراع يحمد وسفيان كان صراعاً بين أمويي الأندلس والفاطميين، أي: أن أفراد يحمد كانوا من شيعة العلويين، وأتباع سفيان كانوا من أنصار معاوية[1].

وقد شغلت هذه الفتنة الرأي العام المحلي والخارجي، حتى أن بعض المراسلات المخزنية والفرنسية كانت تخاطب قبائل وقصور المنطقة بانتماءاتها الصفية لهذا الحلف أو للآخر[2]. وحتى أن الرحالة والمستكشفين الأجانب وقفوا على تلك الفتنة فكتبوا وأشاروا لها، حيث يذكر (مارسيل بالات) أن كل منطقة توات كانت منقسمة، فجماعة يحمد كان ينتمي إليها كل العرب تقريباً، وكانوا يشكلون الأكثرية، وصف سفيان كان يضم الزناتة وهم أكثر شجاعة، ولم تكن تمر سنوات دون اقتتال بينهما[3].

وقد تجد مظاهر هذا الصراع حتى داخل القبيلة الواحدة فأحياناً كان أبناء الجد الواحد بعضهم في صف يحمد وبعضهم الآخر مع صف سفيان، وظل الفريقان على هذه الفتنة والانقسام حتى أهلك بعضهم بعضاً، وحتى سلط الله عليهم الاستعمار الفرنسي على أرض توات على حد قول مولاي امبارك اعبيدي[4]؛ ففي القبيلة ذات الأصل الواحد كان يوجد الانقسام، مما يدل على أن الولاء في تلك الفتنة كان لتيارات، وليس لانتماءات قبلية أو عرقية[5].

ويتساءل الدكتور محمد الفاطمي ويستغرب أن أمر فتنة يحمد وسفيان لم يُذكر بتاتاً في كتب النوازل الفقهية المعاصرة مثل نوازل الجنتوري وغنية المقتصد للبلبالي ونوازل الزجلاوي، فيقول: هل يُعقل أن يغفل هؤلاء الشيوخ شأناً كتلك القضية الخطيرة آنذاك؟؟ مما يجعلنا نشك أصلاً بوجود ذلك الصراع خلال تلك الفترة[6]؛ وحتى ولو كان الشك في محله لكن من باب آخر فالقضية قد تكون ظهرت بشكل مستفحل خلال القرن 19م، أو أن المشايخ والعلماء آنذاك فضلوا عدم الخوض في الصراع درءاً للفتنة؛ وقد أجاب بعض المهتمين عن هذا الانشغال حيث

---

[1] . رشيد بليل، **قصور قورارا وأولياؤها الصالحون...**، المرجع السابق، ص ص 44-46.

[2] . ولذلك يرى البعض بأن هذه الفتنة كانت مفتعلة من طرف المخزن ليسود ويستفيد في المنطقة.

[3] . Marcel Frescaly (Lieutenant Palat), **Journal de Route**, G. Charpentier et Cie, Paris 1886, p.248.

[4] . مولاي مبارك عوبيدي، **قورارة وتوات...**، المرجع السابق، ص ص 52، 53.

[5] . Jean Bisson, **Le Gourara Etude de Géographie Humaine**, Université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire n 3, 1955, p.9.

[6] . محمد الفاطمي، **البيوتات العلمية بقورارة...**، المرجع السابق، ص ص 43، 44.

أشار لويس كولومب أن المصادر التاريخية لم تذكر بداية وحيثيات هذه الفتنة لكن الظاهر فيها أنها اشتدت خلال القرن 19م[1].

في حين يقول الدكتور إبراهيم مياسي نقلاً عن (مارتن) أن المنطقة كانت مضطربة منذ مطلع القرن 19م، من خلال صراع الرئاسة بين فرعي يحمد وسفيان، فزادها فرقةً واضطراباً مجيء فرقة مغربية سنة 1808م لجباية الضرائب، فظهر حينها ولد سيدي محمد في زاوية سيدي البكري مدعياً إمارة المؤمنين[2]، ولم تكتف توات بانقسامها الداخلي على أساس هذين الصفين، بل استعانت كل طائفة بحلفاء من خارج المنطقة، إذ تحالفت فئة يحمد مع عرب دوي منيع والطوارق، بينما انضمت فئة سفيان إلى الغنائمة والشعانبة[3]؛ وهذه الاستعانة والاستقواء بالأجنبي كانت كذلك من المخاطر الأمنية التي هددت توات في مجتمعها واقتصادها.

وعن تحديد القصور حسب ذلك الانقسام، كانت جهة قورارة كالتالي (حلف يحمد: خنافسة أوقروت، خنافسة قورارة، قصر بني مهلال والمحارزة، الدغامشة، قصور شروين، وتينركوك، وأولاد عيسى، وأولاد سعيد، ودلدول والمطارفة؛ وحلف سفيان في قورارة: قصور تيميمون، وطلمين، وأوفران، وقصور أوقروت الشارف وبوقمة وأقبور وزاوية سيدي عومر). وأما تيديكلت فكانت كل قصورها ضمن حلف يحمد، أما بالنسبة لتوات الوسطى فكانت كالتالي (حلف سفيان: أمقيدن، وقصور تسابيت ما عدا الهبلة، وقصور سالي، وقصور رقان[4]، وقصور بودة، وقصور تمنطيط وبوفادي، وقصور زاوية كنتة، وأما صف يحمد: قصور تيمي، وقصور آنزجمير وتامست، واسبع والقرارة)[5]؛ وبقية القصور غير المذكورة كانت محايدة في غالب الأحيان.

---

[1] . Louis de Colomb, **Notice sur les Oasis du Sahara,** Imprimerie de Ch.la Hure et Cie, Paris 1860, p.320.

[2] . إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، المرجع السابق، ص 27.

[3] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 17.

[4] . أحمد العماري، **توات في مشروع التوسع...**، المرجع السابق، ص ص 118، 119.

[5] . Abderrahman Selka, "Notice sur Touat", ***Bullettin de la Société de Géographie d'Alger Et de l'Afrique du Nord***, Volume 23, N° 87-92, Alger 1922, pp.529-545.

جدول: توزيع قصور توات حسب الانتماء لحلفي يحمد وسفيان

.....	القصور
حلف يحمد	قصور تيمي، وقصور آنزجمير وتامست، واسبع والقرارة، خنافسة أوقروت، خنافسة قورارة، قصر بني مهلال والمحارزة، الدغامشة، قصور شروين، وتينركوك، وأولاد عيسى، وأولاد سعيد، ودلدول والمطارفة، وكل قصور تيديكلت.
حلف سفيان	أمقيدن، وقصور تسابيت ما عدا الهبلة، وقصور سالي، وقصور رقان، وقصور بودة، وقصور تمنطيط وبوفادي، وقصور زاوية كنتة، قصور تيميمون، وطلمين، وأوفران، وقصور أوقروت الشارف وبوقمة وأقبور وزاوية سيدي عومر

2- محاولات الاستقطاب والتغلغل الخارجي في المنطقة

يؤكد الرحالة التواتي مولاي أحمد بن هاشم (ت 1253هـ/1837م) من خلال اطلاعه على بعض كتب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي أنه لم يجد عند وصوله إلى توات أية سلطة في المنطقة، إلى درجة أن بعض القصور كانت السلطة فيها بيد اليهود[1]. أما من خلال قراءتنا لوضع إقليم توات سياسياً على ضوء رسائل لانغ، فإنه في رسالةً له بتاريخ 18 جويلية 1825 ذكر أن نفوذ باشا طرابلس يتوقف عند غدامس[2]، وقال في رسالة بتاريخ 30 سبتمبر 1825 "أن حدود سلطة الباشا تنتهي في غدامس ولو أراد أن يفعل لي أي شيء فلن يستطيع"[3].

وفي نظري فإن الرحالة الإنجليزي (غوردن لانغ) قد فصّل حدود الجنوب الجزائري على ضوء رحلته ورسائله، بما في ذلك منطقة توات وجوارها كالأهقار وتنزروفت، فقد ذكر ذلك من جهة الحدود الليبية، وأضاف في رسالة 04 ديسمبر 1825 أنه رغم علاقات التواصل بين توات ومملكة مراكش، إلا أن واحات وقصور توات المتصلة والمستمرة كانت تنتهي عند حدود مراكش؛ وفي رسالة 25 ديسمبر 1825 أشار إلى الحدود الغربية، على أن امتداد حيزها كان من إن صالح إلى (تومسو Tomesow) على بعد 20 يوماً شمال تمبكتو وعلى حدود صحراء الأزواد، وأنه استطاع رسم خريطة توضح حدود توات وقبائل الطوارق، وتحديد الطرق والمسالك الصحراوية من إن صالح إلى غات وأغادس من جهة، وإلى فيقيق وتافيلالت على حدود مراكش من جهة أخرى[4].

---

[1] . مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد...، المصدر السابق، ص 3.

[2] . غوردن لانغ، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ...**، المصدر السابق، ص 299.

[3] . نفسه، ص 315.

[4] . غوردن لانغ، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ...**، المصدر السابق، ص ص 340-348.

ويضيف لانغ في رسالة إلى النقيب (ي. سابين) بتاريخ 01 جانفي 1826 أنه وبالرغم أن معظم السكان في الصحراء بدو رحل، فقد استنتج أنه كانت لكل قبيلة حدوداً معينة[1]؛ لعل ذلك ما جعل منطقة توات مثلاً من بين القضايا الكبرى التي شغلت الأتراك والمخزن المغربي والحكومة الفرنسية في فترات زمنية متعاقبة، حيث تعددت المحاولات والعلاقات لاستقطابها، وكثرت في شأنها المراسلات من حين لآخر خاصةً بين 1800 و1902م، والتي كان أغلبها ذو طابع خاص يهتم بمحاولات التدخل الفرنسي في المنطقة تارةً، وبين رد الفعل المخزني تارةً أخرى، إلى أن ظهرت توات كمشكل دبلوماسي واستعماري بين المغرب وفرنسا.

2-1- توات والأتراك

يذكر الباحث المغربي محمد أعفيف أن الفرنسي (مارتن أ.ج.ب) عثر على مجموعة من الرسائل تلقتها قصور توات في فترات تاريخية مختلفة ومن جهات متعددة، كالزاوية الوزانية وأتراك الجزائر وأتراك طرابلس[2]، ومن خلال تلك الرسائل تواترت زيارات استطلاعية للأتراك لمنطقة توات منها زيارة بدعوة من أهلها سنة 987هـ/1579م[3]، وجولة أخرى سنة 990هـ/1582م قادها ابن باي طرابلس -جعفر باشا- مرفوقاً بعشرة من العلماء المالكيين، واصطحبهم بعض علماء توات إلى غاية قصر بدريان في جهة قورارة، وفي عام 992هـ/1584م زار توات الشيخ العبلاوي بن الطيب قادماً من أرض فزان[4].

ولما وجه السعديين بقيادة أحمد المنصور الذهبي حملة ضخمة نحو توات سنة 986هـ/1578م، وخلفوا فيها أكثر من 1300 قتيل وأسرى وسبايا ما دفع بسكان المنطقة للاستنجاد بالحاكم العثماني البايلرباي حسن فينزبانو، الذي أرسل بعد سنة حملة استطلاعية للمساعدة[5]؛ ونقلاً عن رشيد بليل في كتابه (واحات قورارة) أنه في سنة 1578م نظمت قبائل تافيلالت هجوماً لتخريب توات، فاتحدت الواحات وطلبت تدخل داي الجزائر، واستجاب هذا

---

[1] . نفسه، ص 351.

[2] . محمد أعفيف، **توات مساهمة...**، المرجع السابق، ص 18.

[3] . أحمد بوسعيد، **الحياة الثقافية والاجتماعية...**، المرجع السابق، ص 29.

[4] . ومما ورد عن سبب مجيء هذه البعثات التركية من ليبيا، أن منطقة توات حينها كانت تتبع طرابلس، وأن اليهود المتضررين من حرب المغيلي اشتكوا للباشا في طرابلس، هذا الأخير قدم بعساكر كثر ووفود علماء، للمزيد ينظر: مؤرخ تواتي مجهول، ذكر ما وجد من تاريخ الأخبار التواتية، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، **الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات**، ج1، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر 2023، ص ص 495-501.

[5] . مقدم أم الخير، **الحرف والمهن بحواضر توات خلال القرن 13هـ/19م**، إش: عبد الله خي، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، جامعة أدرار موسم 2023/2022، ص 67.

الأخير فأرسل رسائل تهديد للمهاجمين ومبعوثين إلى توات[1]، بل وحتى في سنة 1584م/992هـ لما تجدد زحف السعديين نحو الجنوب، وبالضبط على فيقيق (والقاف G) التي استولوا عليها بالقوة بعدما كانت تابعة للجزائر، كانت سلطات الأيالة قد أعربت عن غضبها، وتدخل الباب العالي لصالح الجزائريين[2].

ونقلاً عن محاضرة بعنوان (أضواء على منطقة توات خلال القرن 16م) للأستاذ المالي عمر بن شروف، يقول المؤرخ التواتي محمد باي بلعالم أن توات في مطلع القرن 16م كانت قد مالت نحو الشرق أكثر، أي: نحو الجزائر وتونس[3]. وقد ذكر ذلك أيضاً صاحب مخطوط (درة الأقلام)، بل وذكر أن توات وصل إليها حتى الحفصيين في أواخر حكمهم، والسعديين في أوج قوتهم، فقال "جاء المعتمد سلطان تونس لتوات سنة 833هـ، وفي سنة 954هـ جاء مولاي الناصر وانكسر في كبرتن"[4]؛ وهذه التجاذبات تدل على أن توات كانت منطقة حرة ذاتياً رغم أطماع دول الجوار فيها، لكن اللافت للانتباه أنها في حالة تعرضها للخطر ذكر المؤرخون عدة حالات عن تطلع التواتيين للجزائر العثمانية واستنجادهم بها كذا مرة عن رغبة واختيار، ثم سريعاً ما يعودون للتحرر من أي تبعية.

ففي عهد صالح باي بقسنطينة تأخر بعض سكان توات عن دفع الضريبة، ومالوا للاستقلال الذاتي عن أي ارتباط خارجي، فقام صالح باي بغزو المنطقة سنة 1788م، وعلى ذلك الأساس أطلق اسم الباي على مدينة عين صالح، وبعد سقوط شمال الجزائر بيد الفرنسيين، كانت إمارة بني جلاب بتوقرت سنة 1850م قد وصل امتدادها حتى توات من جهة تيديكلت[5]. وتتكلم كتابات فرنسية عن هذا الارتباط بالأتراك، بأن أهل توات رأوا أن يطلبوا حماية فرنسا وأن يدفعوا لها الضريبة كما كانوا يفعلون مع الدايات، وذكروا أن بعثة من عين صالح سنة 1857 وصلت إلى الجزائر العاصمة لذلك الغرض على منوال ما فعله بنو ميزاب[6].

---

[1]. Rachid Bellil, **Les Oasis du Gourara**, Editions Peeters, Paris 1999, p.124.

[2] . قادة دين، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، ***مجلة عصور الجديدة***، مج7، ع27، أكتوبر 2017، ص 211.

[3] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج2، المرجع السابق، ص 47.

[4] . محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام...، المصدر السابق، ص 52.

[5] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج2، المرجع السابق، ص 41.

[6]. Elisée Recluse, **Nouvelle Géographie Universelle la Terre et les Hommes**, Librairie Hachette et Cie, Paris 1886, p.849.

2-2- وأما عن محاولات المخزن

البداية كما سلف ذكره كانت من السعديين منذ منتصف القرن 16م، حيث حاولوا غزو توات عدة مرات، ففشلوا في موقعة كبرتن سنة 1552م، وفي محاولة أخرى سنة 1557م حيث ردت عليهم كوكبة من جنود الأتراك، ثم في سنة 1578م كان أول انتصار بعد أن ارتكبوا مجازر رهيبة راح ضحيتها أكثر من 1300 قتيل، وتوالت حملاتهم حتى إخضاع توات سنة 1584م على يد أحمد المنصور الذهبي، رغم أن قورارة انتفضت مجدداً ضدهم مما استدعى منهم حملة جديدة ضخمة سنة 1589م، وبدأ بعدها حكمهم يتلاشى شيئاً فشيئاً[1]؛ مما جعل الدولة العلوية تنحى منحى السعديين وتسيّر حملة أخرى إلى توات سنة 1055هـ/1645م، نزل خلالها المولى امحمد بن الشريف في تمنطيط، وقام ببعض التنظيمات والإجراءات ثم القائد أحمد بن عبو ثم ضُمت توات إلى سجلماسة، وتجددت زيارات ممثلي العلويين من أجل الاستفادة من خيرات وضرائب توات سنة 1652 و1671م[2].

وقد اندلعت عدة ثورات عارمة في توات تمرداً على العلويين أيضاً، مثل الاحتجاج على الضرائب المجحفة والمعاملة السيئة من القياد، مما دفع بأهل تيميمون الثورة على القائد عبد العزيز سنة 1690، وتم الرد عليهم بقوة بتخريب بساتينهم ومحاصرة قصورهم، ومثل انتفاضة أولاد محمد في دلدول سنة 1711م ضد محمد الصفار عامل المخزن في المنطقة، وكان الرد أن حوصروا في إحدى قصبات أوقروت وجُوِّعوا فيها[3]، وثورة 1140هـ/1728م التي تزعمها الشيخ عمر بن محمد التمنطيطي وانتهت بطرد القائد المخزني حمدون، ثم تمكن المخزن بعد ذلك من إخماد الثورة[4].

ولم تتوقف انتفاضات أهل توات ورغبتهم في الانعتاق والتخلص من أي تبعية أو خضوع، حيث شهدت المنطقة ثورات الخنافسة والمحارزة وأولاد محمد أواخر القرن 18م، مما جعل المخزن يصف أهل توات قاطبةً بالمُصِرِّين على تغذية الفوضى والخارجين عن السلطة، ويدعوهم للطاعة أو الضرب بقوة ضدهم في رسالة لأحد خدامه وقضاته سنة 1211هـ/1797م[5].

---

[1] . محمد باي بلعالم، **الرحلة العلية**، ج2، المرجع السابق، ص ص 48-54.

[2] . مقدم أم الخير، **الحرف والمهن بحواضر توات...**، المرجع السابق، ص 68.

[3] . A.G.P Martin, **Quatres Siécles…**, op.cit, pp. 68-79.

[4] . أحمد بوسعيد، **الحياة الثقافية والاجتماعية...**، المرجع السابق، ص 35.

[5] . A.G.P Martin, **Quatres Siécles…**, op.cit, p.110.

واستمر ذلك التجاذب ردحاً من الزمن بين التمرد والاستقلالية تارةً، وبين الغلبة للمخزن بمنطق القوة تارةً أخرى، حتى كان العقد الأول من القرن 19م كآخر ما ذكرته المصادر التاريخية، من كونه أرّخ لآخر مراسلة وارتباط بين توات والمخزن؛ خاصةً أن المنطقة بعدما كثرت فيها الاعتداءات وحالة التسيب وبدى واضحاً غياب أي دولة حاكمة ورادعة، يذكر (مارتن أ.ج.ب) من خلال وثيقة مؤرخة بسنة 1805، أن مندوبين من تيمي وتمنطيط وأوقروت ودلدول والمطارفة وتيميمون والخنافسة اجتمعوا في زاوية سيدي أحمد بن عثمان بتيميمون، وقرروا تنظيم قوة شرطية لتأمين المنطقة والدفاع عنها[1].

ولعل رؤية أحمد مزيان في كتابه (المجتمع والسلطة المخزنية) من خلال تتبعه لمراسلات المخزن المركزي بعد منتصف القرن 19م مع ولاته ورعاياه في الجنوب المغربي ومع الفرنسيين، أن معرفة المخزن بالمجال الجنوبي كانت ضعيفة ومشوشة[2]؛ تدل على أن توات لم تكن تخضع للمخزن حينها؛ بل ويذكر أن السلطان "مولاي الحسن" سأل عن منطقة تندرارة وحميان هل هي تابعة للمغرب أم لا؟؟ فأجاب قائد وجدة بوشتي البغدادي بأن تندرارة وجبل فالط وحميان شافع من حساب الصحراء، وأن الصحراء لا حدادة فيها بين الجانبين[3].

وعلى ضوء ما سبق، نقول أنه لا غرابة من أن يجهل سلطان المخزن حدود وانتماء المناطق إلى مملكته، وهذا في حد ذاته دليل قاطع على غياب سلطته على تلك الواحات والقصور الواقعة جنوب "تندرارة"، بل حتى أنه وفي سنة 1830م أكد سلفه مولاي عبد الرحمن استقلال واحات توات وقورارة، وإعفائها من الضرائب في رسالة وجهها إلى سكان المنطقة[4]، مما يعني التخلي الرسمي عن الإخضاع بالقوة والذي تميز به المخزن سابقاً، والذي لطالما رد عليه سكان المنطقة بالمقاومة والتمرد من حين لآخر.

ثم حاول المخزن استقطاب توات في أواخر عهد المولى الحسن بإرساله عدة رسائل تجاوزت 80 رسالة، وبعثات لشخصيات مخزنية إلى قصور وقبائل توات لكسب تأييدهم وإعلامهم بأن السلطان مهتماً ومتابعاً لأخبارهم ولخطورة الفرنسيين ضدهم، وما إلى ذلك من محاولات

---

[1] . Ibid, pp.120-121.

[2] . أحمد مزيان، **المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1912-1845)**، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب 2007، ص 248.

[3] . أحمد مزيان، **المجتمع والسلطة المخزنية...**، المرجع السابق: ص 252.

[4] . إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي...**، المرجع السابق، ص 27.

استباقية للمخزن على حساب فرنسا. ومن تلك البعثات: بعثة القائد الدليمي في 1889، وبعثة محمد الرشيدي في 1890 و1891، وبعثة العربي المنيعي (نسبة لقبيلة دوي منيع) في 1891[1].

وعن تسيير أحوال وإدارة المنطقة، فقد كان أهل توات يعتمدون على نظام الجماعة –سبق وتطرقنا إليه في الأوضاع الاجتماعية- وإن كانت صلاحياته محدودة، فالمنطقة على العموم كانت متحررة تماماً، حتى ولو كان السكان أحياناً يدعون تبعيتهم لسلطان المغرب، فإنها في الواقع كانت وهمية فرضها التخوف من الاحتلال الفرنسي لا غير[2]؛ لكن المخزن استغل حاجة أهل المنطقة له من باب أنها الدولة المسلمة الوحيدة المتبقية بجوارهم، استنجاداً وتحالفاً ضد أي غزو فرنسي محتمل، فأعلن عن تنظيم إداري سنة 1892 منح بموجبه منطقة توات صفة مقاطعة، ونصب من خلاله مجموعة من القياد والقضاة بهدف التنظيم الإداري وجباية الضرائب[3].

وعلى العموم، ما يمكن استنتاجه أنه في القرن 16م حاولت توات تأسيس قوة مركزية تهيمن على الواحات، ثم خضعت سنة 1584م بعد حملة أحمد المنصور، ومن 1584 إلى 1800 كان للمخزن نفوذاً متقطعاً على منطقة توات تداخل فيه الشأن مع الأتراك، أما ما بعد 1800 وإلى غاية 1880 فقد كانت واحات توات غير خاضعة للمخزن، ومن 1880 إلى 1900 برز الصراع والاستقطاب بين المخزن وفرنسا[4]؛ وهذه شهادات وكتابات عن باحثين مغاربة من دولة المخزن نفسه.

2-3- وأما عن المحاولات الفرنسية

ليس من باب الصدفة أو المعرفة التي صاحبت حملات الاستطلاع والاستكشاف الفرنسية، أن تكون محاولات وصول المد الفرنسي إلى توات مرتبطة باحتلال شمال الجزائر، فقد أشار باحثون ورحالة فرنسيين أنه قبل 1830 كان سكان منطقة توات يدفعون الضرائب لداي الجزائر، وعلى ذلك الأساس كانت رغبتهم في التوسع الاستعماري واحتلال كامل القطر الجزائري، فكان الفرنسيون يقولون أنه "ستحل سلطتنا محل سلطة الدايات السابقة"[5].

---

[1] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص ص 104-107.

[2] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, p. 85.

[3] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص ص 117، 118.

[4] . محمد أعفيف، "واحات توات في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م"، ***مجلة دار النيابة***، العدد 5، طنجة 1985، ص ص 67-69.

[5] . Mémoires de la Société Bourguignonne Géographie et d'Histoire, Tome 12, Imprimerie Darantiere, Dijon 1896, p.91.

أما معاهدة لالة مغنية[1] سنة 1845 فقد عبرت بوضوح عن تطلعات فرنسا نحو أقصى الجنوب، حيث ورد في شرطها الرابع: أن أهل الصحراء لا حد فيه بين الجانبين لكونها لا تحرث، وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتنتفع بخصبها ومائها، ولكلا السلطانين التصرف في رعيته بما شاء وكيف شاء...، والشرط الخامس الذي حدد آخر القصور بين المغرب والجزائر قبل التوغل في مناطق الصحراء، حيث ورد فيه: "... أما قصور فيجيج وقصر بيش فلعمالة المغرب، وأما عين الصفراء وسفيسفة وعلة وتيوت وشلالة والأبيض وبوسمغون فللعمالة الشرقية"، والشرط السادس الذي أبرز: "أن الأرض التي هي قبلة قصور الفريقتين في الصحراء لا ماء فيها، فلا تحتاج للتحديد لكونها أرض فلاة"[2].

إذن، نستنتج أن الحدود من خلال هذه المعاهدة امتدت من الشمال من ملتقى وادي عجرود مع البحر، إلى ثنية الساسي جنوباً على مسافة حوالي 100 كلم نحو الصحراء؛ مما كان يعني تعمد فرنسا عدم تحديد ارتباط الواحات الصحراوية ما بعد فيقيق بأي دولة أخرى لحاجة في نفسها، بل حتى أن وزير خارجية فرنسا سنة 1901 (ديلكاسي Delcassé) قالها صراحةً "لدينا كل الامتيازات للتوغل في أقصى الجنوب، فاتفاقية 1845 قد خلفت ظروفاً جد ملائمة"[3]، أما توقيع المخزن على معاهدة 1845 فإما كان عن جهلٍ، أو عن قصدٍ لظنه أن فرنسا تجهل وجود تلك المناطق، أو لمعرفة منه أن تلك المناطق كانت لا تخضع لأيٍ كان، وأن علاقته بها والتي كانت قائمة على القوة والجباية، انتهت منذ فترة طويلة.

ويرى الباحث المغربي أحمد العماري أن مشروع احتلال فرنسا لمنطقة توات بدأ منذ سنة 1848 حينما قررت إقامة امبراطورية لها انطلاقاً من مراكزها التجارية في السنغال، وأن الشركات التجارية الفرنسية مثل شركة النورماندي وشركة السنغال أخذت في نفس السنة تنشط عبر الخط الرابط بين النيجر وتوات، على أساس أن خطط فرنسا كانت تتجه للربط بين تمبكتو

---

[1] . **معاهدة لالة مغنية :** جاءت بعد انهزام المغرب أمام فرنسا في معركة إيسلي وخضوعه لمعاهدة طنجة 1844، فكانت هذه المعاهدة مكملة لسابقاتها وتم توقيعها في 1845/03/18، تطرقت لترسيم الحدود بين المغرب والجزائر المستعمرة فرنسياً، وامتد التحديد من البحر إلى فيقيق جنوباً وما بعد ذلك اعتبر مشاعاً ليس ملكاً لأحد. ينظر: طهيري عبد الكريم، توات في مشروع...، المرجع السابق، ص ص 508، 509.

[2] . عبد الرحمن ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تح: علي عمر، ج5، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 2008، ص ص 197، 198.

[3] . محمد مزيان، "جذور النزاع الحدودي بين المغرب والجزائر"، ***مجلة كان التاريخية***، ع22، ديسمبر 2013، ص ص 39-55.

وتوات، وبذلك ظهر مشروع احتلال توات، وبدأ تجسيد المشروع بعد مؤتمر برلين 1885/1884 وسقوط باماكو في 1883 ثم احتلال تمبكتو في 1894[1].

وخلال هذه الفترة بالذات كثف الفرنسيون من بعثاتهم وحملاتهم لاستكشاف المنطقة، واستعانوا كذلك برحالة غير فرنسيين ووظفوهم في مشروعهم، وخصصوا جوائزاً وأموالاً ومجلات ومؤسسات للدفع باستكشاف واستقطاب منطقة توات، والتغلغل إليها سلمياً وتجارياً وعلمياً، ولولا أن يضيق بنا المقام هنا لتطرقنا لكل تلك الرحلات (سنخصص لها مشروع كتاب آخر في سياق الغزو الفرنسي للمنطقة)، ولكن سنوجز محطات تلك الرحلات والبعثات الاستكشافية في هذا الجدول للاستئناس والاستدلال:

جدول يلخص أهم الرحلات الاستكشافية لمنطقة توات خلال القرن 19م[2]

الرحّالة	الجنسية	تاريخها	مسارها	أهميتها ونتائجها
ابن الدين الأغواطي[3]	الجزائر	خلال 1825-1829	الأغواط، متليلي، وادي ميزاب، ورقلة، المنيعة، توات	-قدمت معلومات اجتماعية واقتصادية وجغرافية ولغوية. -نشرتها مجلة (Nouvelles Annales De Voyages) في 1832، وترجمها (دافيزاك D'avezac) إلى الفرنسية وعرضها في 1833م على الجمعية الجغرافية الفرنسية.

[1] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص ص 70، 71.

[2] . عبد الكريم طهيري، **منطقة توات وإسهاماتها في المقاومة الشعبية بالجزائر 1883-1903**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بن شرقي حليلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشلف، موسم 2025/2024، ص ص 419-421.

[3] . **ابن الدين الأغواطي:** رحالة جزائري من مدينة الأغواط، وُلد في النصف الثاني من القرن 18م، وعاش خلال النصف الأول من القرن 19م، ترجم رحلته وحققها أبو القاسم سعد الله من الإنجليزية نقلاً عن القنصل الأمريكي بالجزائر (ويليام هودسون) الذي يبدو أنه تعرف على ابن الدين الأغواطي ما بين 1825-1829، ولأنه كان مستشرقاً مهتماً باللغتين العربية والبربرية فقد ترجمها إلى الإنجليزية بمساعدة أحد الطلبة الزواوة، ورغم ذلك فقد رفض الأغواطي أن يسلمه منها إلا حوالي 14 صفحة مقابل ثمن مادي. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص ص 119، 120.

غوردن لانغ	انجلترا	1825-1826	طرابلس، غدامس، عين صالح، أقبلي، تمبكتو، أروان	-اخترق مسلك توات-تمبكتو، عبر الشرق -زوّد المهتمين وعلى رأسهم الفرنسيين بمعلومات هامة عن المنطقة وطبائع سكانها، ومعلومات جغرافية وفلكية حول موقعها ومسالكها. -وكان أول أوروبي وصل إلى توات خلال القرن 19م
رينى كايي [1]	فرنسا	1827-1828	طنجة، الرباط، فاس، تافيلالت، توات، تمبكتو	-قدم خلالها معلومات وخبايا اجتماعية وثقافية وجغرافية وحتى عسكرية عن توات. -دفعت أخبارها بريطانيا الدخول في سباق محموم مع فرنسا من أجل الصحراء الإفريقية.
أوغين دوماس [2]	سويسرا	1843-1845	الجزائر، عين صالح، توات، أوقروت، تيزكوك، تيمعون	-قدم دراسة جغرافية واجتماعية ميدانية عن المجتمع الصحراوي. -كتب عن العرب والزناتة والطوارق ويهود المنطقة. -أعطى لمحة عن أسوار ودفاعات المنطقة. - تُوجت كتاباته باحتلال مدينة الأغواط سنة 1852 وتوقرت سنة 1854.

[1] . **ريني كايي:** رحالة فرنسي وُلد سنة 1799م، بدأ مغامراته في سن 17 سنة، وألّف كتابين هامين أحدهما بعنوان (رحلة المسلم الكاذب إلى إفريقيا) في حوالي 180 صفحة، وكانت بدايات رحلاته من السنغال سنة 1816، ثم بعد إعلان الجمعية الجغرافية بباريس عن حوافزها سنة 1824، انطلق مجدداً سنة 1825 ثم حاول سنة 1827 الوصول إلى تمبكتو من طنجة ثم الرباط وفاس ثم تافيلالت ثم توات وأخيراً تمبكتو التي بقي فيها 14 يوماً، واستغرقت رحلته هذه 18 شهراً و2500 ميل ذهاباً وإياباً من السنغال إلى تمبكتو ثم عبر مراكش خلال 1827-1828م، كافأته الجمعية الجغرافية الفرنسية بالمنحة المالية التي وعدت بها قبل وفاته سنة 1839. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص ص 132، 133

[2] . **أوغين دوماس:** رحالة سويسري وُلد سنة 1803م وتوفي في 1871م، انضم للجيش الفرنسي في سن 19 سنة، ثم إلى الجزائر سنة 1835م ضمن الفرقة الثانية الإفريقية تحت قيادة الماريشال (كلوزيل Clauzel)، هناك تعلم اللغة العربية وأتقنها؛ عُين بعدها قنصلاً لفرنسا لدى دولة الأمير عبد القادر بين 1837-1839، ثم رئيساً للمكاتب العربية سنة 1841، ثم مسؤولاً في وزارة الحربية سنة 1850، ثم مستشاراً ومنتخباً في البرلمان الفرنسي 1852، له عدة كتب عن رحلاته واهتماماته العلمية مثل (الصحراء الجزائرية دراسة تاريخية وجغرافية وإحصاء) في 1845، و(الصحراء الكبرى) في 1848م، خلال فترة عمله في الجزائر قام (دوماس) بعدة رحلات ما بين 1843-1845. طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص ص 126، 127.

لويس كافينياك[1]	فرنسا	1848-1847	تلمسان، عين الصفراء، عسلة، توات	- كان يراسل الغرفة التجارية بتقاريره المفصلة مدوناً ملاحظاته الهامة. -قدم معطيات عن حدود المنطقة وطرقها وتجارتها وقادتها. -نصح بلاده على السير نحو جهة المسالك الشرقية المؤدية إلى توات.
ع القادر بن أبي بكر هيبة الله التواتي[2]	الجزائر	1849	توات، ميزاب، توقرت، ورقلة، بسكرة، قسنطينة، متليلي، المنيعة، تيمیمون، أولف، عين صالح، تنزروفت، تمبكتو	-ترجمها القس Barges Abbé للفرنسية -طُبعت في 21 صفحة سنة 1853م تحت عنوان: (Le Sahara et le Soudan, documents historiques et géographiques) -قدمت صورة عن توات في مواقع الآبار والثروات ومسالك القوافل التجارية
دي كولومب	فرنسا	1857	البيض، قورارة، توات، تيديكلت	-اكتشف قصور المنطقة -اقترح إنشاء مراكز تجارية شمال الصحراء من البيض إلى الأغواط، للتحكم في تجارة القوافل وربط توات بالمناطق التي استعمرتها فرنسا في الشمال.
كولونيو وبورين	فرنسا	1860	البيض، تيميمون، دلدول، أوقروت، تيمي	-الفشل في دخول القصور -تكللت بوضع رسومات وخرائط ورصد بيئي وجيولوجي للمنطقة.
جيرهارد رولفس	ألمانيا	1864	طنجة، تافيلالت، الساورة، بني عباس، قورارة، توات، عين صالح، غدامس	-جمع معلومات ثمينة عن المنطقة -نصح فرنسا بنقل حدودها إلى ما وراء وادي الساورة

[1] . **لويس كافينياك:** رحالة فرنسي ولد في باريس سنة 1802م، ترقى إلى رتبة ملازم أول سنة 1827، وشارك في الحرب على تلمسان مع (كلوزيل) سنة 1835، كلف بحملة نحو الصحراء سنة 1847م بهدف استكشاف الطرق التجارية لتسويق منتجات الغرفة التجارية بالجزائر، ثم أصبح جنرالاً وحاكماً عاماً على الجزائر سنة 1848م، ثم رئيس الهيئة التنفيذية ثم صار معارضاً، وتوفي في فرنسا سنة 1857م. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص 133.

[2] . **الحاج عبد القادر بن هيبة التواتي:** رحالة جزائري، الأرجح أنه ولد مطلع القرن 19م بجهة أولف، بدأ رحلته منذ سنة 1266هـ/1849م، ولما دوّنها سنة 1268هـ/1851م ونظراً لأهميتها ترجمها القس الفرنسي بارجس وطُبعت في 21 صفحة سنة 1853م، وهي رحلة مقابل خدمة للضابط الفرنسي (بواسوني Boissonnet) بأجرة قدرها 500 فرنك. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص ص 120، 121.

بول سولايي	فرنسا	1873	الجزائر العاصمة، الأغواط، متليلي، المنيعة، عين صالح	-تنبيه بلاده لأهمية طرق القوافل التجارية. -منع أهل عين صالح من دخوله لقصورها. -قدم معلومات هامة حول هضبة تادمايت.
مارسيل بالات[1]	فرنسا	1886-1885	باريس، الجزائر العاصمة، تينركوك، سموطة، دلدول، أوقروت	-طُرد في تينركوك وقصور الخنافسة. -التقى بالشيخ بوعمامة في دلدول. -قُتل في طريقه بين أوقروت وعين صالح.
كاميل دولس	فرنسا	1888	طنجة، تافيلالت، الساورة، توات، رقان، أقبلي	-أعطى لمحة عن الوصول إلى منطقة توات عن طريق الصحراء الغربية وجنوب المغرب. -قُتل سنة 1889 في طريقه إلى أولف.
بعثة فلامون[2]	فرنسا	1899	ورقلة، المنيعة، تادمايت، عين صالح	-احتلال منطقة تيديكلت. -البداية الفعلية للغزو الفرنسي.

هذه البعثات والرحلات الاستكشافية، منها ما دعمته وسيّرته الدولة الفرنسية بنفسها، بامكانياتها وتمويلها وتأمينها، ومنها ما استفادت منه بمقابل مادي والترجمة والنشر، وحتى أن بعض الرحالة لم يزوروا توات ولم يمروا عليها لكنهم كتبوا عليها ودرسوها فأفادوا الدول الاستعمارية المتطلعة مثل فرنسا، وكانت توات على غرار باقي جهات الجنوب في الصحراء الجزائرية مسرحاً لهذه الأحداث والأوضاع التي أعطت ملمحاً عن تطلعات وأطماع الفرنسيين في التوسع نحوها.

[1] . **مارسيل بالات:** رحالة فرنسي وُلد سنة 1856، كان مغرماً بالصحراء حتى أنه خطط لربط الجزائر بتمبكتو لكنه قُتل في فيفري سنة 1886م، تخرج من المدرسة العسكرية "سان سير" سنة 1870م، وأصبح ضابطاً في الفرقة العسكرية بوهران، وألّف عدة كتب منها: وردة الحلفاء، زواج بإفريقيا، مذكرات حول القرون العتيقة، يوميات الطريق والمراسلات، وقصة ضابط صبايحي وغيرها...، بدأ رحلته في 1885 ليلقى حتفه قرب حاسي حتو في تادمايت يوم 21 فيفري 1886 على يد رجلين من أولف وأولاد بادحان. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص ص 140، 141.

[2] . **جورج بارثيلمي فلامون:** باحث فرنسي في الجيولوجيا، وُلد سنة 1861 في باريس، كان أستاذاً بالمدرسة العليا للعلوم بالجزائر العاصمة، ثم مدير الدائرة الجغرافية للجنوب الجزائري سنة 1905م، له رحلات وكتابات إلى منطقة توات مثل (ملاحظات رحلة من وهران إلى قورارة) سنة 1898، ومداخلة في ملتقى الدراسات الجزائرية 14 ماي 1900 بعنوان (احتلال عين صالح والنشاط الفرنسي في الصحراء)، وله بحوث أخرى كثيرة حول الرسومات والنقوش وتاريخ الجمل وعصور ما قبل التاريخ في الجنوب الوهراني ومنطقة توات، قام بها كلها في ظل بداية الغزو الفرنسي للمنطقة ما بين 1901-1906 إلى أن توفي سنة 1919م. ينظر: طهيري عبد الكريم، منطقة توات واسهاماتها...، المرجع السابق، ص ص 147، 148.

ولم يكن أهل المنطقة يجهلون الأطماع والمحاولات الفرنسية، بل شعروا بخطورتها قبل حتى أن يدخل المخزن على الخط، فقاد بعض أعيان تيديكلت حملة رد الأطماع الفرنسية بالحيلة والتفاوض المسبق، حيث أنه في سنة 1857 وبعد احتلال فرنسا لمدينة الأغواط أرسل الحاج عبد القادر باجودة مبعوثين إلى الجزائر العاصمة، ليتفاوضوا مع الحاكم العام سعياً للحصول على اتفاق مشابهاً لاتفاق ميزاب سنة 1853 بهدف منع الفرنسيين من احتمال احتلال توات، وكإشارة عن حسن النية تمت حماية الرحالة الألماني جيرهارد رولفس من طرف الشيخ باجودة[1].

وقسّم العماري تاريخ محاولات الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات إلى: ما بين (1890-1848) مرحلة تردد السياسة الفرنسية اتجاه توات نظراً لاعتبارات داخلية ودولية، وما بين (1900-1890) كانت مرحلة تحرك المشروع الفرنسي خاصةً بعد مؤتمر برلين 1885 والاتفاق الفرنسي البريطاني سنة 1890 حول توات ومصر وحوض النيجر[2]، في حين كان التنفيذ بدءاً من أواخر سنة 1899 وإلى غاية 1901م.

3- توات قاعدة خلفية للمقاومة الشعبية

ومن مظاهر البيئة السياسية لمنطقة توات خلال القرن 19م، أنها كانت طيلة تلك التجاذبات السياسية الخارجية قد آوت واحتضنت الكثير من قادة المقاومة الشعبية، بل وكانت مطلباً عزيزاً للفارين واللاجئين من أنحاء كثيرة من المغرب وحتى من المشرق؛ ولعل كونها صارت مرتعاً ومقصداً لكل الفرَار والكرار من المناوئين والمعارضين لفرنسا والمخزن على حد سواء، فقد سُلطت عليها الأضواء وجعلها كلا الطرفين الفرنسي والمخزني هدفاً لاستقطابها وضمها إليه.

فبعد أن وقّعت فرنسا مع المغرب اتفاقية لالة مغنية سنة 1845م ولم يدرجا المناطق الجنوبية لفيـڤـيـڤ في الحدود بينهما، حيث اعتبرت الإتفاقية بقية الصحراء ومنها توات أرضاً قاحلة مشاعة ليست ملكاً لأحد، هذا الأمر بالإضافة للظروف الإقتصادية والثقافية والسياسية السالفة الذكر، كلها ساعدت الكثير من قادة المقاومة الشعبية على اللجوء لمنطقة توات في كرِّهم وفرِّهم.

حيث التجأ إلى جهة توات الشريف محمد بن عبد الله أحد أعوان الأمير عبد القادر السابقين على تلمسان، رغم أن المصادر تشير إلى خروجه عن طاعة الأمير عبد القادر، إلا أنه ثار ضد الفرنسيين بمساعدة سي حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وهي الثورة التي دامت

[1] . Voinot Louis, **Le Tidikelt**, op.cit, p85.

[2] . أحمد العماري، **توات في مشروع...**، المرجع السابق، ص 73.

من 1855م إلى 1857م، وكان لجوءه إلى توات منذ 1853م قام فيها بإعادة تنظيم وبناء قواته إلى غاية نهاية سنة 1859م[1].

وكذلك لجوء أحمد بن التومي بن إبراهيم المدعو بوشوشة بعد فراره من سجن بوخنيفس سنة 1863م، والذي اتجه إلى فيـڤـيـڤ بعيداً عن الفرنسيين التي لم يلبث فيها طويلاً، بل دخل إلى نواحي توات وأخذ يكون الأتباع من الشعانبة وغيرهم، وكان نشاط بوشوشة أنذاك يتمثل في مهاجمة القوافل والقبائل التي تتعامل مع الفرنسيين[2]، ثم بعدما اتسع نطاق نشاطه طاردته فرنسا في معارك ضارية بتوقرت سنة 1872م، فاضطر إلى التراجع نحو وسط الصحراء، حيث اقتصر نشاطه على توات بقصورها المختلفة كتيديكلت وتيميمون وموديدير وشروين وطلمين وأوڤروت ودلدول وتاغوزي، وقاد منها حرب عصابات ضد الوجود الفرنسي على مشارف وحدود إقليم توات حيث كانت القوات الفرنسية ترابط هناك في المنيعة، التي ألقي عليه القبض فيها ذات كر وفر في سنة 1874م[3].

وكذلك قيادات ثورة أولاد سيدي الشيخ، الذين ورغم استشهاد الكثير منهم ما بين 1864-1868، إلا أن شعلة الثورة استمرت متقدة منذ سنة 1870 بفضل سي قدور بن حمزة في القسم الممتد من زوزفانة ووادي الناموس، وهي المناطق التي كان يتواصل عبرها مع أهل توات الذين كانوا يزودونه بمختلف المساعدات[4]، ثم حتى لما ضاق الخناق بسي قدور تراجع تكتيكياً سنة 1872 إلى المنيعة وقورارة عند حلفاءه في قبيلة الخنافسة، وأخذ ينظم صفوفه بالتواصل مع هذه القبيلة التي كانت في طليعة المشاركين في ثورة أولاد سيدي الشيخ من بدايتها إلى نهايتها[5]، مما جعل الفرنسيين يستهدفون المنيعة سنة 1873 ويقيمون فيها الأبراج لمراقبة تحركات المنطقة، كما وجهوا حملة (فلاترز) في اتجاه عين صالح سنتي 1879 و1881، والتي أُبيدت عن آخرها بكمينٍ قيل أنه دُبر بين الطوارق وأولاد سيدي الشيخ والحاج عبد القادر باجودة ممثلاً عن توات[6].

---

[1] . محفوظ رموم، "الإحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية"، ***مجلة الحوار الفكري***، جامعة أدرار الجزائر، العدد 11، بتاريخ 2016/06/30، ص 57.

[2] . أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار البصائر، الجزائر 2007، ص 278.

[3] . محفوظ رموم، الاحتلال الفرنسي لأقصى...، المرجع السابق، ص 58.

[4] . ينظر للملحق رقم 09.

[5] . البوعبدلي المهدي، **تاريخ المدن**، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 388.

[6] . مولاي التهامي غيتاوي، **لفت الأنظار...**، المرجع السابق، ص ص 75، 76.

وفي سياق الحديث عن تحركات أولاد سيدي الشيخ في جهات توات قاطبة، تجدر الإشارة إلى أن سي قدور بن حمزة بدأ تردده على جهة قورارة منذ معركة عين ماضي سنة 1869، حتى أنه أسس فيها حصن عسكري وهو ما تتسمى باسمه حالياً بلدية "قصر قدور"، وحذا حذوه الكثير من أولاد سيدي الشيخ حتى تملكوا بالمنطقة العقارات والضياع، ولا تزال تيركوك وقصر الحاج قلمان وجهة أوقروت مستقراً لأحفادهم إلى يوم الناس هذا، ونقلاً عن رواية شفوية أوردها صاحب زاوية سموطة الشيخ امحمدي عن المقدم الشيخ سيدي محمد الميلود بن موسى موساوي (2008-1911): أن الولي الصالح سيدي عبد الحي بن موسى من البكريين في قصر أمراد بقورارة، كان دائماً ما يشارك هو وابنه عبد الجبار في معارك أولاد سيدي الشيخ أبناء عمومته، وكانا يكتمان ذلك عن الأهل حتى عاد ذات مرة سي عبد الجبار مثخناً بالجراح، فلما سأله الناس قال لهم "كنت أتقاتل مع الجن"، وكان ذلك منذ سنة 1872 تحت قيادة سي قدور بن حمزة[1].

ثم لجوء الشيخ بوعمامة: حيث بعدما عرفت مقاومة الشيخ بوعمامة في مرحلتها الثانية فتوراً عسكرياً ملحوظاً، بعد استقراره في مسقط رأسه الحمام الفوقاني بفيقيق التي وصلها في جويلية 1883، ليتمكن من تنظيم صفوفه للمستقبل، تخوفت السلطات الاستعمارية من تحركاته الكثيفة فسارعت في إرسال برقية موقعة من طرف الجنرال سوسيي قائد الفيلق 19 إلى حكومة باريس يدعوها إلى الضغط على السلطان المغربي لطرد الشيخ بوعمامة من الأراضي المغربية لأنه يشكل خطراً على المصالح الفرنسية في المنطقة، هذا التحرك دفع الشيخ بوعمامة إلى مغادرة المنطقة، ولجوءه إلى منطقة ڤورارة واحتمى بسكان واحة دلدول فيها مع نهاية عام 1883م واستقر هناك إلى غاية عام 1894م، حيث أسس زاوية له وشرع في تنظيم الدروس الدينية لمواصلة الجهاد ووقف زحف التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي، وقام بمراسلة مختلف شيوخ القبائل الصحراوية لإعلان الجهاد ضد الكفار ومقاومتهم، كما قام بتحركات سياسية تمثلت في مراسلة الحكام الفرنسيين[2].

4- التهافت الفرنسي وموقف أهل توات

ومن أهم العوامل والأوضاع التي أقلقت فرنسا الاستعمارية ولفتت انتباهها في منطقة توات خلال القرن 19م، ما تعرض له الرحالة والبعثات الاستكشافية حين مرورهم أو زيارتهم

[1] . محمد بن محمد السالم امحمدي، **دور رجال زوايا قورارة في المقاومة والنضال ضد الاحتلال الفرنسي**، الملتقى الرابع للثورة التحريرية بقورارة، طبع زاوية الشيخ سيدي احمد بن عبد الله البوبكري بسموطة، تيميمون الجزائر 2021، ص ص 48-52.

[2] . إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء...، المرجع السابق، ص 305.

لقصور توات، فرغم أنه من المعلوم أن أهل توات كانوا معروفين بحبهم للغرباء وحسن الضيافة والكرم في أخلاقهم، إلا أنهم لما اكتشفوا حقيقة الأوروبيين الذين كانوا يستهدفون التغلغل في الداخل الإفريقي، وأن معظم الرحالة والمغامرون الذين كانوا يتجولون في الصحراء وأدغال إفريقيا، كانوا مجرد وسائل وأعوان للحركة الاستعمارية الأوروبية، فسرعان ما نبذوهم وأبانوا لهم عن موقفهم الرافض لزياراتهم ولو مروراً بهم، إلى درجة أننا رأينا كيف أن بعض الرحالة اضطروا للتنكر بملابس وشخصيات ووظائف كاذبة تمويهاً لجنسياتهم الحقيقية.

وفي هذا السياق لا بأس بالتذكير بتلك المواقف المحلية ضد البعثات والرحلات الاستكشافية[1]؛ ففي أواخر نوفمبر 1860م كان الرائد (كولونيو colonieu) والملازم (بورين borin) قد استغلا رحلة قافلة تجارية موسمية متعودة على التجارة في التمور والحبوب والأغنام، ما بين منطقة سعيدة والبيض وقورارة وتوات، واصطحبا في ذلك بعض العساكر، ولما وصلت الحملة سنة 1861 لإقليم قورارة وبالضبط إلى قصور دلدول، رفض ساكنة قصر بلغازي استقبالهم. وقوبلوا بالرفض في قصر تيبرغمين أيضاً فأُغلقت في وجوههم القصبات، ولم يسمح سكان المنطقة بإستقبال القافلة التجارية إلا إذا ابتعد الفرنسيون وهذا ما حدث فعلاً، ورغم أنهم كرروا المحاولة نحو منطقة تيمي بتوات عبر طريق آخر، إلا أنهم رُفضوا أينما حلوا وعادوا بخفي حنين إلى مدينة البيض جريفيل، ولم تكتمل رحلتهم.

أما الرحَالة الفرنسي بول سوليي (Paul Soleillet) والذي نبّه سلطات بلاده إلى أهمية المسالك التجارية للقوافل، وربطها بمستقبل فرنسا في إفريقيا، وأوضح أنها كانت قائمة منذ العصور الوسطى تربط الشمال بدواخل إفريقيا، وأشار بالضبط إلى طريق البيض-تيميمون التي اكتشفها الرائد (كولونيو)، كان في 06 ديسمبر 1872 قد غادر مرسيليا نحو الجزائر العاصمة ثم إلى عين صالح، حيث وصل إلى متليلي بتاريخ 14 فيفري 1873، ومن ثمه قصد المنيعة إلى عين صالح، وانطلق في بعثة تتكون من 26 شخص و10 جمال و3 خيول، لكنه لما وصل إلى عين صالح في 06 مارس 1873 قوبل بغلق أبواب القصبة في وجهه واضطر للرجوع.

وفي سنة 1885 كان الملازم الأول (مارسيل بالات Marcel Palat) في باريس يحلم بجولة استكشافية نحو تمبكتو مروراً بقصور قورارة وتيديكلت، فزار دلدول وأوقروت حيث كانت

[1] . هذا المختصر عن مصير بعض الرحالة مجتزأ من مداخلتي: طهيري عبد الكريم، **أعلام وقصور قورارة السباقة في مقاومة الاحتلال الفرنسي**، مداخلة في الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وتراث منطقة قورارة الموسوم (منطقة قورارة ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، من لجوء الشيخ بوعمامة إلى معارك العرق الغربي الكبير)، جامعة أحمد درايعية بأدرار وبلدية دلدول بتيميمون، يومي 19 و20 مارس 2023.

زمالة بوعمامة هناك منذ أواخر 1883 م، حيث وصل لمنطقة قورارة عن طريق تعنطاس في تينزكوك 12 ديسمبر 1885 م، وحينما اكتُشف أمره طرده الناس فواصل مسيره نحو سموطة ثم وصل دلدول أين التقى بالشيخ بوعمامة، ورغم أنه تنكر في الزي المحلي لكن اكتُشف أمره وهو في طريق تادمايت إلى عين صالح، فقُتل قرب حاسي الشيخ الاتو في ربيع 1886 م.

وأما الرحَالة الشاب كاميل دولس (Camille Douls) الذي حاول إتمام ما قام به بالات، فقد غيّر خط سيره فانطلق في سنة 1888 م من طنجة إلى تافيلالت ثم الساورة متنكراً في زي عربي، أين شك فيه الناس واكتشفوا أمره أيضاً (حوتية محمد، 2007، صفحة 436)، وكان هذا الأخير قد ادّعى أنه مسلم يريد أداء فريضة الحج، وبالرغم من أنه نجح في اجتياز توات ورقان، لكن وهو في طريقه نحو أولف وقبل وصوله إلى أقبلي تم قتله، قيل أنه أُعدم من طرف الطوارق أو عرب الدغامشة سنة 1889م.

وأما بعثة (فلاترز Flatters) فقد أُبيدت عن آخرها قرب عين صالح 1881م، حيث كانت مهمتها مسح طريق الصحراء لمد السكة الحديدية، وهي بعثة ضخمة ضمت فلاترز ومعه 9 من العلماء و12 جندي فرنسي و16 جندي أهلي و68 من المهاريست و250 جملاً و15 حصاناً. كما قُتل سنة 1876 ثلاثة من الآباء البيض (مينوري، وبوليي، وبوشارد) في حاسي (إينيفل)[1].

هذه التصرفات والأحداث ضد الرحالة الأوروبيين سواءً كانت فردية أو رسمية كانت محسوبة على منطقة توات، وكانت مزعجةً للفرنسيين على وجه الخصوص، إلى درجة أنها جعلت منها شماعة علقت عليها مبررات أطماعها وطموحاتها التوسعية، وربما يعتبر بعض المحللين حادثة مقتل (مارسيل بالات) سنة 1886 أكبر حدث مزعجاً ومقلقاً للفرنسيين، تلك الحادثة التي اتُهم فيها أولاد باحمو من تيديكلت بارتكابها، ووُجهت سهامها إلى عائلة باجودة المتحالفة مع السنوسيين أعداء فرنسا، ورغم أن الحاج عبد القادر باجودة عاقب مرتكبيها وأرسل أغراض الفرنسي المقتول إلى حاكم عين الصفراء عبر الشيخ بوعمامة، وهي محاولة لإبعاد تحركات فرنسا نحو المنطقة بالادعاء بذلك السبب أو غيره، إلا أن تلك الوقائع ما فتأت تكررت.

لعل تلك الأحداث هي ما جعلت الفرنسيين يصطحبون بعثاتهم ومستكشفيهم بطوابير[2] عسكرية، فقد اصطحبوا بها بعثة (فلاترز) سنة 1880، وبعثة (جندرور Gendror) سنة 1895

---

[1] . Auguste Terrier, **dans Les Oasis du Touat, Journal des Voyages et des Aventures de Terre et de Mer**, N° 284, Éditeur: Librairie illustrée et M. Dreyfous, Paris 11/05/1902.

[2] . **الطابور:** الجماعة من الجند أقل من ألف شخص، وجمعها طوابير، وقد أوردها المعجم الرائد بحرف التاء وترادفها في اللغة العربية كلمة "الصف"، كما أن لها معنىً آخر يُقصد به الجواسيس والأعوان من البلد الذين يخدمون العدو، وتقابلها أيضاً كلمة الرتل التي تعني صف من الجند متراص أو جماعة من الخيالة يتبع بعضهم بعضاً. ينظر: جبران مسعود، **المعجم الرائد**، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت 1992، ص ص 187، 385.

إلى تبلكوزة وقورارة، وبعثة (جيرمان ولابيرين Laperrine, Germain) سنة 1896 إلى قورارة كذلك، وبعثة (فلامون) سنة 1899 وهي الأضخم والأخطر عسكرياً[1]؛ وهو ما فهمه سكان المنطقة بأنها تحرشات فرنسية متعمدة غرضها استفزازهم بغية إثارة شرارة مباشرة لاحتلال المنطقة.

حيث بدأت كتائب المهاريست التابعة لفرنسا في مدينة المنيعة، بتحرشاتها مطلع سنة 1897، فأحدثت إنذاراً مفاجئاً في المنطقة لما قامت بدوريات أمنية في هضبة تادمايت انطلاقاً من مراكزها العسكرية الجديدة[2]، وفي شهر سبتمبر 1897 وصلت فصيلة أخرى من المهاريست إلى منطقة أوقروت، ولم تتوقف إلا على بعد بضعة أمتار من القصور والواحات، ثم عادت أدراجها وقد تسبب ذلك الإنذار في تجمع الناس بأسلحتهم، وعبّر قائد تيمي حينها عن قلقه في رسالة إلى الدولة الفرنسية، ثم في شهر مارس 1898 قام النقيب (جيرمان Germain) والنقيب (لابيرين Laperrine) بمعية 40 جندي من فرقة الصبايحية، بعملية استطلاعية في هضبة تادمايت واقتربوا من عين صالح، وأرسلوا رسالة لأهلها مفادها: طلب تسهيل مرورهم لشراء بعض الاحتياجات[3].

كان موقف جماعة عين صالح من تلك الزيارة الفرنسية المفاجئة والطلب الغريب غير المرغوب فيه، أن رفضوا كل علاقة مع النصارى، بل ورفعوا شكاية في شهر أبريل إلى قائد تيمي ذكروا فيها أن المسيحيين حاولوا الاستيلاء على عين صالح، وفي نفس الوقت وجهت جماعة عين صالح احتجاج رسمي ضد الفرنسيين المقيمين في برج (ميريبال)، ثم تكررت الاستفزازات الفرنسية في 10 جويلية 1898 حينما أناخت دورية متكونة من 24 مهاريس قرب فقارة قصر المبروك المهجور، فخرج إليهم سكان الحاج قلمان مسلحين بـ 40 بندقية و2 من الفرسان و2 من المهاريس، وانتظروا مغادرة الدورية قبل عودتهم إلى القصر[4].

[1] . مولاي التهامي غيتاوي، **لفت الأنظار...**، المرجع السابق، ص 70.

[2] . A.G.P Martin, **Quatres Siécles…**, op.cit, p.303.

[3] . A.G.P Martin, **Quatres Siécles…**, op.cit, p.311.

[4] . Ibid, pp. 312-313.

خاتمة

هذه الدراسة التاريخية التي تناولناها في إطارها الجغرافي حول قصور وجهات توات (توات الوسطى، قورارة، تيديكلت)، وفي مرحلتها الزمنية الممتدة خلال القرن 19م، تم تسليط الضوء فيها على التعريف بمنطقة توات الكبرى، ثم بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية خلال القرن 19م، مع بعض التوابل والمحاولات الآنثروبولوجية لفهم عقلية وثقافة وحضارة المجتمع التواتي آنذاك؛ وبناءً على ما ذكرنا وأشرنا وقدمنا ودرسنا وحللنا من معلومات تاريخية، توصلنا في نهاية المطاف إلى جملة من الاستنتاجات والملاحظات، نذكر منها:

- وجود اختلافات واجتهادات متعددة حول تسمية توات وتحديد مجالها الجغرافي وضبط أسماء وتعداد قصورها، وأننا استندنا في رأينا في هذا السياق على التسمية العربية للمنطقة بحكم أن أول ما ذُكرت في كتابات العرب وما قبل ذلك لم يوجد لها أثرٌ، ناهيك على أن الكتابات المحلية في مصادرها تكاد تتفق على ذلك، أما المجال الجغرافي فالحقيقة أن توات الأصلية هي تيمي وما جاورها، لكن معظم المصادر المحلية وخاصةً في القرن 19م تجمع توات في جهاتها الثلاث (توات، قورارة، تيديكلت).

- وبخصوص قصور المنطقة فقد ركزنا على القصور التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، بما فيها تلك القصور والقصبات التي لها علاقة بالأحداث التاريخية خلال القرن 19م، ووصلنا في احصائنا لهذه القصور إلى حوالي 339 قرية محلية بعمارتها وواحاتها وعلاقاتها.

- وأن النسيج الاجتماعي للسكان في قصور توات، كان لوحة فسيفساء فريدة من نوعها، تنوعت فيها الأعراق والألوان والمشارب، وتوزعت فيها المهام والطبقات والعلاقات، حتى يخيل إليك أنها كانت من المستحيل أن تتعايش وتنسجم، وهنا تكمن أهميتها الحضارية وثرائها الثقافي والتراثي الذي ساهمت به تلك العناصر البشرية.

- وبخصوص الظروف والأوضاع السائدة في توات خلال القرن 19م، فإننا أشرنا لها باقتضاب وحذرٍ شديد، ذلك لأن المنطقة في تلك الفترة كانت سائبة سياسياً رغم ازدهارها تجارياً وثقافياً، وكانت لها علاقات وطيدة مع الحواضر والدول المحيطة بها وخاصةً مع السودان الغربي وبلاد شنقيط من جهة، والجزائر وتونس وليبيا والمغرب شمالاً من جهة أخرى.

- لكن ما يلفت الانتباه كاستنتاج وملاحظة: أن ذلك التواصل والعلاقات مع التل الجزائري كمجال حيوي وتجاري وقبلي وصوفي وجهادي وتحالفي كان أقوى وأوضح، وفي هذا السياق ضربنا أمثلة عن ذلك حول تفضيل الرحالة والمستكشفين الوصول إلى توات عبر الجزائر، ومدى متانة العلاقات بين توات والتل الجزائري إلى درجة أنها كانت ملجأً لثوار المقاومة الشعبية، وكذلك كان الوصول الفرنسي إليها عبر الامتداد الجزائري.

وكخلاصة لمضمون دراستنا حول توات خلال هذه الحقبة، فإن تلك العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي تميزت بها منطقة توات، منحتها هبة وهيبة جعلتها تتبوأ بها أهمية استراتيجية بالغة، تجاوزت بها حتى أهمية الواجهة الأطلسية لإفريقيا، خاصةً أنها كانت تشكل بيئة حضارية في وسط الصحراء الكبرى، وكانت بذلك تربط بموقعها وحيويتها عدة حواضر وبلدان مجاورة، واستمر ذلك العطاء وتلك المكانة لقرونٍ خلت حتى قبل القرن 19م.

وقد اشتهرت قصور المنطقة بحواضر عامرة ومزدهرة ثقافياً وتجارياً، مثل تمنطيط وبودة ورقان في توات الوسطى، وتيميمون وأولاد سعيد في قورارة، وعين صالح وأولف في تيديكلت، كما تميزت معظم قصور المنطقة بطابع عمراني فريداً من نوعه، كانت هندسته تدل على عبقرية الإنسان هناك خاصة أنها ستتجلى تلك العبقرية في كونها وُضعت للدفاع والمقاومة ضد أي اعتداء وغزو أجنبي، وقد ضربت المنطقة أمثلة في ذلك مع محاولات المخزن فرض سيطرته وسلطته عليها، إلى درجة اختفاء قبائل وقصور عريقة.

وأما عن فسيفساء المجتمع التواتي، وتلك التقسيمات والتصنيفات التي تبدو كأنها تشكل نظام طبقي متناقض، فإنها لم تخضع للعامل الاقتصادي على أساس التمايز في الثروة، بل كان فيها العامل الديني والإثني هو الأساس، ومما يلفت الانتباه أن ذلك التقسيم لم يؤدي إلى التنافر والتصادم داخل المجتمع التواتي، بل بالعكس كان هناك تعاون وتكامل وظيفي يسوده نوعاً من الرضا والتفاهم. كما أن تلك العناصر تهجنت وانصهرت في كثير من الحالات، حيث تجدها تتشابه في الألوان واللهجات رغم حفاظها على سيرورة الأنساب والألقاب، وهذا دليل على أن المنطقة كانت أبعد ما تكون من أي تمييز عنصري لطرفٍ على آخر.

ولعل ذلك التنوع الإثني والعرقي وتعدد الطبقات الوظيفية، بالإضافة إلى أهمية المنطقة جغرافياً وتجارياً واجتماعياً، قد انعكس إيجاباً على المناطق التواتية في تشكل حواضرها وإثراء ثقافاتها وتنويع علاقاتها الخارجية، مما جلب إلى المنطقة عدة هجرات قارة واستكشافية، ولجوء العديد من الزوار والفارين من شمال الجزائر وجنوب المغرب، خاصةً في ظل زحف فرنسا الاستعمارية وسياساتها القمعية، وانكسار الكثير من المقاومات الشعبية.

كما لاحظنا أن تمركز قصور توات حول هضبة تادمايت لها علاقة وطيدة بوجود الماء هناك، خاصة أن حدود المنطقة كانت كلها عبارة عن مصبات للأودية، ولعل هذا ما يفسر وجود نظام "الفقارات" وتدفق مياهها الدائم وبشكل طبيعي وعجيب، وقد شكلت توات بتلك القصور أرخبيل من الواحات الخضراء في صحراء قاسية ومقفرة؛ وأنتجت اقتصاد محلي لا بأس به كماً وتنوعاً، وفرضت به حيوية ودوراً تجارياً لافتاً، جعلها أحياناً سلة لجباية الضرائب عند بعض دول الجوار، وأحياناً أخرى كانت سبباً للإستقطاب والتجاذبات الخارجية، خاصةً في ظل تذبذب أوضاعها السياسية والأمنية من حين لآخر.

تلك التجاذبات والأوضاع السياسية التي عاشتها المنطقة، ورغم ما تميزت به من اللا أمن وعدم الاستقرار، والفتن والاعتداءات من الداخل والخارج، إن دلت على شيء إنما كانت تدل على أن قصور توات كانت أشبه بإمارات مستقلة عن أي كيان سلطوي، وكانت في نفس الوقت تسيل لعاب الطامعين والطامحين لإخضاعها واستقطابها، تارةً بالجباية والمراسلات وتارةً أخرى بالقوة والغلبة، حتى دخل الاحتلال الفرنسي على الخط بحملاته التوسعية وأهدافه الاستعمارية.

وعلى هذا الأساس نختتم دراستنا بحاجتنا الملحة إلى ربطها بدراسة أخرى حول الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وعن أسبابه ومظاهر اهتمامه بها، وعن حيثيات وأحداث الغزو الفرنسي قبل وأثناء حملاته، وعن سياسته المتبعة في مشروعه التوسعي، وعن مدى تأثير مرحلة توات كمستعمرة على الجوار، كما كانت مؤثرة حضارياً وجغرافياً وتاريخياً. إن هذه المباحث وما تتضمنه من دراسة واهتمام، تدخل ضمن تطلعاتنا ومشاريعنا القادمة إن شاء الله، لنستكمل بها تسليط الضوء على تاريخ منطقة توات بكل أبعاده ومجالاته، فإن كان لنا في هذا السياق فضل وإصابة فمن الله عز وجل، وإن كان من خطأ وتقصير فمن نفسي والشيطان. أقول قولي هذا والحمد لله على كل حال، واستغفر الله لي ولكم.

الملاحق

ملحق رقم 01: خريطة توضح مكانة توات ضمن علاقاتها مع حواضر الجوار

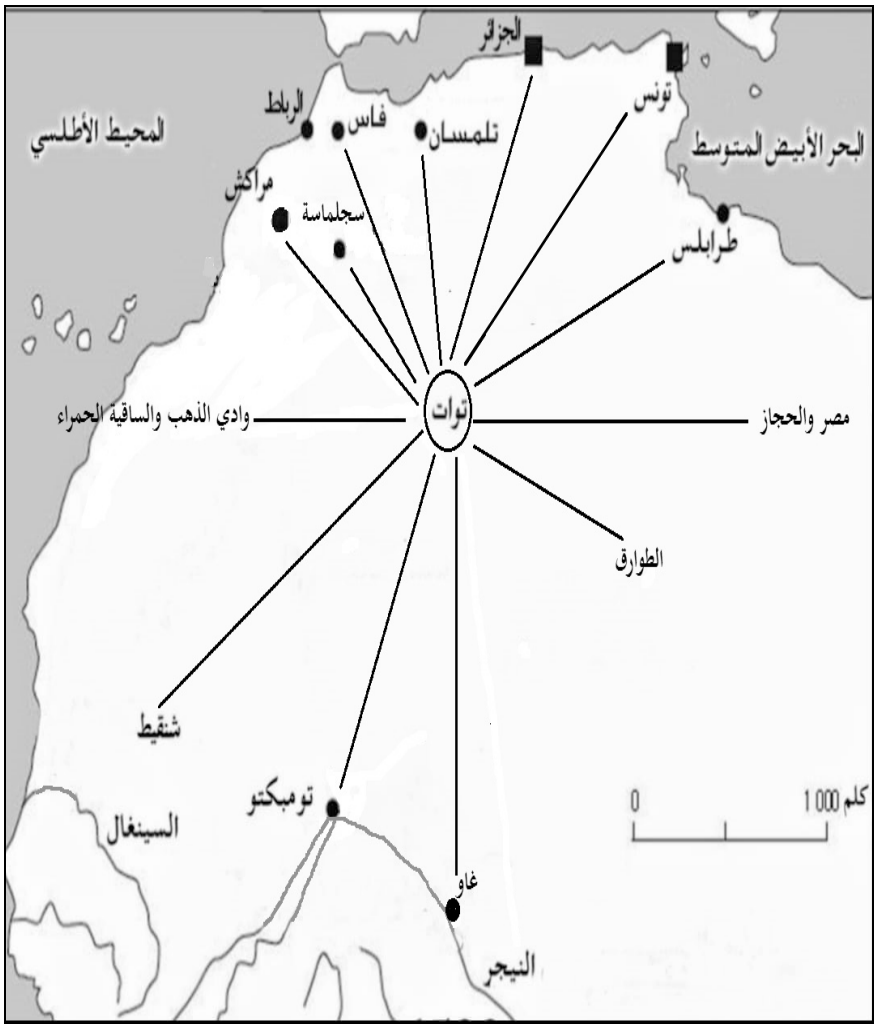

من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 02: خريطة توضح أهم جهات وقصور توات

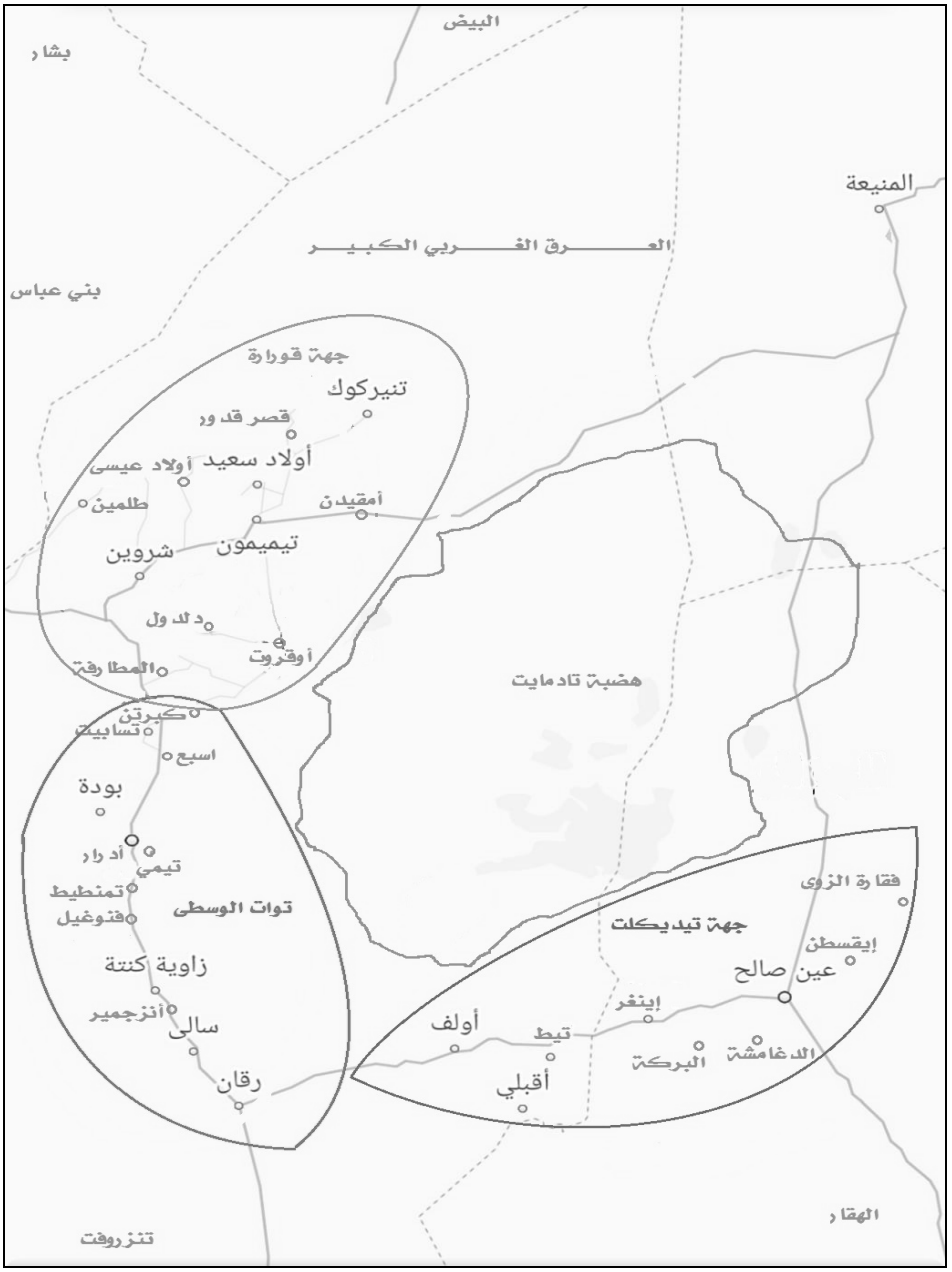

من إنجاز الباحث بناءً على مضمون الدراسة

ملحق رقم 03: توزيع قصور توات على الولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)

53 - ولاية إن صالح

البلديات	مشتملاتها وحدودها الإقليمية
إن صالح	قصر العرب- قصر المرابطين- زاوية الحاج سيدي بلقاسم- الدغامشة- البركة- إن صالح- إقسطن- حاسي لحجار- الساهلة التحتانية- الساهلة الفوقانية- تاجموت- لقبقيرة- فنو- جواليل- البركة A.
إن غار	مليانة- الزاوية- السبخة- القصر الجديد- القبور- الشويطر- لحدب- تورفين- إينغر.
فقارة الزاوية	سيلافن- حينون- فقارة العرب- فقارة الزوى.

49 – ولاية تيميمون

البلديات	مشتملاتها وحدودها الإقليمية
تيميمون	تيميمون- تالة- تينوسر- بويحيا- أولاد نوح- زاوية سيد الحاج بلقاسم - بني مهلال- بني ملوك- الواجدة- تاورسيت- امساهل- تمانة- ازقور- طاروانية- أعلاملال- اغيات- ماسين- البركة- وعمني- عم اقبور- امزقاغ- القصبة- الكاف- بني عيسى- بادريان- تلالت- امقيدن- تادلست- ليشتا- اغنت- أولاد الطاهر- أولاد عثمان- تشنت- مايتو.
أولاد سعيد	أولاد سعيد- كالي- اغلاد- الحاج قلمان - بابايدا- تغيارت- تليوين- سموطة- تنجلت- أومراد- قاعون معمورة- ايغزر- لازورة.
أولاد عيسى	أولاد عيسى- تسفاوت- قنتور- لحمر- سمجان- تونزة- حيحا- ياكو- الكرط- وانودي.
أوقروت	تبرغامين- قصر الحاج- تنقلين- تالة- زاوية سيدي عبد الله- بن عايد- اعمور- اقبور- زاوية سيدي عومر- الشارف- بوقمة.
دلدول	أولاد عبو- أورير- أقبور- المنصور- الحديان- اقسطن- البركة- توكي- أولاد عبد الصمد- بلغازي- ساهلة.
المطارفة	أولاد محمود- الساهلة- المطارفة- أولاد راشد- أولاد علي- أوفران.
شروين	شروين- توريرت- الجدير الغربي- الجدير الشرقي- تقلزي- تنكرام- بكو- بني سلم- اسفاو- تيو- أوماح- تينزيري.
طالمين	بوكزين- طلمين القصر- الساقية- قطوف- تاكيالت- تاغوزي- نعمة- تاعربين- تسقلوت- تيمارين- يحيى ودريس- باحمو- الزعيطر- راشد- تقنوت- قلو- بكو- اللجام- سيد المختار- تاوراخت- فناون.
قصر قدور	قصر قدور- انجلو- تيلغمين- تيمزلان- بني عيسى- سيدي منصور- تقانت.
تيتركوك	زاوية الدباغ- تعنطاس- تبلكوزة- تزليزة- عين حمو- فاتيس- ودفاغ- بن زيتة.

1 – ولاية أدرار

البلديات	مشتملاتها وحدودها الإقليمية
أدرار	أدرار - ادغا- أوقديم- بربع- أولاد ونقال- أولاد وشن- أولاد علي- تنيلان- مراقن.
فنوغيل	زاوية سيدي عبد القادر- تسفاوت- اعباني- العلوشية- ودغاء- بتهمي- عزى- المنصور- مكره- أولاد مولاي لحسن- برشيد- أولاد مولاي عمار- قصبة الحرار- سيدي يوسف- باعمر.
تامست	لحمر- تيطاف- غرميانو- اغيل- تماسخت- أيكيس- تمالت- عنطر- الجديد- بويحى العليا- بويحى السفلى.
رقان	تنولاف- انزقلوف- آيت المسعود- النقيس- تيمادئين- تعرابت- تيغلاف الجديدة- زاوية الرقاني- تاوريرت- ازرافيل.
سالي	باب الله- المنصور- برماته- قصبة مولاي علي- قصبة النجار- المحارزة - قصبة الجنة- علوشية- قصيبة سيدى الشريف- أولاد مولاي عبد الواحد- قصر الجديد- قصيبة ابا سيدى- أولاد مولاي العربي- تينورت- بريش- باحو المستور- زاوية الحشف.
إن زغمير	تيدماين- تيلولين مرابطين- تيلولين الشرفاء- تيطاوين الخراص- زاوية بلال- تيطاوين الشرفا- وغزير- الخلفي- المحفوض- القصر الفوقاني- قصبة القائد- قصبة المرابطين- بوانجي.
أقبلي	عرق شاش- ساهل- الزاوية- المنصور- هانت.
تيت	تيت.
أولاد أحمد تيمي	أولاد ابراهيم- تاريدالت- أولاد أحمد- بني تامرت- المنصورية- اولاد بوحفص- مهدية- زاوية سيدي البكري- كوسام- بوزان- أولاد عيسى- أولاد عروسة- ملوكة- ميمون- واينه.
تسابيت	غابة مولاي علي- لقصابي- الهيلة- المعيز- وجلان- لعياد- حماد- عمور- برينكان- عريان الرأس- كبرتن- بن طلحة.
بودة	بندراعو- زاوية الشيخ- بنيلو- باخلة- العماريين- الغمارة- القصيبة- المنصور- زاوية سيدي حيدة- غرم علي- بني وازل.
زاوية كنته	زاوية كنته- مكيد- تيوريرين- ادرار- زاقلو عرب- زاقلو مرابطين- أولاد الحاج- تبركانت- مناصير- تاخفيفت- ادمر- تاظولت- زاوية الشيخ- يوعلي- غرماملال- اظوا.
أولف	عمنات- تقرافت- الجديد- قصيبة بلال- قصيبة ميخاف- الركينة- زاوية حيتون- حبدات.
السبع	السبع- القرية الاشتراكية- القرارة.
تيمقتن	ايتر- زاوية مولاي هيبة- قصيبة السيد- قصيبة الجنة- بلاد المهدي- المنصور- بلاد مولاي الرشيد- الزاوية- المرقب- قاوقاو- أولف الكبير- اخنوس- أولاد الحاج- بلاد لحسين- عين بلبال- مطريون- تيمقتن.
تامنطيت	تامنطيت- أولاد سيدي واعلي- أولاد الحاج مامون- تومناس- بوفادي- ايتكور.

المصدر: رئاسة الحكومة الجزائرية، الجريدة الرسمية، العدد 26، مرسوم تنفيذي رقم 128-21

ملحق رقم 04: نسخة من رسالة الشيخ بوعمامة إلى جماعة دلدول (بعد رحيله)

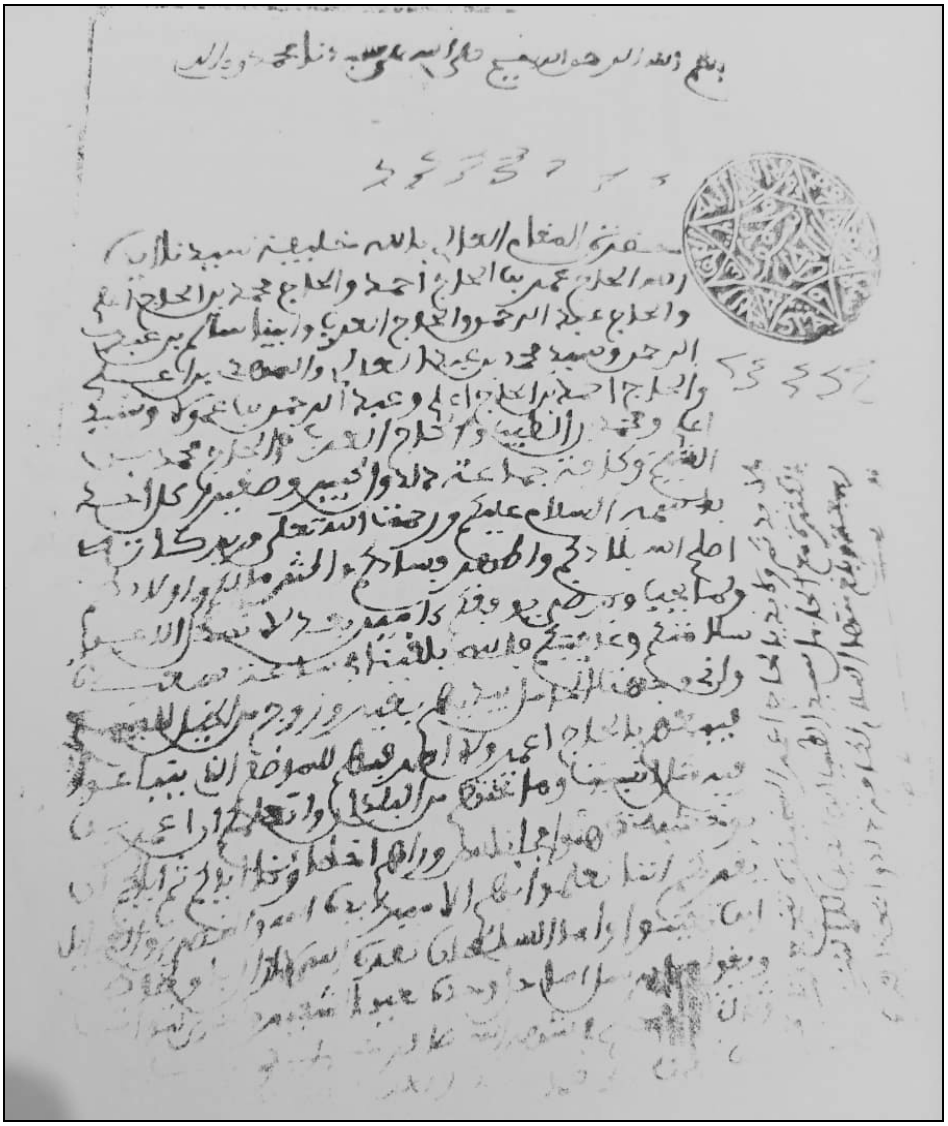

المصدر: ع/ط عبد الملك حمدي والعربي بوعمامة، دلدول-تيميمون

ملحق رقم 05: رسالة من الشيخ بوعمامة إلى جماعة دلدول عن أحداث الريف الأولى

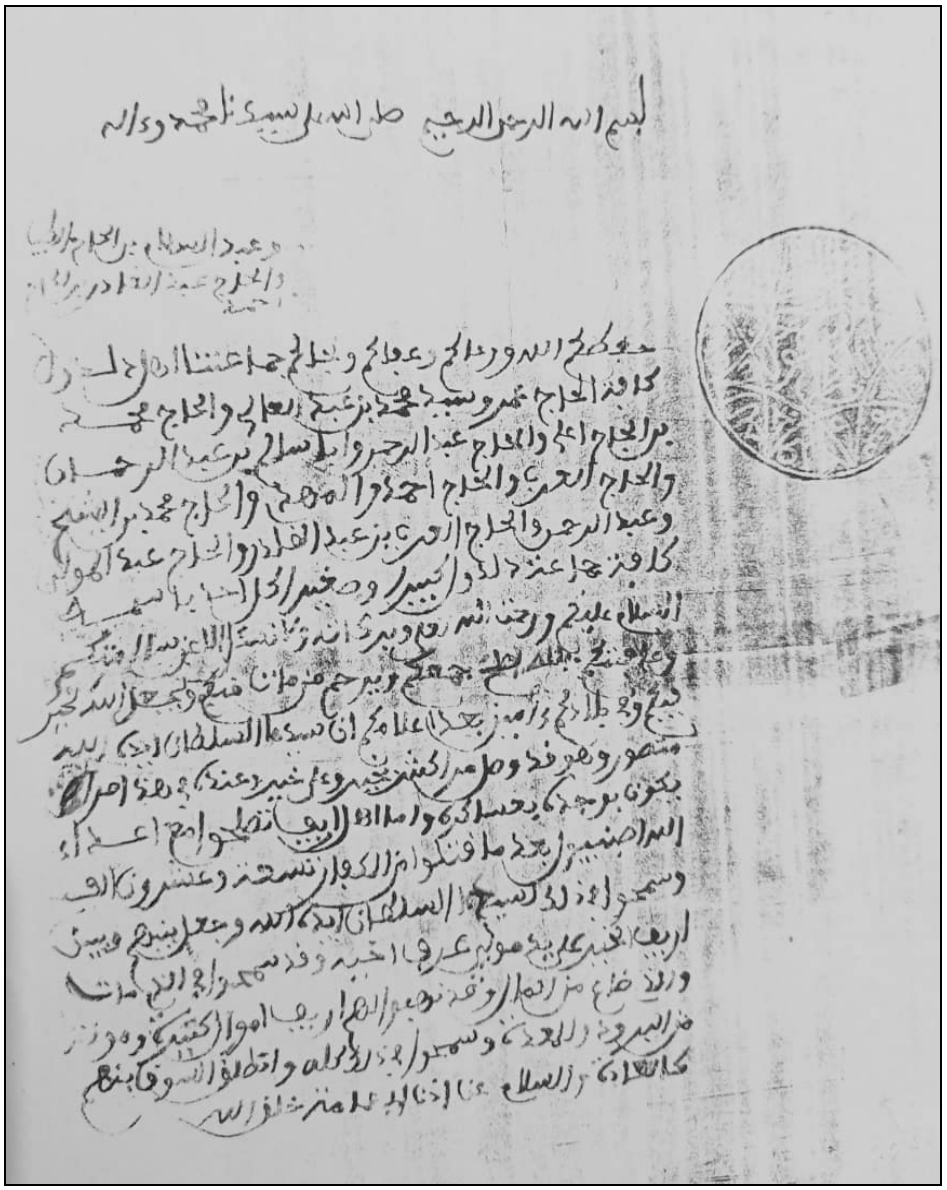

المصدر: ع/ط عبد الملك حمدي والعربي بوعمامة، دلدول-تيميمون

ملحق رقم 06: مخطط مسار الفقارة من المنبع إلى المصب

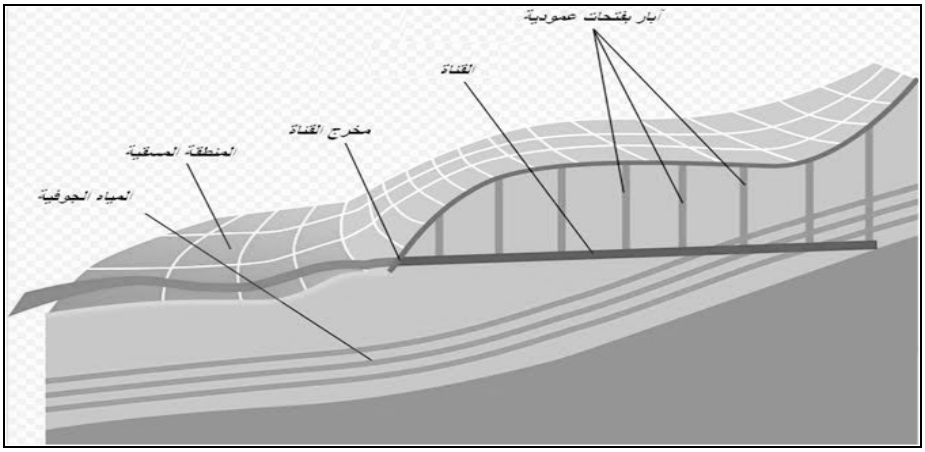

المصدر: لحسن حرمة ويوسف بوتدارة، الفقارة أسلوب سقي ونظام حياة اجتماعية، صفحة الإذاعة الجزائرية، منشورة في: 2016/05/16، التصفح: 2023/12/21، التوقيت: 19:55،
https://radioalgerie.dz/news/ar/reportage

ملحق رقم 07: مخطط الاستفادة من ماء الفقارة في واحات توات

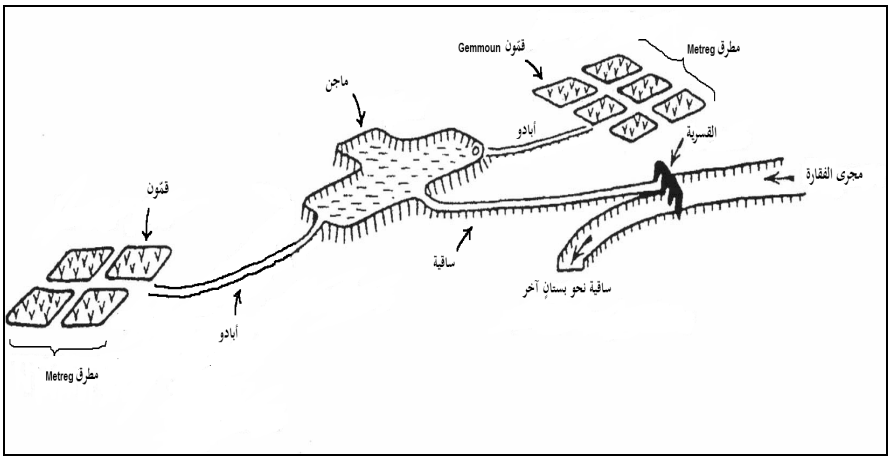

المصدر: J. Bisson, gourara, Gland – Hadjarien, encyclopedieberbere, V.21, UNESCO 1999, p. 3188-3198 (بتصرف).

ملحق رقم 09: نازلة قورارية ورد فيها دور المنطقة في دعم سي قدور بن حمزة.

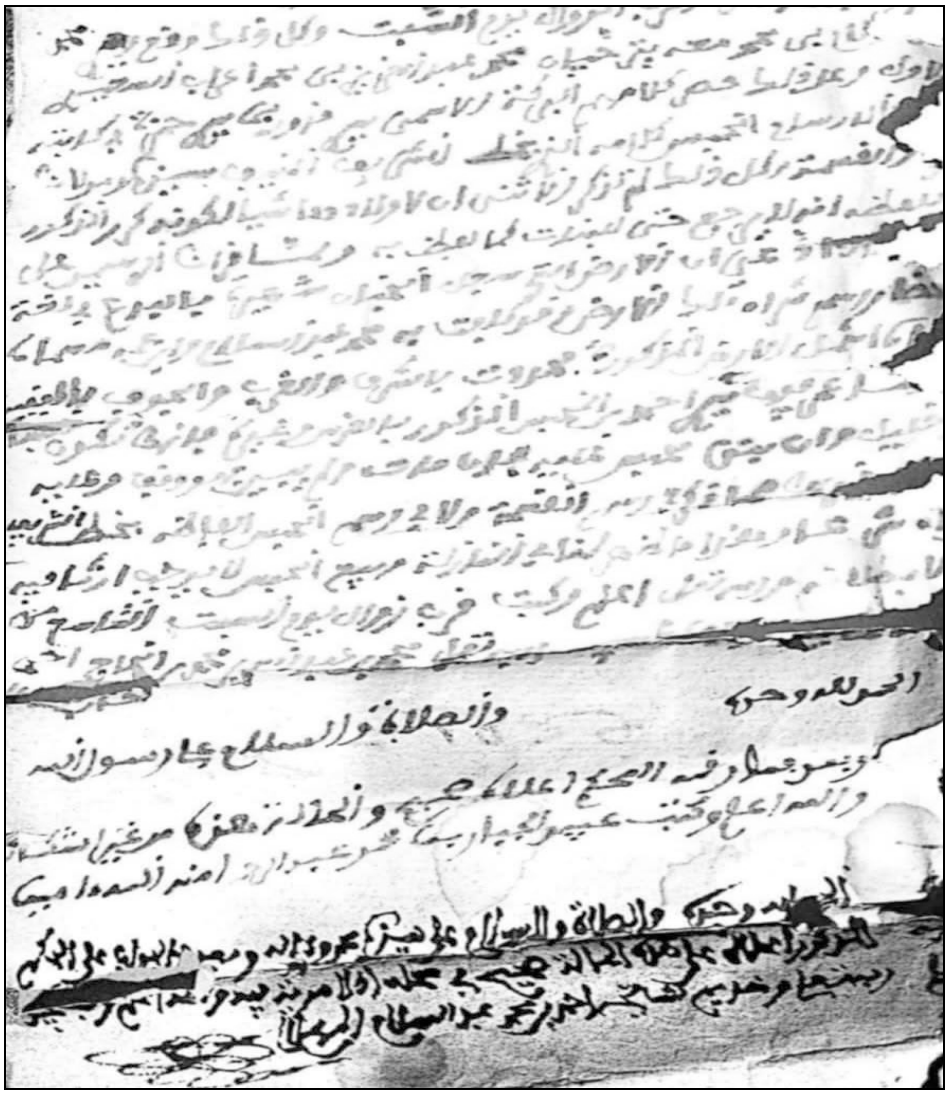

المصدر: ع/ط الجوزي عبد الرحمن، إمام وقائم على خزانة آل الجوزي عبد الرحمن، الوثائق الرسمية والأرسام والرسائل والفتاوى والأحكام القضائية في خزانة آل الجوزي العامة، مقابلة شخصية (07 جوان 2024).

ملحق رقم 10: نازلة المرأة الحرثانية (رسالة طلب الفتوى إلى قاضي أولاد سعيد)

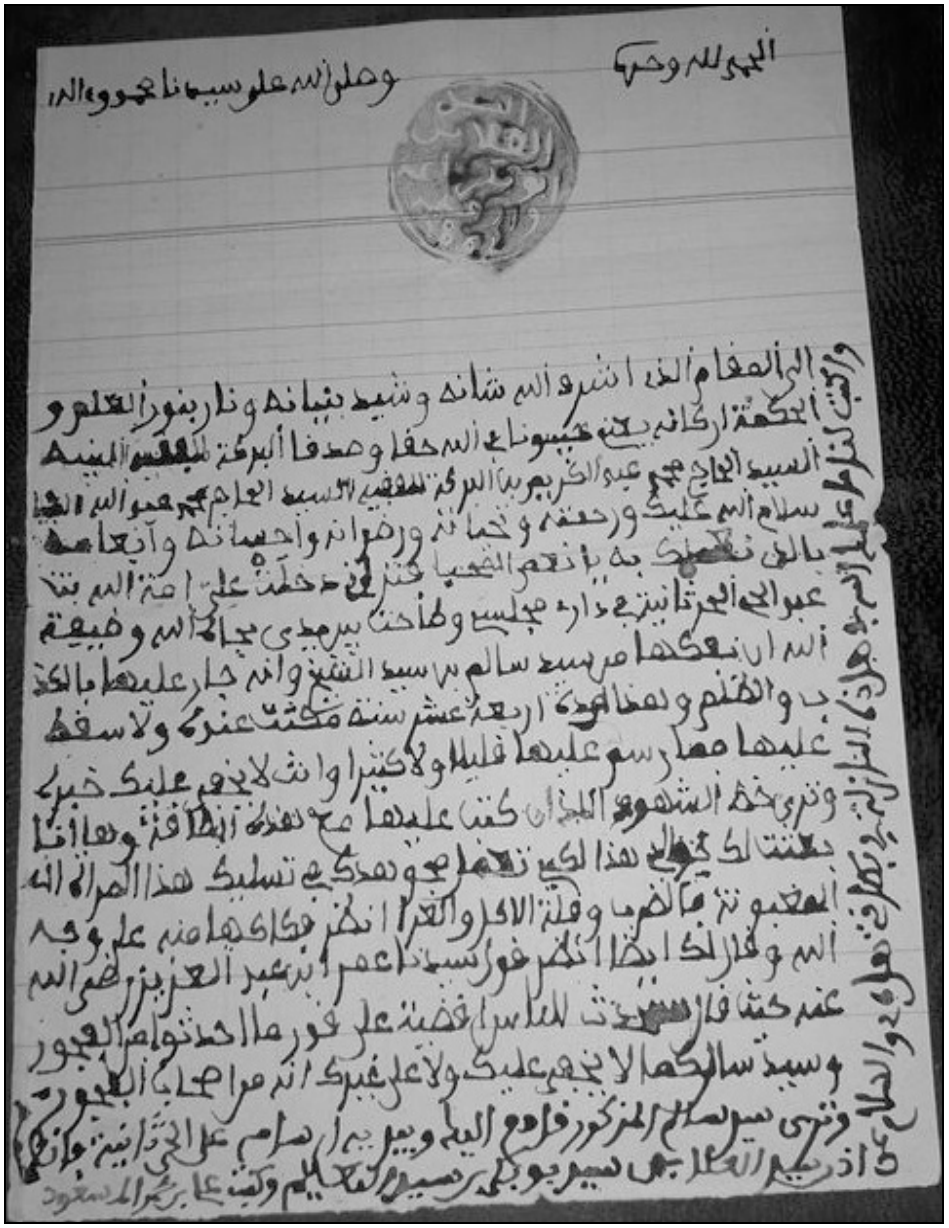

المصدر: خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر.

ملحق رقم 11: الصفحة 1 لمخطوط (درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام)

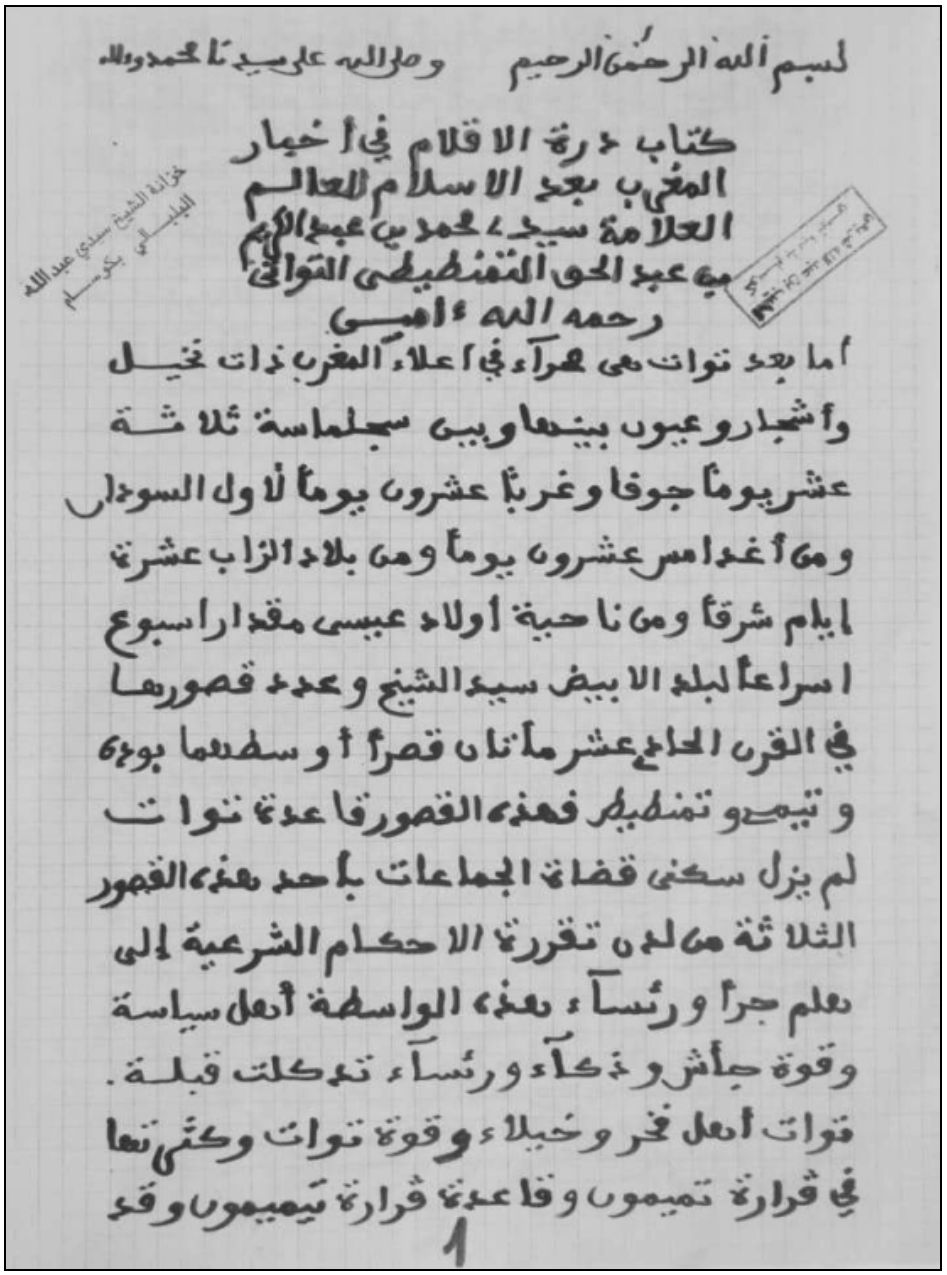

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

كتاب درة الاقلام في أخبار
المغرب بعد الاسلام العالم
العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم
بن عبد الحق التمنطيطي التواتي
رحمه الله آمين

خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام

أما بعد توات هي قرآء في أعلاء المغرب ذات نخيل
وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة
عشر يوما جوفا وغربا عشرون يوما لأول السودان
ومن أغدامس عشرون يوما ومن بلاد الزاب عشرة
أيام شرقا ومن ناحية أولاد عيسى مقدار اسبوع
اسراعا لبلد الابيض سيد الشيخ وعدد قصورها
في القرن الحادي عشر مائتان قصرا أو سطحها بوعي
و تيمي و تمنطيط فهذه القصور قاعدة توات
لم يزل سكنى قضاة الجماعات بأحد هذه القصور
الثلاثة من لدن تقررة الاحكام الشرعية إلى
يعلم جرا و رئساء هذه الواسطة أهل سياسة
وقوة جيش و ذكاء و رئساء تدكلت قبلة.
توات أهل فخر و حيلاء و قوة توات وكتى تها
في قرارة تميمون و قاعدة قرارة تيميمون و قد

1

المصدر: خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام-أدرار.

ملحق رقم 12: الصفحة 2 لمخطوط (نقل الرواة عن من أبدع قصور توات)

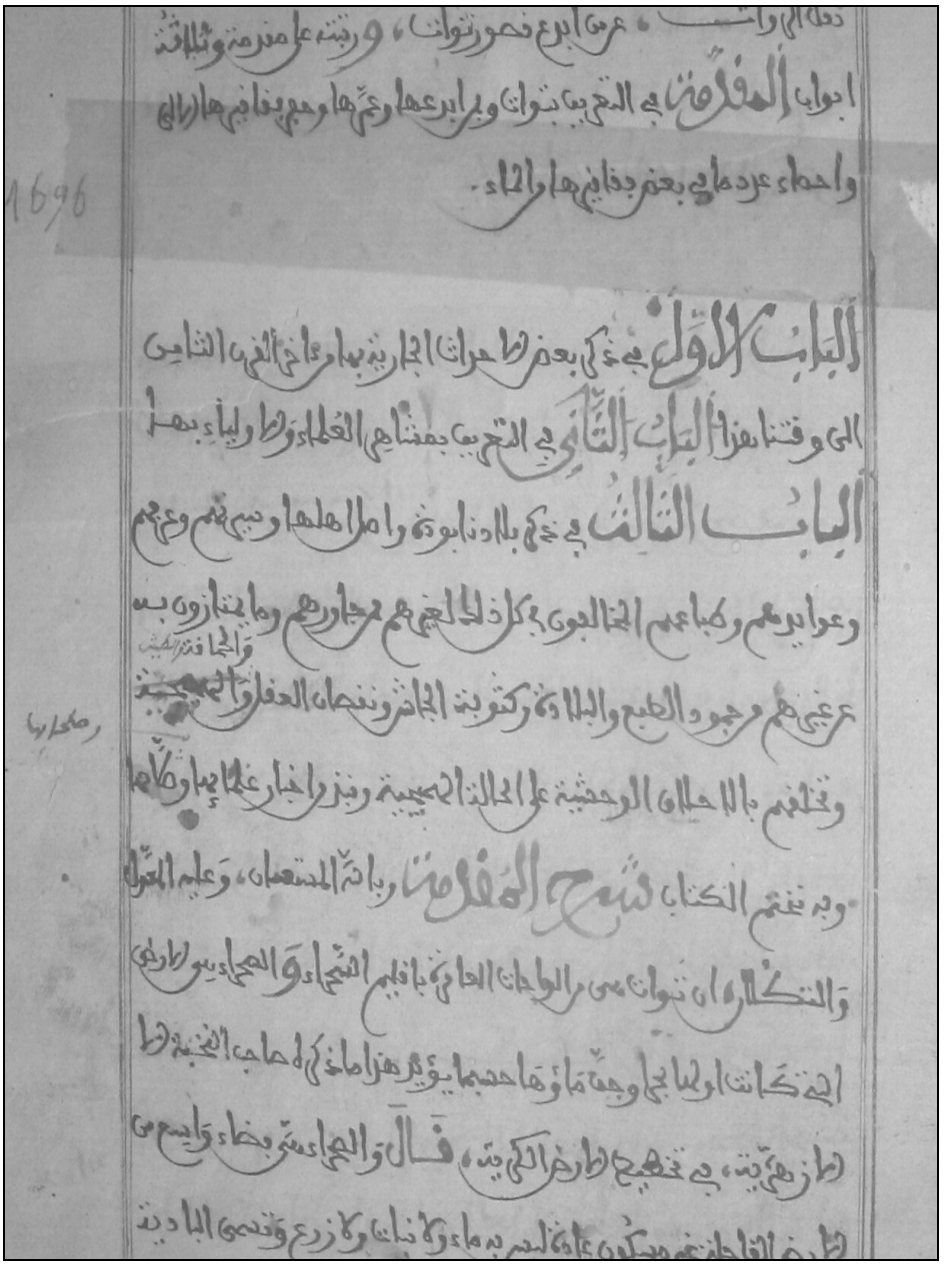

المصدر: خزانة المخطوطات بن حسان زاوية تنيلان-أدرار.

ملحق رقم 13: نسخة من صفحة 1 لمخطوط (رحلة مولاي أحمد بن هاشم)

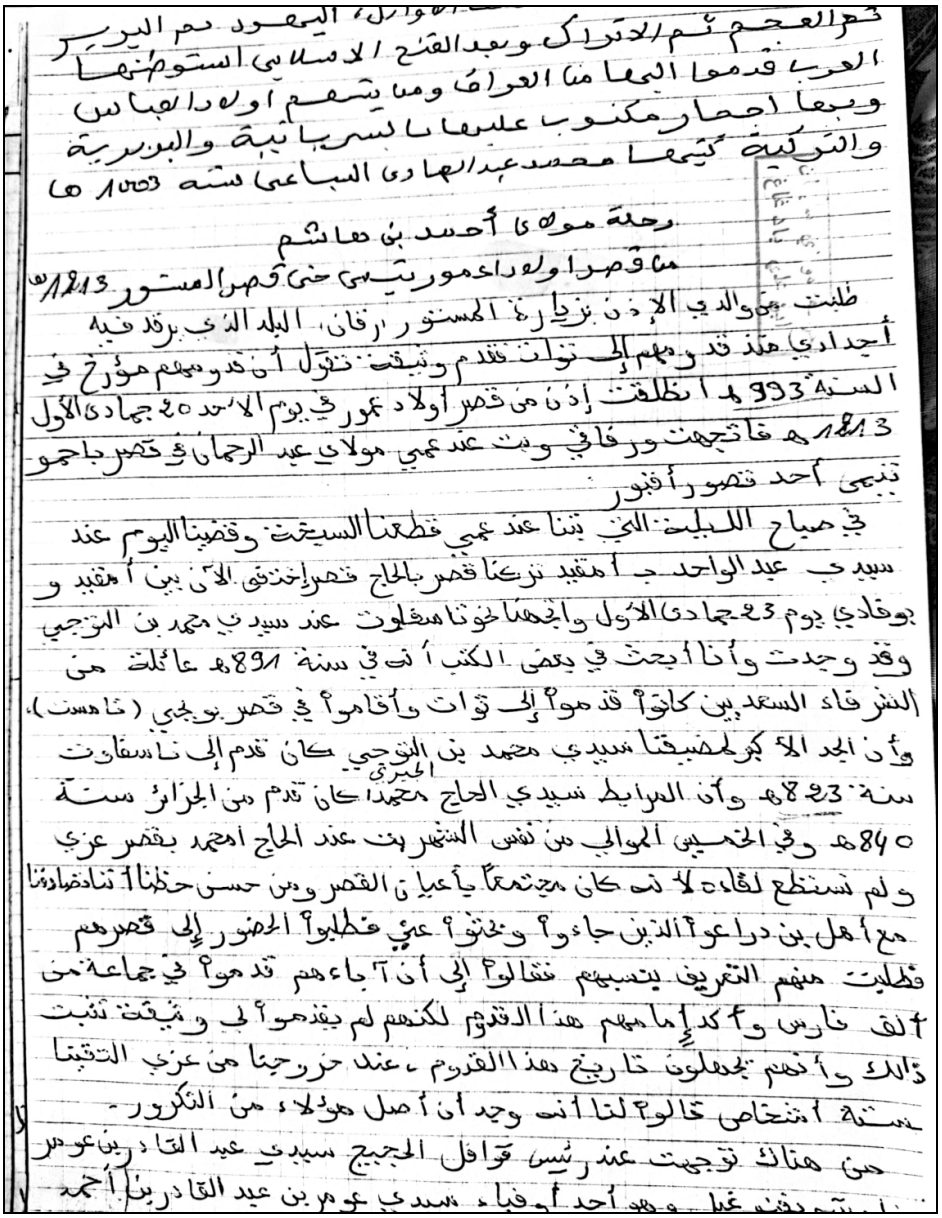

رحلة مولاي أحمد بن هاشم

ما قصر أولاد عمور يتبى حتى قصر المنصور 1813م

طلبت من والدي الإذن بزيارة المنصور رقان، البلد الذي يرقد فيه أجدادي منذ قدومهم إلى توات فقدم وثيقة تقول أن قدومهم مؤرخ في السنة 993 هـ انطلقت إذن من قصر أولاد عمور في يوم الأحد 20 جمادى الأول 1813 هـ فاتجهت ورفاقي وبت عند عمي مولاي عبد الرحمان في قصر باجمو تنبي أحد قصور أقبور

في صباح الليلة التي بتنا عند عمي قطعنا السيخت وقضينا اليوم عند سيدي عبد الواحد بن أمقيد تركنا قصر الحاج قصر إختق الآن بين أمقيد و بوفادي يوم 23 جمادى الأول واتجهنا نحو تامنطوت عند سيدي محمد بن التوجي وقد وجدت وأنا أبحث في بعض الكتب أنه في سنة 891 هـ عائلة من الشرفاء السعديين كانوا قدموا إلى توات وأقاموا في قصر بوجي (تامست)، وأن الجد الأكبر لمضيفنا سيدي محمد بن التوجي كان قدم إلى تاسفاوت سنة 823 هـ وأن المرابط سيدي الحاج محمد الجيرتي كان قدم من الجزائر سنة 840 هـ وفي الخميس الموالي من نفس الشهر بت عند الحاج احمد بقصر عزي ولم نستطع لقاءه لأنه كان مجتمعا بأعيان القصر ومن حسن حظنا أنا تناقشنا مع أهل بن دراعو الذين جاءوا يخبرونا عني قطبوا الحضور إلى قصرهم فطلبت منهم التعريف بنسبهم فقالوا إلى أن آباءهم قدموا في جماعة من أولاد فارس وأكد إمامهم هذا القدوم لكنهم لم يقدموا إلى وثيقة تثبت ذلك وأنهم يجهلون تاريخ هذا القدوم، عند خروجنا من عزي التقينا بستة أشخاص فعلمنا أنه وجد أن أصل هؤلاء من الكرور.

من هناك توجهت عند رئيس قوافل الحجيج سيدي عمر بن عبد القادر بن عمر بن

المصدر: خزانة مولاي سليمان بن علي بقصر أدغاغ-أدرار.

ملحق رقم 14: نسخة الصفحة الأخيرة من مخطوط قصيدة (يا سيدي بوتدارة)

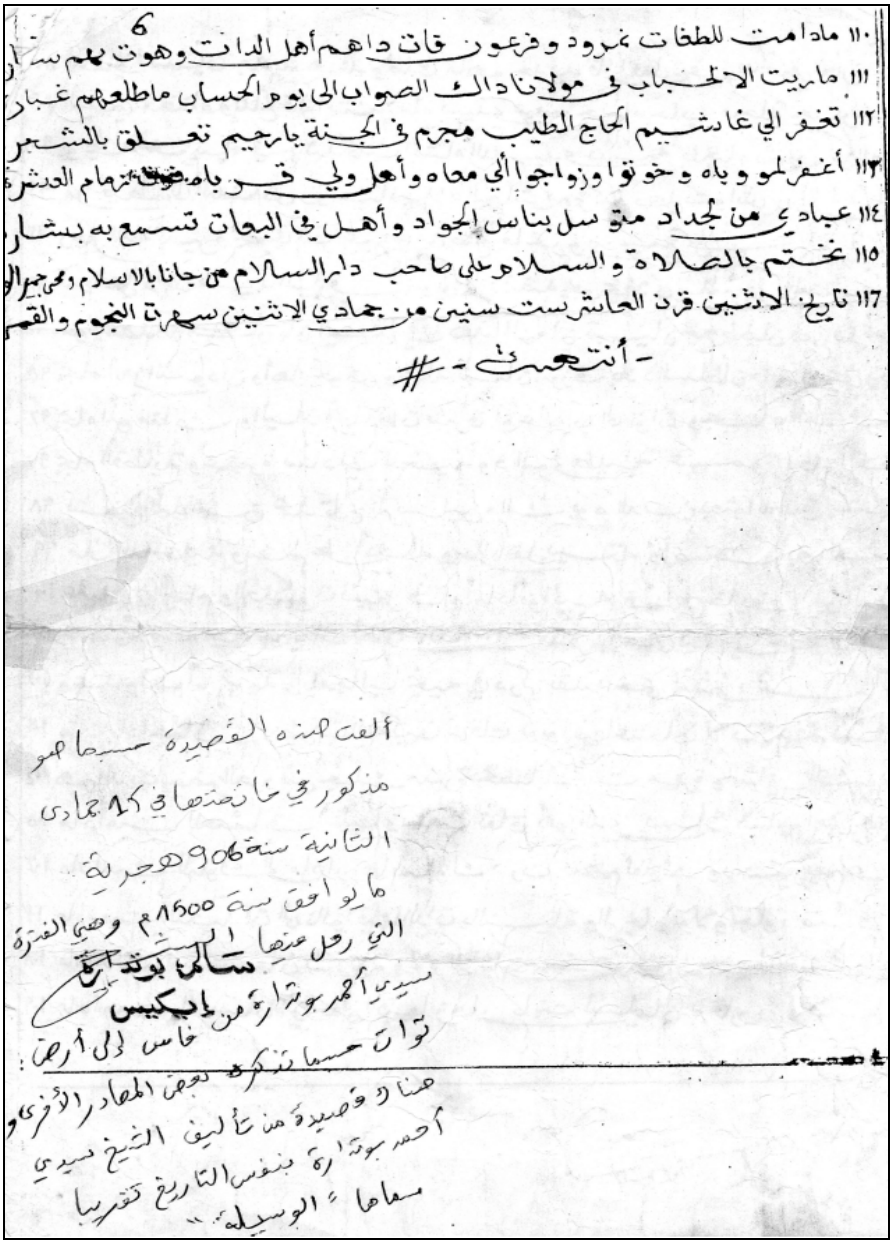

١١٠ مادامت للطغات نمرود وفرعون قاتداهم أهل الدات وهوت بهم سـ
١١١ ماميت الاحباب في مولانا دالك الصواب الى يوم الحساب ماطلعهم غبار
١١٢ تغفر الي غادشيم الحاج الطيب مجرم في الجنة يارحيم تعلق بالشجر
١١٣ أغفر لمو و باه و خوتو او زواجو الي معاه و أهل ولي قـ باه
١١٤ عبادي من لجداد متو سل بناس الجواد و أهل في البجات تسمع به بشار
١١٥ نختم بالصلاة و السلام على صاحب دار السلام من جانا بالاسلام ومحى
١١٧ تاريخ الاثنين قرن العاشر ست سنين من جمادي الاثنين سهرت النجوم و القمـ

- أنتهت - #

ألفت هذه القصيدة حسبما هو
مذكور في خاتمتها في 17 جمادى
الثانية سنة 906 هجرية
ما يوافق سنة 1500 م وهي الفترة
التي رحل عنها الشيخ سيدي
سيدي أحمد بوتدارة من بايكيس
توات حسبما تذكره بعض المصادر الأخرى
هذه قصيدة من تأليف الشيخ سيدي
أحمد بوتدارة بنفس التاريخ تقريبا
سماها « الوسيلة »

المصدر: نسخة مكتوبة عند عائلة بوتدارة-أدرار

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

الحديث النبوي الشريف (صحيح البخاري ومسلم).

المصادر والمراجع باللغة العربية

أولاً: المصادر

أ – المخطوطة

1- البكري محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار- الجزائر.

2- البكري محمد عبد الحق بن عبد الكريم، تقييد حول تاريخ توات وتمنطيط، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط الجزائر.

3- البوداوي محمد بن عمر، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة المخطوطات بن حسان بزاوية تنيلان، أدرار-الجزائر.

4- الجوزي محمد عبد الله، تقاييد بخط يد بن الجوزي، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر.

5- سي العلا بن أبي بكر النعيمي، نازلة المرأة الحرثانية (رسالة إلى قاضي أولاد سعيد)، خزانة آل الجوزي للمخطوطات، قصر أولاد سعيد، تيميمون الجزائر.

6- الشيخ بوعمامة، نسخة من رسالة إلى جماعة دلدول، ع/ط العربي بوعمامة وعبد الملك حمدي، دلدول تيميمون 2021/01/21.

7- الطاهري شهاب الدين أحمد، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط مرقون.

8- العبادي الحاج الطيب، يا سيدي بوتدارة، قصيدة شعر دارجة يؤرخها صاحبها في 906هـ/ 1500م، نسخة مكتوبة عند عائلة بوتدارة.
9- مولاي أحمد بن هاشم، رحلة مولاي أحمد بن هاشم من قصر أولاد عمور تيمي حتى قصر المستور 1213هـ، خزانة مولاي سليمان بن علي آدغا، أدرار الجزائر.

ب - المطبوعة

1- ابن الدين الأغواطي، **مجموع رحلات: رحلة الأغواطي**، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
2- ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: محمد العريان، مر: مصطفى القصاص، ج2، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت 1987.
3- ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت 2000.
4- ابن خلدون عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، ج7، دار الفكر، بيروت 2001.
5- ابن زيدان عبد الرحمن، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تح: علي عمر، ج5، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة 2008.
6- ابن منظور، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة (ب.ت).
7- الأنصاري أبو عبد الله أحمد، **فهرست الرصاع**، تح: محمد العنابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس 1967.
8- البرتلي الولاتي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981.
9- البستاني بطرس، **كتاب دائرة المعارف**، مج6، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران (ب ت).
10- بن بابا حيدة محمد، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977.
11- البوداوي محمد بن عمر بن الحبيب، تح: مولاي عبد الله سماعيلي، **نقل الرواة عمن أبدع قصور توات**، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015.
12- **تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الأيالة السعيدة**، المطبعة الملكية، الرباط 1962.

13- التنبكتي محمود كعت، **تاريخ الفتاش**، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، بيروت 2014.
14- التنيلاني عبد الرحمن بن إدريس، **رحلته إلى ثغر الجزائر عام 1231هـ/ 1816م**، تح: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر 2015.
15- التواتي المزمري ضيف الله بن محمد بن أب، **رحلتي لزيارة قبر الوالد**، تح: جعفري أحمد أبا الصافي، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2015.
16- دوماس أوجين، **الصحراء الجزائرية دراسة جغرافية إحصائية وتاريخية 1843-1851**، تر: بن حرزالله بن مويزة، دار النعمان للطباعة والنشر، ط1، الجزائر 2024.
17- رولفس غيرهارد، **عبر إفريقيا**، ج1، تر: عماد الدين غانم، مركز البحوث والدراسات الإفرقية سبها، طرابلس ليبيا-1987.
18- العياشي عبد الله بن محمد، **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط1، أبوظبي الإمارات 2006.
19- العياشي عبد الله بن محمد، **الرحلة العياشية 1661-1663**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج2، ط1، أبوظبي الإمارات 2006.
20- الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط 1972.
21- القيسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، **أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم 1630-1633**، تح: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس 1968.
22- كربخال مارمول، **إفريقيا**، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984.
23- لانغ غوردن، **رحلة ورسائل الرائد الكسندر غوردن لانغ 1824-1826 (رحلتان عبر ليبيا)**، تر: دار الفرجاني، الطبعة الأولى، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا 1974.
24- مؤرخ تواتي مجهول، **ذكر ما وجد من تاريخ الأخبار التواتية**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، **الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات**، ج1، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر 2023.
25- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.

ج – الوثائق الأرشيفية

1- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، "رئاسة الحكومة"، ***الجريدة الرسمية***، ع26، مرسوم تنفيذي رقم 128-21، الجزائر 2021.

2- عبد الله بن سالم، رسالة إلى القبطان بناصر، ب.ت، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: 3 GGA 33JJ، أرشيف ANOM.

3- قايد عرش أولاد سيد أحمد المجدوب، رسالة إلى الكومندار حاكم دائرة البيض، 27 جوان 1890، أرشيف مكتب البيض، رمز علبة الأرشيف: 3 GGA 33JJ، أرشيف ANOM.

ثانياً: المراجع

أ – الكتب

1- أبو حجر آمنة، **المعجم الجغرافي**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2009.

2- أعفيف محمد، **توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط (ب ت).

3- بكري عبد الحميد، **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران الجزائر- 2007.

4- بلعالم محمد باي، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، ج1، دار هومه، الجزائر 2005.

5- بلعالم محمد باي، **الرحلة العلية إلى منطقة توات**، ج2، دار هومه، الجزائر 2005.

6- بليل رشيد، **قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية**، تر: عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ، الجزائر 2008.

7- بوزناشة توفيق وآخرون، **دليل الجمهورية ولايات وبلديات**، ج1، مطبعة ناكسوس تي في، الجزائر 2013.

8- البوعبدلي المهدي، **تاريخ المدن**، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

9- بوعزيز يحيى، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1999.

10- بويه عبد القادر، **صفحات من تاريخ الصحراء الجزائرية تيدكلت والهقار**، طبعة ثانية، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة الجزائر 2020.

11- تواتي دحمان وآخرون، **دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956-1962**، وزارة الثقافة، الجزائر 2008.

12- جادور محمد، **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء المغرب- 2011.

13- جبران مسعود، **المعجم الرائد**، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت 1992.

14- جعفري أحمد أبا الصافي، **من تاريخ توات أبحاث في التراث**، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر 2011.

15- جعفري مبارك ومقلاتي عبد الله، **معجم أعلام توات**، منشورات الرياحين، الجزائر 2013

16- جولي أحمد وآخرون، **دليل مهرجان أهليل نشيد قورارة الأزلي**، دار الثقافة الجزائر 2012.

17- حاج أحمد الصديق، **التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ** ط2، منشورات الحبر، الجزائر 2011.

18- الحمدي أحمد، **تاريخ تدكلت فصول ومعالجات**، دار الدواية للنشر والتوزيع، أدرار الجزائر 2025.

19- حوتية محمد، **توات والأزواد خلال القرنين (18 و19م)**، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007.

20- حوتية محمد، **توات والأزواد خلال القرنين (18 و19م)**، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007.

21- خليفي عبد القادر، **الطريقة الشيخية**، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2010.

22- زوزو عبد الحميد، **ثورة بوعمامة 1881-1908**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983.

23- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار البصائر، الجزائر 2007.

24- العماري أحمد، **توات في مشروع التوسع الفرنسي**، منشورات كلية الآداب - فاس، المغرب 1988.

25- عوبيدي مولاي مبارك، **قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقارة إلى الساقيات**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار كوكب العلوم للنشر، الجزائر- 2023.

26- غيتاوي مولاي التهامي، **لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار**، ط2، دار الكتاب العلمية، بيروت 2011.

27- الفاطمي محمد، **البيوتات العلمية بقورارة إبان القرنين 11 و12هـ** ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية الجزائر 2022.

28- الفاطمي محمد، **الفقارة نبع وروح**، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل الجزائر 2024.

29- فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977.

30- قطش الهادي وآخرون، **أطلس الجزائر والعالم**، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر 2010.

31- مبارك جعفري، **مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات**، دار الكتاب العربي، الجزائر 2016.

32- مزيان أحمد، **المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1912)**، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط المغرب 2007.

33- معمري مولود، **أهليل القورارة**، ترجمة: فلة بن جيلالي وكمال شاشوا، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، العدد 20، الجزائر 2014.

34- مقدم مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية**، مؤسسة الجزائر كتاب، تلمسان الجزائر-2002.

35- مقدم مبروك، **بنائية تقسيم العمل المأجور في المجتمع الواحي القصوري التواتي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2016.

36- مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومه، الجزائر 2012.

37- مياسي إبراهيم، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996.

ب – الرسائل والأطروحات

1- بابا عبد الله، إش: مبارك جعفري، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أدرار، الجزائر موسم 2019/2018.

2- بعثمان عبد الرحمن، **القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م**، إشراف محمد بن معمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران 01، موسم 2016/2015.

3- بلعروسي عبد الفتاح، **المقاومة الثقافية في إقليم توات خلال الفترة الاستعمارية 1900-1962**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان بالجزائر، موسم 2022/2021.

4- بن تيشة نور الدين، **الأسرة في منطقة توات خلال القرنين 18 و19م**، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف2، الجزائر- موسم 2022/2021.

5- بوسعيد أحمد، **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2012/2011.

6- جعفري امحمد، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدكلت خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي**، أطروحة دكتوراه، إش: عبد الرحمن بعثمان، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر موسم 2020/2019.

7- حوتية عفيفة، **حاضرة تينجورارين دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13هـ/19م**، رسالة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2015/2014.

8- سعيدي خير الدين، إشراف: شايب قدادرة، **نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات: دراسة وتحقيق**، رسالة ماجستير، جامعة قالمة، الجزائر موسم 2013/2012.

9- سليماني حليمة، **الحياة الاجتماعية والثقافية لقصور تيمي من خلال المصادر المحلية (13هـ/19م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2021/2020.

10- طاهري عبد المالك، **منطقة توات في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين**، إش: أحمد بوسعيد، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2023/2022.

11- طموز عبد الكريم، **تحقيق فهرس شيوخ (عمر بن عبد القادر التنيلاني ت 1152هـ/1739م)**، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2011.

12- طهيري عبد الكريم، **منطقة توات وإسهاماتها في المقاومة الشعبية بالجزائر 1883-1903**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بن شرقي حليلي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشلف، موسم 2025/2024.

13- طواهرية أم هاني، **تطور الذهنية الإجتماعية بمنطقة توات خلال القرنين الميلاديين 19 و20**، مذكرة ماجستير، جامعة أدرار بالجزائر، موسم 2014/2013.

14- كحلاوي حليمة، **الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (12-14 هـ 18-20م)**، رسالة ماجستر، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر موسم 2016/2015.

15- مرجاني عبد القادر، **السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م**، إش: محمد مجاود، أطروحة دكتوراه – جامعة سيدي بلعباس، الجزائر موسم 2020/2019.

16- مقدم أم الخير، **الحرف والمهن بحواضر توات خلال القرن 13هـ/19م**، إش: عبد الله خي، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، جامعة أدرار موسم 2023/2022.

ج – المقالات والملتقيات

1- أعفيف محمد، "واحات توات في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م"، ***مجلة دار النيابة***، العدد 5، طنجة 1985.

2- امحمدي محمد بن محمد السالم، **دور رجال زوايا قورارة في المقاومة والنضال ضد الاحتلال الفرنسي**، الملتقى الرابع للثورة التحريرية بقورارة، طبع زاوية الشيخ سيدي احمد بن عبد الله البوبكري بسموطة، تيميمون الجزائر 2021.

3- بابا عبد الله، الشيخ المقريء **عبد العزيز بن عيسى الحفصي الوقروتي التواتي مقريء الطائف 1073هـ/1663م**، الملتقى الوطني الثالث حول علماء وأولياء قورارة إبان القرنين 10 و11هـ زاوية سيدي أحمد بن عبد الله البوبكري بسموطة تيميمون، دار الكلمة، أدرار الجزائر 2021.

4- بلمير خديجة، "رؤية في تراث الأهليل وأبعاده في ترسيخ الهوية بمنطقة قورارة بالجنوب الجزائري"، ***مجلة رفوف***، المجلد10، العدد02، جامعة أدرار الجزائر جويلية 2022.

5- بوسعيد أحمد، **مرجعية المخطوطات الجزائرية في الحركة الفكرية ببلاد شنقيط**، الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الافريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد دراية، أدرار الجزائر 27 و2023/11/28.

6- بوسليم صالح، "الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات خلال القرنين 18 و19 مصادرها وبعض مظاهرها"، ***المجلة الجزائرية للمخطوطات***، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، مج4، ع5، 2008/12/31.

7- ثابت زينب، **من الخزائن الشعبية للمخطوطات بإقليم توات الوسطى وصف وتقديم**، مداخلة في الملتقى الوطني الرابع للمخطوطات الجزائرية في الخزائن والمكتبات الافريقية: واقع وآفاق، جامعة أحمد درايعية أدرار، الجزائر 27 و2023/11/28.

8- جعفري أحمد، "أدب المقاومة في أقاليم توات جنوب الجزائر"، ***مجلة راحة القلوب***، المجلد 5، العدد 1، جمهورية إيران، جوان 2021.

9- جعفري مبارك وعبو الطاهر، **منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 15 إلى 19م**، الملتقى الدولي السابع حول التجارة والتجار عبر التاريخ، المنستير تونس 2014.

10- جعفري مبارك، **النظام القصوري الواحاتي ودوره في تطور منطقة توات بين القرن 9 و13هـ/ 15 و19م**، المهرجان الوطني الثاني حول اسدراتن، ورقلة 2018/04/19.

11- جنيدي عبد الحميد، "إقليم توات وأهميته في التجارة الصحراوية"، ***المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية***، جامعة تيارت، الجزائر، ع5، 2018.

12- دين قادة، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، ***مجلة عصور الجديدة***، مج7، ع27، أكتوبر 2017.

13- رموم محفوظ، "الإحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية"، ***مجلة الحوار الفكري***، جامعة أدرار الجزائر، العدد 11، بتاريخ 2016/06/30.

14- ساقني عبد الجليل، "الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر"، ***مجلة البحوث والدراسات الإنسانية***، المجلد 13، العدد 01، 2019/06/30.

15- شترة خير الدين، **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، محاضرة، جامعة أحمد درايعية- أدرار، الجزائر 2010.

16- طهيري عبد الكريم، "القصور الطينية في توات: مساهمة في المقاومة الشعبية ومحاكاة للبيئة الصحراوية"، ***مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية***، المجلد11، العدد01، الجزائر 2025/06/30.

17- طهيري عبد الكريم، "توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19م"، ***مجلة رفوف***، جامعة أدرار الجزائر، مج 11، ع2، جويلية 2023.

18- طهيري عبد الكريم، **أعلام وقصور قورارة السباقة في مقاومة الاحتلال الفرنسي**، مداخلة في الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وتراث منطقة قورارة الموسوم (منطقة قورارة ودورها في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، من لجوء الشيخ بوعمامة إلى معارك العرق الغربي الكبير)، جامعة أحمد درايعية بأدرار وبلدية دلدول بتيميمون، يومي 19 و20 مارس 2023.

19- طهيري عبد الكريم، **مرحلة لجوء الشيخ بوعمامة بمنطقة قورارة 1883-1894**، الملتقى الدولي السادس: الطريقة الشيخية وأعلامها بالجزائر وإفريقيا وأوروبا وعموم العالم، جامعة غرداية 16-2022/11/17، المطبعة العالمية، الطبعة الأولى، غرداية-الجزائر 2023.

20- عبو الطاهر، **الأبعاد الاجتماعية والدينية لأهليل من خلال مجموعة من القصائد**، الطبعة السابعة للمهرجان الثقافي أهليل بمنطقة قورارة، المكتبة المركزية تيميمون – 2013/12/26.

21- عمراوي ليندة، "شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري. المهمة المزدوجة"، ***مجلة الساورة للدراسات الإنسانية***، جامعة بشار الجزائر، مج8، ع2، 2022/12/25.

22- قاسي محمد عبد الرحمن، "المظاهر الاحتفالية لأسبوع المولد النبوي الشريف بمنطقة قورارة دراسة في الفلكلور"، ***مجلة الأثر***، العدد 29، ديسمبر 2017.

23- مزيان محمد، "جذور النزاع الحدودي بين المغرب والجزائر"، ***مجلة كان التاريخية***، ع22، ديسمبر 2013.

24- مقدم كريمة، "المجاعة بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1944-1945 على ضوء سجلات الأحباس والتركات وفتاوى الفقهاء"، ***مجلة عصور الجديدة***، مج11، ع2، مارس 2021.

د – المقابلات الشفوية

1- بولاه الحاج عبد الله (مواليد 1943) نقلاً عن والده محمد عبد الله (1889-1995)، من أعيان قصر أولاد عبو، حوار حول الشيخ بوعمامة، قصر أولاد عبو بدلدول، تيميمون 2024/01/03، التوقيت: 14:00 زوالاً، مقابلة شخصية.

2- صوفي عبد الملك، شيخ زاوية بدريان ومستشار تربوي متقاعد، **حوار حول تاريخ منطقة قورارة**، تيميمون في 2021/03/22، الساعة 17:00 مساءً، مقابلة شخصية.

3- طلباوي عبد الحي بن محمد، من مواليد سنة 1943، من أعيان قصور دلدول، نقلاً عن والده سي محمد بن أحمد (1873-1968)، قصر أقبور دلدول ولاية تيميمون، 2024/01/03، الساعة: 12:40 زوالاً، مقابلة شخصية.

4- طهيري الطيب علي محمد الطيب، قصيدة دارجة عن فقارة "يغنز"، الراوي: الحاجة خيرة طهيري (توفيت سنة 2000م)، قصر أقبور دلدول، تيميمون.

هـ - الوسائط الإلكترونية

1- بن دحو العقيد، كرونولوجية ومسرد أحداث حواضر ادرار الثلاث، كتبها بتاريخ 2015/08/17، التصفح 2021/03/05 بتوقيت: 14:45 زوالاً، https://archive.li/http://www.aswat-elchamal.com/ar/

2- التيجاني سيد أحمد، ملخص حياة سيدي أحمد التجاني، 2021/11/18، التصفح 2024/01/10، التوقيت 21:00 مساءً، https://tidjaniya.com/ar/vie-sidi-ahmed-tidjani/

3- رافعي محمد محي الدين، الفقارة تراث محلي وعبقرية في الصناعة تتحدى الاندثار، يوم دراسي بعنوان: تراث الفقارة بين تدابير الحماية وتحديات الاستدامة، صفحة أقواس الإعلامية، 2023/03/06، التصفح يوم: 2023/12/21، التوقيت: 19:35، https://aqwas.net

4- صفحة مديرية التجارة بولاية أدرار، التعريف بالولاية، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:30 www.dcwadrar.dz/ar

5- صفحة موسوعة قناة الجزيرة، الطوارق شعوب أمازيغية تسكن الصحراء الكبرى بأفريقيا، 2023/08/13، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 20:00 مساءً، https://www.aljazeera.net/encyclopedia

6- صفحة وكالة الأنباء الجزائرية، ولايتا عين قزام وعين صالح: رهان على كسب متطلبات التنمية لتلبية تطلعات الساكنة، مقالة بتاريخ 2021/03/03، التصفح 2023/05/11، التوقيت 21:45، www.aps.dz/ar

7- طعمة تمام، أحمد المنصور الذهبي سابع سلاطين المغرب، 2023/08/09، التصفح: 2024/01/07، التوقيت: 21:50 مساء، www.mawdoo3.com

8- غوغل إرث، الموقع الفلكي لمنطقة قورارة، اطلع بتاريخ 2024/04/09، التوقيت: 00:50 ليلاً، www.google.com/intl/ar/earth

9- غوغل إرث، الموقع الفلكي لولايات (أدرار، تيميمون، عين صالح)، التصفح: 2023/05/12، التوقيت: 20:30، https://earth.google.com/web

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1- A.G.P Martin, **Les Oasis Sahariennes**, Augustin Challamel, Paris 1908.

2- A.G.P Martin, **Quatres Siécles d'histoire marocaine: au Sahara de 1504 à 1902, au maroc de 1894 à 1912**, lebrarie felix alcan, Paris 1923.

3- Auguste Terrier, **dans Les Oasis du Touat, Journal des Voyages et des Aventures de Terre et de Mer**, N° 284, Éditeur: Librairie illustrée et M. Dreyfous, Paris 11/05/1902.

4- Bellil Rachid, **Les Oasis du Gourara**, Editions Peeters, Paris 1999.

5- Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Gèographie Humaine**, Mémoire n° 3, Université d'Alger 1955.

6- Bisson Jean, **Le Gourara Etude de Géographie Humaine**, Université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, Mémoire n 3, 1955.

7- Comité L'Afrique Française, Bulletin Mensuel, N° 1, Renseignements Coloniaux, La Colonne Servière au Tidikelt, au Touat et au Gourara (21 Mai-18 Aout 1900), Paris Janvier 1902.

8- Daumas Eugene, **Le Sahara Algérien "études géographique**, statistique, et historique sur la région au sud des établissements Français, Langlois Leclercq, Paris 1845.

9- De Colomb Louis, **Notice sur les Oasis du Sahara,** Imprimerie de Ch.la Hure et Cie, Paris 1860.

10- Élisée Reclus, "Nouvelle géographie universelle", tome11, 2ème partie, librairie Hachette et cie, Paris 1886.

11- Elisée Recluse, **Nouvelle Géographie Universelle la Terre et les Hommes**, Librairie Hachette et Cie, Paris 1886.

12- Frescaly Marcel (Lieutenant Palat), **Journal de Route**, G.Charpentier et Cie, Paris 1886.

13- Gautier Emile Félix, "Missions au Sahara", Tome1, ***Sahara algérien***, Librairie Armand Colin, Paris 1908.

14- Gerhard Rohlfs, "Voyages et Explorations au Sahara", tome.1, 1861-1864, Traduits: Jacques debets, Edité sous l'égide du centre d'études sur l'histoire du sahara, Éditeur Karthala (15 mai 2001).

15- Guillaume de Champeaux, **a Travers Les Oasis Sahariennes**, R.Chapelot et Cie, Paris 1903.

16- H.bissuel, **Le Sahara Français**, typographie adolphe jourdan, Alger-1891.

17- Jean Hess, "L'extrème-Sud Algérien et Le Touat", ***Annales de géographie***, vol 26, Année 1897.

18- La Croix et de La Martiniére, "Documents Pour Servir a L'étude du Nord Ouest African", T.4, Éditeur: *Gouvernement Général de l'Algérie*, service des affaires indigènes, Alger 1897.

19- Lieutenant Baquey, **La Pénétration Saharienne 1899-1905**, Imprimerie Librairie Militaire, Paris 1908.

Mémoires de la Société Bourguignonne Géographie et d'Histoire, Tome 12, Imprimerie Darantiere, Dijon 1896.

20- Palat Marcel, **Journal de Route et Correspondence**, Édition: G.Charpentier, Paris 1886.

21- Sabatie Camille, **La Question du Sud-Ouest**, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger 1881.

22- Selka Abderrahman, "Notice sur Touat", ***Bullettin de la Société de Géographie d'Alger Et de l'Afrique du Nord***, Volume 23, N° 87-92, Alger 1922.

23- Selkh M'hamed, **Timimoun La Mystique**, l'Office du Tourisme de Timimoun, Edition 2011.

24- Voinot Louis, **Le Tidikelt, Etude sur La Géograpuie l'Histoire Les Mœurs du Pays**, Editions Jacques Gandini, Oran 1909.

الفهرس

مقدمة..... 9

التعريف بمنطقة توات الكبرى 13

المجتمع والظروف المعيشية..... 45

توات: حاضرة مشعة ثقافياً..... 75

الإقتصاد في المجتمع التواتي 97

الأوضاع السياسية والأمنية..... 115

خاتمة 139

الملاحق..... 143

المصادر و المراجع..... 159

أنجز طبعه في أكتوبر 2025
على مطابع عمار قرفي - باتنة - الجزائر